عَالَمِيَّةُ الإِسْلامِ

الجزء الخامس

١– تعليقات على "عالميّة الإسلام" ٢– سؤال للملحد : هل الكون له بداية أو لا ؟
٣– الحاجة إلى دليل لإثبات وجود الإله ٤– البناء الفكريّ للإنسان
٥– المناهج والاتّجاهات في إثبات وجود الإله ٦– الفرق بين الإمكان والوقوع
٧– عالميّة الإسلام في كلمات أمير المؤمنين عليه السّلام
٨– إمامة أمير المؤمنين عليه السّلام عامّة لجميع النّاس
٩– الدّليل القرآنيّ على أنّ الإمامة عامّة ١٠– على ماذا يدلّ لفظ "الإمام" ؟
١١– هل يمكن إقامة الدّليل على وجود الإله ؟ ١٢– طرق إثبات وجود شيء أو عدم وجوده
١٣– العمل والإيمان والتّصديق وتصوّر الإله ١٤– هل تصوّر الإله ممكن أو مستحيل ؟
١٥– الفرق بين العلم والإيمان ١٦– الفرق بين التّصوّر التّفصيليّ والتّصوّر الإجماليّ
١٧– كيف نتصوّر الإله ؟ ١٨– النّتيجة النّهائيّة لتصوّر الإله
١٩– تصوّر الإله عند المسلمين ٢٠– التّصوّرات المختلفة عن الإله
٢١– الحاجة إلى البحث في موضوع "تصوّر الإله" ٢٢– خاتمة بحث "تصوّر الإله"
٢٣– نتائج التّصديق بوجود الإله ٢٤– المشتركات بين الأديان ٢٥– ترسيخ العقائد

الشّيخ محمّد أشكناني

الطّبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م

حقوق الطّبع محفوظة للمؤلّف

السّلام عليكم جميعًا

أرجو ممّن يقرأ هذا الكتاب أن يرسل رأيه وتعليقاته عن الكتاب إلى

الإيميل

mohashk14@hotmail.com

أو الواتساب على رقم

00965-99644250

يبدي رأيه في الكتاب وفي مشروع عالميّة الإسلام ، فآراؤكم تهمّنا وترشدنا إلى الأفضل ، وستنشر الآراء مع أسماء أصحابها في مقدّمة الجزء التّالي من الكتاب ، وأكون لكم من الشّاكرين .

الشّيخ محمّد أشكناني

موقع الشّيخ محمّد أشكناني
www.alashkanani.com

YouTube
Ashkanani Channel

Instagram
@alashkanani

البريد الإلكترونيّ للمؤلّف
mohashk14@hotmail.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَّةِ ابْنِ الحَسَنِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ

وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا

وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى تُسْكِنَهُ

أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا

بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

تعليقات على "عالميّة الإسلام"

الشّيخ عليّ العليّ – قم المقدّسة ٢٠٢٠/٨/١٩ م :

قراءة في كتاب "عالميّة الإسلام" – الجزء الأوّل :

المهندس الشّيخ محمّد أشكناني حفظه الله ورعاه :

عرفته منذ أكثر من عقدين ونيّف من الزّمان ، وقد تَجَاوَزَتْ معرفتي به حدود الطّرق التّقليديّة ، إذ انطلقت من جاذبيّته في العطاء ، وتنظيمه ، ودقّته ، والالتزام الذّاتيّ الّذي يتمتّع به ، والّذي انعكس على أنشطته الاجتماعيّة والعلميّة ، كلّ ذلك بشغف الباحث المنظّم الحريص على الوقت ليصبّ في بناء المعرفة وإيصالها للآخر .

وهذا السّعي الدّؤوب للعطاء جعل منه إنسانًا يخلق الفرص وإن انعدمت ، ويضيء المكان وإن احتدم الظّلام ، وعنده الحرص المتفاني لغرس القيم والمبادئ ببعدها العقليّ والشّرعيّ ؛ لتكون منهجًا للأجيال ، لذا فمن الطّبيعيّ أن أجد إصداراته تتوالى ، ومحاضراته تتسلسل حتّى استقرّت عند مشروعه لعرض "عالميّة الإسلام" كطرح فكريّ ؛ ليبيّن أنّ هذا الدّين ليس في حدود الفهم المحلّيّ ، وإنّما هو للعالميّة ، وَأُفُقُهُ للإنسانيّة ، وَإِنْ تَصَوَّرَ أَحَدٌ ما ضِيقًا فيه فهو تأكيد على فِكْرٍ ضَيِّقٍ قَيَّدَ عالميّة هذا الدّين وإنسانيّته .

ولعلّ من أجمل الأمور الّتي بادر بها هذا المؤلّف وعلى الملأ هو إبداء

الرّأي بما طرح ، وتحمّل الكثير ، وعانى الكثير ، ولكنّه جعل منّي شخصيًّا أن أعيش معه الكثير من الأفكار .

لقد تقبّل الرّأي والرّأي الآخر ، وأصرّ على أن يعرضه بكلّ شفافية عند الطّباعة كما هو ، وهذا بحدّ ذاته مبادرة تختزل القيم والمبادئ الّتي دعا إليها ، فيا حبّذا أن نرتقي برقيّ هذه الفكرة عند تبادلنا المعرفيّ وحوارنا الفكريّ .

إنّ الخوض في مشروع يستحضر "عالميّة الإسلام" يُعْتَبَرُ خَوْضًا في عباب الفكر المترامي الأطراف ، إذ يغطّي طُولًا وَعَرْضًا وَعُمْقًا وَارْتِفَاعًا ، ويحتاج لمن يعرضها جُهْدًا ، فكيف بمتلقّيها ؟!

والكاتب يستهدف الوقت لاستحضار المعلومة والسّعي نحوها وتعميق الاطّلاع فيها ، وهذا بحدّ ذاته يفرض الوجود في دائرة الأخذ والرّدّ والمقاربة والتّحليل والمقارنة والتّمثيل ، لذا لن أستغرب التّشعّب في مثل هذا النّوع من البحوث ، فقد ندرك كيف نبدأ إلّا أنّه يستدعي منّا أن ندرك أنّ التّوسّع يفرض أفقًا أبعد بعيد التّصوّر ، فهو ذو امتداد في العرض من الصّعب تقييده في دائرة زمنيّة محدّدة ، فهو مشروع متحرّك بوجودنا عبر الثّابت والمتغيّر في الفكر الإنسانيّ ، ووفق رؤية عالميّة الإسلام وعالميّة الإنسان الّذي يعتقد بالإسلام ، لذا على القارئ أن يتحلّى بروح التّأمّل وأفق التّدبّر وبعد الأفق والرّؤية ليتجاوز ثقافة "إِنْ قُلْتَ قُلْتُ" خارج إطارها المعرفيّ ، فللفكر ميدانه وأدواته الّتي تحتاج من يخوض فيها أن يتقن التّفكّر والتّدبّر والتّأمّل ليقلّص

على نفسه دوائر الرّفض أو التّأييد غير الممنهج .

وقفة مع الكتاب :

يقف الكاتب في أطروحته عند مدخل مهمّ ، وهو استعراض إجماليّ لعالميّة الإسلام من خلال النّصّ القرآنيّ ، فيقف عند مفهوم "العَالَمِينَ" ، فيذكر الآيات الّتي ذكرت هذا المفهوم :

التّوحيد : ٦ آيات .

النّبوّة والرّسالة : ٤ آيات .

المعاد : آية واحدة .

ثمّ يستعرض ذلك عند ذكر ارتباطها بالنّصّ القرآنيّ ، فيشير للتّوحيد من خلال الممارسة ، ويقف عند أوّل بيت وُضِعَ للنّاس ، ويردفها بذكر الجنّة ، وهو التّجلّي للمعاد ، وهو بذلك يقف على حضور المفهوم في المعتقد الإسلاميّ ، وارتباطه بأصول الاعتقاد توحيدًا ونبوّةً ومعادًا .

وهنا يتجلّى لنا غرض الدّيانات السّماويّة ، ويتّضح الفرق في عالميّتها ومحلّيّتها ، فيرسم التّساؤل لمن يجيب عليه في سلسلة من المحاضرات : هل الإسلام يصلح أن يكون دينًا عالميًّا أو لا ؟

بداهة التّلقائيّة في الجواب عند الفرد المسلم هو : "نعم" ، ولكنّ الاستدلال يتجاوز ذلك ، إذ يحتاج جهدًا نظريًّا من المفترض أن نعيشه مع المؤلّف ، والّذي يرتكز على النّصّ القرآنيّ ، فيستنطقه كما في قوله عزّ وجلّ :

"**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ**" [1] .

هذا النّصّ القرآنيّ تتمحور حوله الانطلاقة الّتي رسم المؤلّف سلسلة مشروعه من خلال التّساؤل والإجابة وما يحويه من تأمّل مبسّط لتأسيس أرقى لفهم العالميّة في الإسلام .

ومن المفترض أنّ البحث لا يقف عند المتسائل المسلم ، فليس كلّ قارئ للإسلام يكون مسلمًا ، ومن هنا تجد أنّ النّصّ القرآنيّ يخاطب الإنسان : "**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**" [2] .

هذا المقطع من الآية المباركة بحدّ ذاته هو بحث ، إذ يشكّل بوابةً من التّساؤلات يطرحها القرآن الكريم بكلّ وضوح ، وعلى من يتلقّى الإسلام أن يدرك كيف يتعاطى الفهم الإسلامي مع الدّين .

وتتضمّن السّلسلة وقفات مع الشّبهات الّتي ارتسمت عند البعض لمحدوديّة الدّين ، بينما العقل عبر بيان الرّشد من الغيّ يبيّن مدى تجاوز المحلّيّة ، ومدى اختلافه عن غيره من الأديان ببعده العالميّ .

والمحاضرة الأولى كانت تستفزّ العقل ، وترسم ملامح صيغة الإجابة المرتبطة بالفكر الإسلاميّ ، والّتي تتسلسل لكي تجيب لترسيخ مفهوم العالميّة .

واعتمد المؤلّف القرآن ، وبيّن سبب ذلك ، ووقف بوضوح على أرجحيّته على النّقل الرّوائيّ ، فالنّصّ القرآنيّ نصّ قطعيّ الصّدور ،

---

[1] آل عمران : ١٩ .

[2] البقرة : ٢٥٦ .

ولا يغفل لاحقًا دور النّقل الرّوائيّ ، ولكن قاعدة الانطلاق صلابتها ترتكز على صلابة النّصّ القطعيّ الصّدور .

هذا التّأصيل كان أساسًا لينطلق الكاتب لبيان مظاهر الإسلام الدّالّة على سلوكه وأثره في بناء السّلوك كممارسة لمن يحمله ويعتقد به ، وهذا الّذي وقف عنده في تالي المحاضرة الأولى ولا سيّما المحاضرة الثّالثة ، والّتي تناولت سبط النّبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله الحسين ابن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام ، فأخذ يعرض سلوكه الاجتماعيّ وإسقاطاته وأثره على الآخرين ، ودوره في بناء المجتمع لمن يتمسّك به ، وهذا يمهّد للعودة للنّبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله ، هذا الرّسول العالميّ عند عرضه للمحاضرة الرّابعة ، ولعلّ سبب ذلك هو أنّ المحاضرات تتناسب مع المناسبات الّتي تتصادف زمنيًّا مع الحوادث التّاريخيّة ، لذلك جاءت المحاضرة في أواخر شهر صفر لمن يتساءل لم ذكر النّبيّ صلى الله عليه وآله بعد سبطه الحسين عليه السّلام ، واتّفق أنّ التّسلسل العالميّ يفرض ذاته ، فالعالميّة بحسب العرض الأوّل تتمحور في التّوحيد ثمّ النّبوّة ثمّ المعاد ، ولكن للزّمن مقتضياته ، وللمجتمع ثقافته وتفاعله مع الزّمان .

إنّ الأثر الّذي تركه النّبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله في رسالته للعالم هو أنّه وضع منهجًا أخلاقيًّا عابرًا للزّمان والمكان ، فهو صلّى الله عليه وآله – كما أشار المؤلّف – عُرِفَ بأنّه (أخ كريم وابن أخ كريم) ، وجدير به أن يكون خاتم الأنبياء عليهم السّلام .

"وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" [1] .

وتتسلسل مظاهر العالميّة ، فتأخذ المرأة في البحث حيّزًا لها أن تُذْكَرَ به ، وهي جديرة بأن تكتب لها المؤلّفات ، والكاتب يقف عند السّلوك معها والسّلوك الاجتماعيّ لينقل الآثار بين الواقع والنّصّ ، وما هو متوفّر ، وما ينبغي أن يكون ، وما ينبغي أن لا يكون ، فيخاطب الواقع بألم ، ويبيّن اهتزاز المنظومة الأسريّة ، ونسب الطّلاق بين الأسر المسلمة ، والأعمال الّتي تمارس بإسفاف ، و"أبغض الحلال عند الله الطّلاق" ، ليبيّن أنّ لبنة العالميّة في الأسرة المسلمة مهزوزة ، واهتزّت عند الآخر بسبب سلوكنا وقلّة وعينا ، ويقوده ذلك لواقع الأمّة ، وكأنّه يكتب تساؤلًا بحجم الألم : هل الأمّة الإسلاميّة تدرك أنّها تنتمي لعالميّة هذا الدين وأنّها تدين بدين عالميّ ؟!

ويستعرض الكاتب دور المسلمين في هذا العصر ، ومدى انحصار دورهم العلميّ والاجتماعيّ ، ويذكر المثال تلو الآخر ، فيشير للحقل الطّبيّ وتطوّره ، وبمناسبة الحديث أكتب هذه الكلمات وأنا أعيش الحظر بسبب جائحة فيروس كورونا العالميّ ، ولا نجد فعليًّا حضورًا علميًّا يُعَنْوَنُ باسم العالم الإسلاميّ بحيث ينافس العالم ، وها نحن في المراحل الأخيرة من إنتاج اللّقاح ، ولتقدّمه وقفة مع العقل المسلم ، ولا بدّ للعقل المسلم أن يقف مع ذاته ليدرك أين هو !

وتتوالى الأمور عند كاتبنا بين أمل وألم ليتساءل من جديد : ما هو

---

[1] القلم : ٤ .

المطلوب ؟

أنت أيّها المسلم تردّد بتلقائيّة "عالمية الإسلام" ، فما هو دورك في هذه العالميّة ؟ وهل تدرك أنّك جزء منها ولا تتجزّأ عنها ؟

ويعود الكاتب ليستعرض الاعتقاد والالتزام بالأحكام ، والإيمان بعالميّة الرّسالة ، وعالميّة الخطاب ، والعدل ، وإزالة العوائق ؛ لتطبيق خلافة الإنسان على الأرض ، وقد تتداخل هذه العناوين فيما بينها ، ولكنّها تستعرض فوق واقع يناسبه العرض .

منهج البحث :

يضع الكاتب من خلال القرآن الكريم والسّنة الشّريفة منهجًا ، ويبدأ مسيرته من جديد عبر الوقوف على النّصوص النّقليّة وأثرها في مخاطبة العالم حول "عالميّة الإسلام" ؛ لتكون بوابةً جديدةً يطرح من خلالها مواضيع فكريّة لتكون مادّة خصبة للبحث العلميّ للأديان والحوار بين الحضارات ، والوقوف عند المشتركات ، ومدى الاطّلاع على الآخر ، واستلهام العبر والفوائد من الإرث البشريّ ، داعيًا إلى بناء نظريّة اجتماعيّة في الإسلام ؛ لتغطّي أبعاد عرض الدّين كمنهج حياة وأسلوب اجتماعيّ عالميّ ، ويقف على الفقه وغيره للتّأكيد على لغة الخطاب الّتي تناسب العصر .

لقد جال كاتبنا في الكتاب الّذي هو سلسلة من المحاضرات بين سؤال وجواب ومناقشة واستعراض للواقع الاجتماعيّ ، وبيان مدى حاجتنا للإسلام كدين ببعده العالميّ ، ليعيش المجتمع وإرهاصاته ،

وينقد ممارسات المسلمين ، ويؤكّد على بديلها القرآنيّ ، ويستعرض أهمّيّة لغة العصر ومفرداته عبر التّخصّصات العلميّة ، والانفتاح على الأديان عبر المشتركات ، وردّ الشّبهات ، والاطّلاع على الآخر ، مع الحرص على عمق المعتقد وثبات الفطرة والارتقاء بمستوى عالميّة الإسلام .

أخيرًا :

لك أيّها القارئ أن تتساءل وتفكّر وتتأمّل وتتدبّر .

"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" [1] .

والكاتب يطرح فكره لبناء مشروع ، ويفكّر معك ، وتفكّر من خلاله ، فيناقش معك أفكاره برقيّ وأدب وتحاور مفتوح .

الشّكر والتّقدير للأخ والصّديق العزيز المهندس الشّيخ محمّد أشكناني حفظه الله تعالى على هذا الجهد ، والّذي أعلم معاناته ، ولكنّني عهدته مُلْهِمًا للعطاء .

أخي العزيز :

أرجو لك التّوفيق بهذا العطاء ، وأدرك مدى إخلاصك ، ومدى حرصك على أبناء هذا الجيل والأجيال اللّاحقة ، والشّكر لك لأنّك تقدّم حوارًا يناسبهم ؛ لكي يقرأ ويفكّر ويعي دوره في بناء مجتمعه ، وعمق معرفته بدينه .

وأشكر مبادرتك الرّاقية ونشرك للكتاب قبل طباعته ؛ لكي يقرأه

---

[1] محمّد : ٢٤ .

الجميع ويبيّن رأيه ، والتزامك بنشر كلّ ما يرد وما يوافق أو يعارض بكلّ شفافية ، فهذه المبادرة بحدّ ذاتها تكشف عن رقيّ ذاتك ، وأنّك وضعت لبنةً للحوار الرّاقي لك وللآخر ؛ ليكون هذا المشروع لكلّ من يقع بين يديه ، منه وإليه ، وفرصة لإدراك عالميّة الإنسان ومعتقده .

والله وليّ التوفيق .

أخوكم عليّ العليّ

خليفة رمضان – الكويت ٢٠١٩/٢/٢٧ :

تطرّقتم إلى التّفرقة ين الحضارة والتّمدّن ، وقلتم إنّ الغرب له تمدّن ، ولكن لا حضارة له حيث خصّصتم التّحضّر بالدّين والأخلاق .

والسّؤال هو : يدّعي البعض أن لا داعي للدّين بسبب وجود الأخلاق ، فبعض المسلمين يدّعون أنّ للأجانب أخلاق المسلمين ، وبالتّالي هذا معناه وجود الحضارة مع التّمدّن لديهم بناءً على ما عرّفت به الحضارة كمفهوم ، فيخرج لنا العلمانيّون بادّعاء آخر ، وهو فصل الدّين عن الدّولة ، وأنّ الأخلاق ليس منشؤها الدّين .

ويضربون مثالًا على ذلك : بعض الملاحدة ممّن اتّبعوا عقولهم في الأخلاق يؤمنون بوجود الأفعال القبيحة والأفعال الحسنة بالنّظر إليها كأفعال مفصولة عن الدّين .

ثمّ يأتي فريق آخر ليقول حتّى لو سلّمنا بوجود الأخلاق ضمن الدّين فإنّها تختلف باختلاف المكان ، فقد تكون هناك صفة مذمومة

في مجتمع ما ولا تكون مذمومة في مجتمع آخر .

والنّتيجة هي اختلاف مفهوم الحضارة – بناءً على المفهوم الّذي تفضّلتم به – وعدم وضوح مفهوم الأخلاق ، وأنّه مفهوم مطّاطيّ حتّى مع التّسليم بكلّيّات متّفق عليها أخلاقيًّا ، كقبح السّرقة وحسن مساعدة الفقراء ، فما هي الحضارة الّتي ترمون إليها ؟

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

يوجد عند الغرب بعض الأخلاق العامّة لا جميع الأخلاق ، والأخلاق ليست عبارة عن أفعال خارجيّة فقط ، وإنّما هي حركة قلبيّة باطنيّة ، وهم يأتون بالأفعال الخارجيّة ، والدّين يركّز على صلاح الإنسان المبنيّ على الاعتقاد بوجود الإله ، ومن صلاحه تأتي الأخلاق الخارجيّة .

إذن النّظر لا يكون إلى العمل الخارجيّ فقط ، وإنّما العمل الخارجي المنطلق من الاعتقاد بالإله ، بالإضافة إلى أنّ الأخلاق ليست نسبيّة بحيث تختلف من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر ، والحضارة مبنيّة على الدّين والأخلاق لا على المدنيّة فقط .

إسماعيل دشتي – الكويت ٢٠١٩/٧/٣١ :

صِرْتُ قريبًا من الانتهاء من كتاب عالميّة الإسلام الجزء الأوّل ، ووصلت إلى منهج البحث ، واستوقفتني رواية قويّة في صفحة ١٥٩ من الكتاب ، وبحثت عن مصادر الحديث ، ووجدت الرّواية عن أبان

ابـن تغلـب ، والرّوايـة موجـودة في تفسـير العيّاشـي ، وفي البرهـان في تفسير القرآن ، وفي بحار الأنوار ، وفيها عـن أبـان بـن تغلـب قـال : قال أبو عبدالله عليه السّلام ، وفي الرّواية : "ومن فعل ذلك كان ما يأكل حلالًا ويشرب حلالًا ويركب حلالًا وينكح حلالًا ، ومن عدا ذلك كان عليه حرامًا ، ثمّ قال : ولا تسرفوا إنّه لا يحبّ المسرفين" ، وظـاهر الرّوايـة أنّ الحرمـة شـرعيّة لا أنّـه مكـروه ، وإذا قلنـا بالحرمـة الشّرعيّة فالرّواية ليس لها سند ، فما هو المسوّغ لأن نأخذ من هذه الرّواية حكمًا شرعيًّا وهو الإسراف المحرّم ؟ هل بالجمع بينها وبين روايات أخرى من نفس المعنى ؟

ومضمون الرّواية قويّ ، ويمكن من أقوى الرّوايات ، والمتن عقلائيّ جدًّا ، والرّواية غريبة عجيبة ، وكلّما قرأتها أستخسر المصرف الّذي كنت أصرفه على نفسي سابقًا ، أو أرى أحدًا يصرف على نفسه ، فما هي الحرمة في الرّواية ؟

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

الرّواية ضمن نفس قاعدة الإسراف ، فالإسراف محرّم شرعًا وعقلًا وعرفًا ، وما يصرفه الشّخص أكثر من حاجته يعتبر إسرافًا ، وفي الرّوايات يوجد منهجان :

١- الأخذ بالسّند فقط : فإذا كانت صحيحة يؤخذ بها ، وإذا كانت ضعيفة ترفض .

٢- النّظر إلى المتن : إذا كانت الرّواية متوافقة مع القرآن أو مع

الرّوايات المحكمات أو لا ، والسّند يكون قرينة فقط ، وتكون الرّواية مُوَثَّقَةً وَمُطْمَأَنًّا بصدورها من المعصوم عليه السّلام ولو كان السّند ضعيفًا ، وهذا المنهج هو منهج العلماء القدماء ، مثلًا في الكافي روايات ضعيفة من حيث السّند ، ولكنّ الشّيخ الكلينيّ رضوان الله عليه يعتمد عليها ، والبحث يأتي تفصيلًا في علم أصول الفقه وفي علم الحديث .

إسماعيل دشتي – الكويت ٢٠٢٠/٤/١٣ :

كلام للشّيخ حسين الخشن في كتابه : "هل الجنّة للمسلمين وحدهم ؟ قراءة في مفهوم الخلاص الأخروي" :

إنّ المطلوب أن نقدّم الله إلى النّاس بما قدّم به نفسه ، قال تعالى : **"نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ"** [١] .

حيث نلاحظ أنّه تعالى في هذه الآية قد نسب صفة الرّحمة إلى نفسه ، فقال : **"أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ"** ، بينما نسب صفة العذاب إلى فعله لا إلى نفسه ، فقال : **"وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ"** ، في إشارة بليغة ولطيفة إلى أنّ الرّحمة تلائم ذاته أكثر ممّا تلائمها صفة العذاب ، كما أنّ الآية من جهة أخرى قدّمت صورة الرّحمة على صورة العذاب في إيماءة واضحة وجميلة إلى أهمّيّة الابتداء في الخطاب التّبليغيّ بما يبعث على السّرور والانشراح ، وبما يجتذب النّفوس والقلوب .

---

[١] الحجر : ٤٩–٥٠ .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

التفاتة واستفادة لطيفة من سماحة الشّيخ ، ونستفيد منها .

إسماعيل دشتي – الكويت ٢٠٢٠/٤/٢٩ :

كلام للدّكتور طه جابر العلواني في كتابه : "لا إكراه في الدّين" ص٥١ :

لقد آثرنا استعمال مفهوم "الحدّ" جريًا على عادة الفقهاء ، وتأثّرًا بصنيعتهم ، واستعمال مصطلح "عقوبة" أو نحوه هو المتعيَّن عندي ؛ ذلك أنّ المراد بالحدّ في كتاب الله شرائع الله وأحكامه وليس العقاب . . . وإن كان العرب استعملوه بمعنى الحاجز بين شيئين ، فذلك لسانهم واصطلاحهم ، والقرآن له لسانه وله لغته . . . والّذي غلب على استعمالات الفقهاء والأصوليّين لسان العرب ولغاتهم لا لسان القرآن .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

يمكننا الاستفادة من كتب الدّكتور العلواني .

إسماعيل دشتي – الكويت ٢٠٢٠/٥/٣ :

كلام للدّكتور طه جابر العلواني في كتابه : "لا إكراه في الدّين" ص١٤٧ :

كما أنّ العلماء اتّفقوا على أنّ السنن الّتي تحمل عقوبات فيها إتلاف النّفس أو عضو من أعضاء الإنسان لا تُقْبَلُ إلّا إذا جاءت

تلك السّنن بيانًا لكيفيّة تطبيق العقوبة المذكورة في كتاب الله تعالى ، وقامت على أساس منه ؛ وذلك لعموم الأدلّة القرآنيّة القاطعة في حفظ النّفس والأعضاء ، فلا تعارض بمثلها ، ولا معارض ، ثمّ إنّ مهمّة النّبيّ (ص) إبلاغ الكتاب المنزل وبيانه واتّباع ما فيه .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

ذكرت في المحاضرات أنّ الأحكام الرّئيسة لا بدّ أن تكون مذكورة في القرآن ، وتأتي التّفاصيل في الرّوايات ، مثلًا قتل المرتدّ غير مذكور في القرآن ، فروايات قتل المرتدّ إمّا ترفض وإمّا توجّه بما يتناسب مع القواعد العامّة المذكورة في القرآن .

إسماعيل دشتي – الكويت ٢٠٢٠/٦/٢ :

بالنسبة لقوله تعالى : "**كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**" [١] ، هل نستطيع أن نقول بأنّ الأنثى داخلة مع الذّكر في هذه الآية بقاعدة الاشتراك والتّغليب ؟

بمعنى أنّ الحور للذّكر والأنثى ، والدّليل هو قاعدة الاشتراك ، يعني الضّمير "هُمْ" حاله كحال قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**" ، فالأنثى مشمولة بقاعدة التّغليب والاشتراك ، أو عندك رأي آخر في موضوع الضّمائر .

---

[١] الدّخان : ٥٤ .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

ضمائر المذكّرين واسم الإشارة للمذكّرين موضوعة للأعم إلّا مع القرينة على التّخصيص ، وأشرت إليها إشارة سريعة في إحدى محاضرات عالميّة الإسلام وهي المحاضرة رقم ٣٠ تحت عنوان "ليس الذّكر كالأنثى" ، وفي الكتاب في الجزء الثّالث ص٥٣-٥٤ .

إسماعيل دشتي – الكويت ٢٠٢٠/٦/١٣ :

ماذا تقول في قوله تعالى : "**وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ**" [١] ؟

تتكلّم الآية أوّلًا عن اللّاتي تخافون نشوزهنّ لا النّاشز ، أي إذا رأى الزّوج بوادر النّشوز على الزّوجة فيبدأ بالوعظ ، وإذا لم ينفع الوعظ فيهجرها في المضجع ، وإذا لم ينفع الهجر في المضجع فيضربها ، والكلام في (الضّرب) ، وراجعت معاني الضّرب ، من معاني (الضّرب) الإضراب والهجران ، لا فقط الهجران في المضجع ، بل أكثر من المضجع ، يهجرها خارج المضجع ، اضْرِبْ عنه أي ابْتَعِدْ عنه ، والإضراب عن العمل بمعنى أنّه لا يذهب إلى العمل ، ومن معاني (الضّرب) المعاملة الشّديدة سواء ضرب مبرح أو يمسكها من رقبتها ويدفعها ، أو يمسك وجهها ويدفعها ، ومن معاني (الضّرب) يقال ثور ضَرُوب ، والبقرة حينما يدخلون عليها الثّور

---

[١] النّساء : ٣٤ .

ويكون كثير المعاشرة يسمّى ثورًا ضَرُوبًا ، فيكون (الضّرب) بمعنى المعاشرة ، وذكر الشّيخ نصر مكارم الشّيرازيّ أنّه توجد حالة نفسيّة تسمّى (المازوخيّة) ، وهي المرأة التي لا تهدأ ولا يرتاح لها بال إلّا أن تُضْرَبَ ، ويقول ربّما كانت الآية ناظرة إلى هذه المرأة .

فما وصلت إليه هو أنّ لكلّ مكلّف حكمًا خاصًّا ، مثلًا شخص يكون مستشارًا في العلاقات الزّوجيّة ، تأتي إليه ثلاث حالات ، فيسأل عن مشكلته ، فيقول المشكلة هي أنّ زوجتي قليلة أدب وأنا لست مقصّرًا معها ، فيقول له الاستشاريّ أمامك حلّان : إمّا أن تهجرها بحيث تغيّر غرفتك أو تذهب بها إلى بيت أهلها ، وإمّا أن تستعمل معها أسلوب العنف غير المبرح ، مثلًا اسحبها من قميصها أو عاملها معاملة شديدة بحيث تشعر هي بأنّ الوضع صار أصعب ، وتشعر بأنّك لا تتحمّل أكثر ، وإذا لم ينفع تأتي بحكم من أهلك وحكم من أهلها ، وإذا لم ينفع تطلّقها .

ويسأل الثّاني عن مشكلته ، فيقول لم تحدث بيننا المشاكل إلّا بعد أن بَرَدْتُ من ناحية جنسيّة ، فيقول له الاستشاريّ إنّ الحل هو أن تصير مثل الثّور الضّروب ، وتحسّن علاقتك الجنسيّة مع زوجتك لتقضي على المشكلة .

ويسأل الثّالث عن مشكلته ، فيقول بأنّه يضرب زوجته لأنّ عندها مرضًا نفسيًّا يسمى المازوخيّة ، ولا تهدأ إلّا بالضّرب .

فهل يوجد إشكال بأن نقول إنّ ضرب النّساء ناظر إلى أكثر من

معنى والمكلّف هو الّذي يحدّد طريقة الحلّ ؟

والـدّليل علـى أنّ الضّـرب لا يجـوز أن يكـون مبرحًـا هـو روايات المعصـومين علـيهم السـلام بأن الضّـرب يكـون بالسّـواك ، والضّـرب بالسّـواك أمـر رمـزيّ ، رمـز لعـدم الضّـرب المـبرح بأن يـترك أثـرًا علـى البشـرة ، فإذا تـرك أثـرًا على البشـرة فإنّه يستوجب الدّية بحسب لـون الأثر .

هذه خلاصة لما فهمته ، فهل هذا الفهم صحيح ؟

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

سيأتي البحث في مباحث الفقه العمليّ بعد ما أبحث فيه تفصيلًا وأفكّر في الموضوع جيّدًا ، وقطعًا له حلّ من القرائن في نفس السّياق القرآني أو مـن آيات أخرى ، ومـا قلته أنت عبـارة عـن احتمـالات ، ولكـن عنـدي يقـين بأنّ الإسـلام لا يؤيّـد العنـف ضـدّ أي إنسـان ، وخاصّة الزّوجة الّتي جعل الله بينها وبين زوجها مودّة ورحمة ، ويطلب الله عزّ وجلّ معاشرة النّساء بالمعروف .

"وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" [(١)] .

". . . **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ** . . ." [(٢)] .

وأمام الزّوج الصّبر أو النّصح أو الحكمين أو الطّلاق ، ولا أؤيّد

[(١)] الرّوم : ٢١ .

[(٢)] النّساء : ١٩ .

المازوخيّة لأنّها مرض نفسيّ يحتاج إلى علاج ، ويمكن أن نرى التّدرّج في تشديد المعاملة بشرط أن لا يصل إلى استعمال العنف .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠١٨/١٢/١٩ :

أنقل لكم ما وصلني بتصرّف ، وهو منقول من كتاب "المسكوت عنه في الإسلام" :

جاء في القرآن الكريم ما فهمه البعض بأنّه حضّ على ضرب المرأة : **"وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا"** [١] .

ولـمّا كانت معاني ألفاظ القرآن تُسْتَخْلَصُ من القرآن نفسه فبتتبّع معاني كلمة (ضَرَبَ) في المصحف وفي صحيح لغة العرب نرى أنّها تعني في غالبها المفارقة والمباعدة والانفصال والتّجاهل ، خلافًا للمعنى المتداول الآن لكلمة (ضَرَبَ) ، مثلًا الضّرب على الوجه يُسْتَخْدَمُ له لفظ (لَطَمَ) ، والضّرب على القفا (صَفَعَ) ، والضّرب بقبضة اليد (وَكَزَ) ، والضّرب بالقدم (رَكَلَ) .

وفي المعاجم : ضَرَبَ الدّهر بين القوم أي فرّق وباعد ، وَضَرَبَ عليه الحصار أي عزله عن محيطه ، وَضَرَبَ عنقه أي فصلها عن جسده .

فالضّرب – إذن – يفيد المباعدة والانفصال والتّجاهل .

والعرب تعرف أنّ زيادة (الألف) على بعض الأفعال تؤدّي إلى

---

[١] النّساء : ٣٤ .

تضادّ المعنى ، نحو (تَرِبَ) إذا افتقر ، و (أَتْرَبَ) إذا استغنى ، ومثل ذلك : أَضْرَبَ في المكان أي أقام ولم يبرح (عكس المباعدة والسّياحة في الأرض) .

وقوله تعالى : "**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي البَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى**" [١] .

أي : افرق لهم بين الماء طريقًا .

وقوله تعالى : "**فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ البَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ**" [٢] .

أي : باعد بين جانبي الماء .

والله يقول : "**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ . . .**" [٣] .

أي : مباعدةً وسفرًا .

وقوله تعالى : ". . . **وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللهِ . . .**" [٤] .

وقوله تعالى : ". . . **فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذَابُ**" [٥] .

---

[١] طه : ٧٧ .

[٢] الشّعراء : ٦٣ .

[٣] البقرة : ٢٧٣ .

[٤] المزّمل : ٢٠ .

[٥] الحديد : ١٣ .

أي : فُصِلَ بينهم بسور .

وَضُرِبَ به عرض الحائط ، أي : أهمله وأعرض عنه احتقارًا .

وهذا المعنى الأخير هو المقصود في الآية المظنون أنّها حضّ على ضرب الزّوجة : **"فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ"** .

الآية تحضّ على الهجر في المضجع والاعتزال في الفراش ، أي لا يجمع بين الزّوجين فراش واحد ، وإن لم يُجْدِ ذلك فهو (الضّرب) بمعنى المباعدة والهجران والتّجاهل ، وهو أمر يأخذ به العقلاء من غير المسلمين .

ولاستكمال البحث نلفت النّظر إلى بعض المواضع الّتي جاءت فيه كلمة (ضَرَبَ) قريبة مما ألفناه من معنى الضّرب ، وهو في وصف لضرب الملائكة لأهل النّار ، وهو أمر غيبيّ يحدث في عالم الغيب ، ولا نقف على كيفيّة حدوثه ، فكلّ ما يحدث في غيب يوم الحساب إنّما ورد في القرآن على نحو تمثيليّ (ولا خَطَرَ على قلب بشر) .

"وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ" [(١)] .

وقوله تعالى : **"فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ"** [(٢)] .

المراجع : لسان العرب لابن منظور ، والمعجم الوسيط ، والصاحبيّ

[(١)] الأنفال : ٥٠ .

[(٢)] محمّد : ٢٧ .

في فقه اللّغة لابن زكريّا .

شيخنا ما هو رأيك ؟

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

هذا قريب من الفكرة الّتي سأبيّنها في الموضوع من التّدرّج مع الزّوجة ، ونحتاج إلى بحث في آيات القرآن وفي كتب اللّغة كما فعل الكاتب ، وسيأتي تفصيلًا في مباحث الفقه العمليّ .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠١٩/٣/١٥ :

طُرِحَ في التّويتر هاشتاق حجابي تحلو به حياتي ، ووجد ناس مؤيّدين وناس معارضين ، ووجدت أسئلة مهمّة ، منها سؤال من إحدى البنات أنّه حينما تنظر المرأة إلى رجل جميل ويثير فيها الشّهوة فيقال حرام ، ولكن يجوز للرّجل أن يخرج بهذه الطّريقة المثيرة للشّهوة ، وإذا لبست المرأة ثوبًا فيه ألوان قيل لها أنت تثيرين الشّهوة وتفتنين الرّجال ، ويجب أن تلبس المرأة الحجاب والعباية وأن يكون كلّ شيء فيها أسود اللّون ، فالرّجل الجميل والمرأة الجميلة كلاهما يثيران ويسبّبان الفتنة ، فلماذا يحرم على المرأة ويجوز للرّجل ؟

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

سأتكلّم عن الموضوع حينما نصل إلى مسألة الحجاب في مباحث الفقه العمليّ ، والمسلمون جعلوا الإسلام ذكوريًّا ، والمسائل تطرح لصالح الرّجل ، والتّقييدات تكون على المرأة ، ولكنّ الرّجل مثل المرأة

لهما نفس الحكم إذا كان هدفهما إثارة الفتنة ، فيأتي نفس الحكم لكليهما ، ولا يكون جائزًا للرّجل ، والقرآن الكريم يطلب غضّ البصر من الرّجل والمرأة .

"قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ . . . وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ . . . وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [(١)] .

وفي الآيتين أمور أخرى سنتعرّض لها في بحث الحجاب إن شاء الله تعالى .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠١٩/٣/٢٥ :

من خلال المواصفات الّتي قال عنها دوكنز عن ربّ العالمين ذكر أنّه يقتل قتلًا جماعيًّا ، ويبدو أنّ قصده قصص الأنبياء السّابقين ، هل فعلًا ربّ العالمين قتل النّاس قتلًا جماعيًّا بحيث تكون الأعداد هائلة أو قتل رءوس الكفر وترك غيرهم وهم الّذين لا يوجد عندهم عناد وشنّ الحروب وإيذاء النّبيّ نوح عليه السّلام ؟

مثلًا قوم نوح عليه السّلام كان عددهم ١٠٠ ألف ، وظلّ منهم ١٠٠ شخص فقط .

واستنادًا إلى بيانك لمعنى "كافر" فإنّ ربّ العالمين قتل الكفّار المعاندين ، هل كلّ من قتلهم الله كانوا بهذه الصّفات ؟

[(١)] النور : ٣٠-٣١ .

لا أظنّ أنّ الخبّاز والبقّال كانوا يعاندون ، وإنّما الكفّار الّذين لديهم مصاح اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة .

وهل ممكن أن تكون المعجزة حجّة قويّة حتّى مع غير المعاند بحيث إذا لم يؤمن يستحقّ العقاب ؟

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

يبدو أنّ مع نوح عليه السّلام كان المعاندون أغلبهم ، وحتّى نسلهم سيكون مثلهم ، ولو كان في أصلابهم مؤمن واحد لنجّى الله هذا الكافر لأجل ابنه المؤمن ، ومن الممكن أنّ مجتمعًا يكون عدد المعاندين فيه كثيرين ويكون المؤمنون قليلين ، وغير المعاند لا بدّ أن يستوعب أنّ هذه معجزة لكي تكون حجّة عليه .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠١٩/٤/٩ :

"وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" [١] .

هل يمكن أن نقول إنّ هذه الأمور علاج لكلّ ضيقة صدر أو هي خاصّة بالنّبيّ صلى الله عليه وآله ؟

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

هي علاج ، ولكن لا في عالم الألفاظ ولا في عالم الأعمال فقط ، وإنّما في عالم الأرواح ، فمن يعرف حقيقة هذه الألفاظ والأفعال

---

[١] الحجر : ٩٧-٩٩ .

فيكون من السّاجدين والعابدين حقيقة لله تعالى ، ويعتقد يقينًا بأنّ جميع الأمور بيد الله عزّ وجلّ فإنّ ضيق صدره يرتفع ؛ لأنه يكون تحت سلطة الله العالم القادر الحكيم .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠١٩/٦/١٩ :

عندي مسألة فيما يتعلّق بعالميّة الإسلام واتّهامات عنصريّة الإسلام ضدّ المرأة .

في آية : "**قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**" [٢] .

ظاهر الآية واضح وهو أنّ النساء عظيمات في الكيد ، وفي المقابل حينما نرجع إلى الواقع وخاصّة في عالم السّياسة نرى أنّ المهيمن على عالم السّياسة هم الرّجال ، وفي عالم السّياسة عمالقة الدّهاء والكيد والخبث هم الرّجال ، والآية ليست واقعيّة حينما تقول : "**كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**" ، وعظيم معناه في المرتبة العالية من الكيد ، ولكن من خلال فهمي الخاصّ للآية من الممكن أن يكون "**كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**" في مسألة اتّهام النّبيّ يوسف عليه السلام من أنّه حاول التّحرّش بها أو جرّها لارتكاب الفاحشة ، والمرأة هنا متميّزة بقليل من الدّموع وتقول إنّ هذا الرّجل يتحرّش بي ، وإلى يومنا هذا المرأة يصدّقها النّاس بسرعة ، وهي استغلّت هذه المسألة فبكت قليلًا واتّهمت النّبيّ يوسف عليه السّلام ، فمن الطّبيعيّ أنّ زوجها سيصدّقها إلى أن جاءه الدّليل

---

[٢] يوسف : ٢٨ .

الّذي عرف منه أنّها كاذبة ، فقال لها إنّ كيدكنّ عظيم ، وقصده في هذا الأمر .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

"**كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**" هو كلام العزيز ، وهذا رأيه في هذه المسألة ، وليس كلام الله تعالى ولا كلام يوسف عليه السّلام .

عن الإمام جعفر الصّادق عن أبيه محمّد الباقر عليهما السّلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : اتّقوا الله في الضّعيفين : اليتيم والمرأة ، فإنّ خياركم خياركم لأهله [1] .

زامل الوسمي – ٢٠١٩/٨/١٩ :

شيخنا بناء على قاعدة الإمكان هل نستطيع أن نفترض بأنّه يوجد أكثر من خالق ، ولكن مهمّة التّنظيم أوكلوها لأحدهم ، والعقل أثبت أنّ المنظِّم للكون لا بدّ أن يكون واحدًا ، كما في مثال مدير المدرسة ، فلا بدّ أن يكون المدير واحدًا ، وتعدّد المدراء يؤدّي إلى تضارب القرارات ، ولكن ليس بالضّرورة أن يحتّم العقل أنّ الخالق يكون واحدًا ، فيوجد خالق للشّمس ، وخالق لمجرّة أخرى ، ثمّ اتّفق الخالقون على واحد منهم لتنظيم الأمور ، أو أنّ الباقي موجودين ، ولكن أحدهم تصدّى للإدارة .

---

[1] بحار الأنوار ج٧٦ ص٢٦٨ ح٥ .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

الإله الخالق قدرته مطلقة غير محدودة ، وإذا وُجِدَ إله ثانٍ خلق شيئًا فمعناه أنّ الإله قدرته محدودة ، فلا يكون إلهًا ، أو إذا اتّفقوا على أنّ واحدًا منهم ينظّم الكون فالباقي تكون قدراتهم محدودة غير مُفَعَّلَة فلا يكونون آلهة ، والإله لا بدّ أن يكون واحدًا وقدرته مطلقة مفعَّلة في كلّ شيء ، وإذا وُجِدَ شيء واحد خارج قدرته فلا يكون إلهًا خالقًا لجميع الكون .

تعليق زامل الوسمي :

إذا وجد مجلس إدارة لمؤسّسة ، وأعطى أعضاء المجلس إدارة المؤسّسة لواحد منهم ، فهذا لا يعني أنّ قدرات المدير مطلقة غير محدودة وقدرات أعضاء المجلس محدودة ، فأعضاء المجلس بإرادتهم أعطوا المسئوليّة لهذا العضو ، فإذا افترضنا تعدّد الخالقين فقدراتهم جميعًا غير محدودة ، ولكن هو تصدّى وترك الأعضاء هذه المسئوليّة له ، وإذا غيّر الأعضاءُ المديرَ واستلم عضو آخر فلا نرى أيّ فرق في الإدارة ، فلو استلم إله آخر مكان الإله الأوّل في إدارة وتنظيم الكون فلا يتغيّر شيء ، وهذا الكلام بالنّسبة لعقلي مقبول ، ولكن بما أنّ الله قال في القرآن الكريم بأنّه هو الخالق الوحيد وأنّه الإله الّذي لاشريك له – فمن الطّبيعي أنّ كلامي يكون باطلًا .

ردّ الشّيخ محمّد أشكناني :

يستحيل قياس الله سبحانه على الإنسان ؛ لأنّ الإنسان قدراته

محدودة ، لذلك أعضاء المجلس أعطوا الإدارة لأحدهم ، ولكنّ الإله الخالق قدراته مطلقة غير محدودة ، فلا يحتاج إلى شريك أو معاون ، وقدرته مُفَعَّلَة دائمًا فتكون شاملة لكلّ شيء ، فهو قادر على كلّ شيء ، وإذا إله آخر أعطوه الوكالة في إدارة جزء من الكون فلا يكون قادرًا على كلّ شيء ، فهو يدير جزءًا من الكون ، والجزء الآخر يكون بيد إله آخر ، فكلاهما تكون قدرته محدودة ؛ لأنّ قدرة الأوّل تقف عند حدّ قدرة الثّاني ، وقدرة الثّاني تقف عند حدّ قدرة الأوّل ، فلا يكونان قادرين على كلّ شيء ، فلا يكونان إلهين ، والإله لا بدّ أن يكون قادرًا على كلّ شيء ، لذلك يكون الإله واحدًا لا شريك له ولا نظير .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠١٩/١٠/٨ :

أريد أن أسأل عن الميراث ، يقال بأنّ الرّجل يأخذ ضعف نصيب المرأة ، فيوجد اعتراض على الموضوع ؛ لأنّ ظروف زماننا تختلف عن ظروف زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فالمرأة الآن تشارك في مصاريف البيت ، فما هو الرّدّ ؟

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

لو كان الرّجل يأخذ ضعف حصّة المرأة دائمًا لقلنا بأنّه مرتبط بالظّروف ، ولكنّ الضّعف يأتي في مورد الإخوة والأخوات فقط .

والمسألة هي : إذا لم يكن للميّت أقارب إلّا الأولاد ورثوا المال كلّه ، فإذا كانوا ذكورًا وإناثًا كان للذّكر ضعف حصّة الأنثى .

مثلًا من مات عن ولد وبنت قسّم ماله ثلاثة أقسام ، وأعطي الثّلثان للولد ، والثّلث للبنت .

ففي حالة الإخوة والأخوات فقط يعطى للذّكر ضعف نصيب الأنثى .

وتوجد حالات تأخذ فيها الأنثى أكثر من الذّكر أو تكون مساوية له :

الحالة الأولى :

لو اجتمع الأبوان مع بنت واحدة يقسّم المال خمسة أقسام ، فلكلّ من الأبوين خمس ، وللبنت ثلاثة أخماس .

هنا من جهة أخذ الذّكر نفس نصيب الأنثى ، وهو الخمس ، ومن جهة أخرى أخذت الأنثى ثلاثة أضعاف نصيب الذّكر .

الحالة الثّانية :

إذا اجتمع أحد الأبوين مع بنت واحدة فيعطى ربع المال للأب أو الأمّ ، ويعطى الباقي للبنت .

هنا إذا كان الأب فله الرّبع والبنت أخذت ثلاثة أرباع ، فالأنثى أخذت ثلاثة أضعاف حصّة الذّكر ، وإذا كانت الأمّ فلها الرّبع أيضًا وأخذت البنت ثلاثة أرباع ، ولا نرى التّساوي بين حصّتي الأنثى .

الحالة الثّالثة :

أن يجتمع أحد الأبوين مع ابن وبنت معا ، فيعطى سدس المال للأب أو الأمّ ، ويقسّم الباقي للذّكر ضعف الأنثى .

هنا إذا كان الأب فله السّدس ، ويقسم خمسة أسداس للذّكر ضعف الأنثى ، فالأنثى أخذت أكثر من الذّكر .

الحالة الرّابعة :

إذا كان للميّت أحفاد : بنت الابن ، وولد البنت ، فترث بنت الابن حصّة أبيها ، وهي الثّلثان ، ويرث ولد البنت حصّة أمّه ، وهي الثّلث .

هنا أخذت الأنثى ضعف حصّة الذّكر .

النتيجة :

الضّعف يأتي في حالة الإخوة والأخوات فقط ، وتوجد حالات كثيرة تأخذ فيها الأنثى أكثر من نصيب الذّكر بأضعاف .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠١٩/١٠/٩ :

أسمع دائمًا عن برهان النظم ، ولا أفهمه تمامًا ، ولكن فهمي عن هذا البرهان أنّ ارتباط الكون ببعضه البعض دلالة على وحدانيّة الخالق ، وإذا كان فهمي صحيحًا فبعد اكتشاف نظريّة الانفجار العظيم وأنّ الكون مصدره انفجار واحد فيثبت أنّ الخالق واحد ، وقبل النّظريّة كانوا يقولون بتعدّد الآلهة ، مثلًا إله خالق للشّمس ، وإله آخر خالق القمر ، وإله ثالث خالق المريخ ، والآن يقولون إنّ الكون تأسّس من انفجار واحد ، والانفجار الواحد دليل على أنّ الإله الخالق واحد ، فلا نحتاج إلى برهان النّظم ، والعلم أثبت أنّ الانفجار العظيم هو مصدر إنشاء الكون .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

في إثبات وجود الخالق نأتي بعدّة أدلة ، فإذا ثبت عدم صحّة أحد الأدلّة فعندك الأدلّة الأخرى ، والانفجار العظيم عبارة عن نظريّة قد يثبت خطؤها في يوم ما فيكون عندك برهان النّظم الواضح الّذي يراه كلّ شخص وخاصة علماء الفلك وعلماء الكون .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠١٩/١٠/١٦ :

عندي استنتاج ، وأريد أن أعرف أنّ استنتاجي صحيح أو لا ، يوجد تفاوت بين النّاس ، هذا غنيّ وأنا فقير ، هذا جميل وأنا قبيح ، هذا صحيح وأنا مريض ، لو كنت أريد أن أحسبها حسابًا دنيويًّا بحتًا فلا يمكن أن أتقبّل أنّ المسألة فيها عدالة ، لماذا أنا بين جميع النّاس في العالم صرت فقيرًا ؟

وإذا لا أملك جوازًا للسّفر وأريد أن أسافر إلى الحجّ فلا يمكنني ، ولا أملك دليلًا منطقيًّا على أنّه توجد عدالة في الموضوع بالحساب الدّنيويّ ، نعم أراها قمّة العدالة والرّحمة إذا رَبَطْتُ المسألة بالآخرة ، وأنّها مسألة بلاء ، وأنّ كلّ إنسان لا بدّ أن يصيبه البلاء ، وكلّما زاد البلاء صعوبةً وقسوةً كلّما زاد ثوابه بالآخرة ، وفي الرّوايات إنّ النّاس الكثيري البلاء حينما يرون الثّواب يوم القيامة يقولون يا ربّي لو زدت بلاءنا أكثر في الدّنيا .

والخلاصة أنّي أربط المسألة بالآخرة ، وأمّا في الدّنيا فلا يمكن أن أقنع نفسي وغيري بأنّ فيها عدالة ، فأنت فقير وغيرك غنيّ ، إلّا أن

ننظر إلى المسألة بحساب البلاء والثّواب في الآخرة ، فتصير عدالة ورحمة .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

المشكلة أنّ الإنسان يرى مشكلةً واحدةً في حياته فيعتبر أنّ الله غير عادل ، حتّى بالمقاييس الدّنيويّة كم أنعم الله من النّعم على الإنسان ؟

ملايين النّعم ، ولكن قد يسلب منه شيئًا واحدًا فيقول إنّ الله غير عادل ، لماذا أعطى غيري ولم يعطني ؟

نعم سلب منه شيئًا ، ولكن بالمقابل أعطاه مليون شيء ، وقد يسلب الله شيئًا ويعوّضه بشيء آخر ، مثلًا الأعمى سمعه يصير أقوى ، وقد تزداد معاصي الغني ، والفقير يكون بعيدًا عن المعاصي ، والجميل قد يرتكب المعاصي بسبب انجذاب النّساء له ، والقبيح يكون بعيدًا عن هذه المعاصي لأنّ النّساء لا يرغبن فيه ، وهذا القبيح قد تكون أخلاقه عاليةً جدًّا .

إذن بالمقاييس الدّنيويّة لا بدّ أن نقيس عدد البلاءات إلى عدد النّعم ، وسنرى أنّ ابتلاءً أو ابتلاءين أو ثلاثة لا شيء بالنّسبة إلى النّعم الكثيرة ، وبالمقاييس الأخرويّة البلاء فيه ثواب عظيم كما قُلْتَ ، فلا بدّ أن نغيّر نظرتنا إلى الأمور الدّنيويّة ، وبذلك نرتاح ، ولا تنشأ عندنا إشكالات وشبهات .

"أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم

مَّسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا . . ." [١] .

"فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ" [٢] .

تعليق زامل الوسمي :

كلامك ممتاز ، والله يعطيك العافية على هذا الجواب ، أنا قلت بأنّه بالنّظرة الدّنيويّة لا يوجد دليل منطقيّ ، ولكن من خلال كلامك أسحب كلامي عن عدم وجود الدّليل المنطقيّ ، ولكن هل استنتاجي صحيح عن الحساب الأخرويّ ؟

وأرى فائدة البلاء وتفاوت النّاس لا فقط بالنّسبة للمبتلين ، نحن نرى أنّ الفقر شيء سيّئ ، فحتّى الغِنَى بلاء ، وليس له مردود في الآخرة إذا لم يتصرّف بالمال بما يرضي الله ، فكلّ النّاس في بلاء .

ردّ الشّيخ محمّد أشكناني :

نقيس جميع الأمور الدّنيويّة بالمقياس الأخرويّ ، وبهذه الطّريقة نرى الدّنيا بنظرة أخرى ، فالدّنيا مزرعة الآخرة ، فتزرع في الدّنيا بحسب الإمكانات المتوفّرة عندك وتحصد يوم القيامة .

مثلًا الفقير لا يملك المال ، ولكنّ الصّدقة غير منحصرة بالمال .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله : "الكلمة الطيّبة صدقة" [٣] .

---

[١] البقرة : ٢١٤ .

[٢] الفجر : ١٥-١٦ .

[٣] بحار الأنوار ج٧٤ ص٨٥ .

وإذا أغلق الله بابًا فإنّه عزّ وجلّ يفتح لك ألف باب ، وبالنّسبة للحجّ إذا كان عند الشّخص موانع ولا يستطيع الذّهاب إلى الحجّ فيمكنه أن يعطي مصاريف الحجّ لشخص قادر على الذّهاب ولا يملك المال ، فيحصل على ثواب الحجّ .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "إنّما الأعمال بالنّيّات ، ولكلّ امرئ ما نَوَى" [١] .

عن الإمام أبي عبدالله جعفر الصّادق عليه السّلام : "نيّة المرء خير من عمله" [٢] .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠١٩/١١/٢٤ :

ماذا نفهم من قوله تعالى : **"فَاليَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"** [٣] ؟

هل معناه أنّ جزاء الإنسان نتيجة عمله ، فإن كان عمله خيرًا دخل الجنّة ، وإن كان شرًّا دخل النّار ؟

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

معناه أنّ جزاء الإنسان يكون نتيجة عمله ، فإن كان عمله صالحًا حصل على الثّواب ، وإن كان عمله سيّئًا حصل على الذّنب ، وأمّا

---

[١] أمالي الطّوسي ج٢ ص٢٣١ .

[٢] الكافي ج٢ ص٨٤ ح٢ .

[٣] يس : ٥٤ .

إدخال الجنّة أو النّار فهو من مختصّات الله عزّ وجلّ ، وليس من صلاحية أحد إدخال أيّ إنسان الجنّة أو النّار إلّا بإذن الله تعالى .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠١٩/١١/٢٦ :

تقديم المصطلحات المنطقيّة بهذه الطّريقة من الأفضل أن لا يتمّ ذكرها في المحاضرة ، فهي مزعجة وتتعب العقل بدون فائدة ، ابدأ مباشرةً بالمثال ، وحينما تتحدّث عن صورة الشّيء وانعكاسه هذا يتعبني ، وحينما تقدّم المثال يتّضح حديثك ، ولكن ذهني يكون قد تعب من الموضوع المنطقيّ ، وقبل فترة أردت أن أدرس المنطق ورأيت أنّ المصطلحات متعبة ، مع أنّنا في حياتنا نمارس المنطق ، تصوّر وتصديق ، ويومها زعلت على المنطق وتركته ، والإنسان في الغالب منطقيّ بطبعه ، نعم بعض النّاس غير منطقيّين ، فالتّفكير المنطقيّ يقوم به الإنسان ، ولا شغل لنا بنفس علم المنطق ، وحينما سمعت المحاضرة تأذّيت كثيرًا ، كلام سلس وحلو ومفيد ، ولكنّ المصطلحات المنطقيّة كانت متعبة ، أتمنّى أن تجد لها حلًّا ، وإذا لم يمكن الحلّ كان الله في عوننا .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

نحتاج إلى هذه المقدّمة عن التّصوّر والتّصديق لكي نصل إلى تصوّر الإله ، وقدر الإمكان لا أستعمل المصطلحات في محاضراتي وكتبي ، وإذا استعملت المصطلحات فأحاول تبسيطها إلى أقصى ما يمكن ،

نعم تحتاج إلى تركيز ، ويحتاج المستمع إلى إعادة المحاضرة مرّتين أو ثلاث .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠٢٠/٤/٦ :

يحذّر الاقتصاديّون فيما لو طالت أزمة كورونا واستمرّ الشّلل الّذي يعيشه العالم أن يتسبّب في أزمة اقتصاديّة كبيرة تكون نتائجها عشرات بل ربّما مئات الملايين من البطالة أي أنّ هناك ملايين العائلات قد تكون مهدّدة بالجوع ممّا يتسبّب في كثرة السّلب وغيره من الجرائم ، فنحن بين نارين : نار أن نحمي أنفسنا من انتشار المرض ، ونار أن نحمي أمننا الاقتصاديّ والاجتماعيّ ، وإذا ما فقدنا هذين الأمانين ستكون عواقبه أكبر من انتشار مرض الكورونا ، فما هو المفروض أن نعمل كمسلمين ؟

شيخنا أريد جوابًا فيما يتعلّق بنظرتك لعالميّة الإسلام الّذي يمكنه أن يحلّ مشاكل العالم .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

ننظر إلى أنّ جميع النّاس في العالم إمّا إخوة في الدّين وإمّا إخوة في الإنسانيّة ، فانطلاقا من الأخوّة الدّينيّة أو الأخوّة الإنسانيّة يتمّ التّعاون بين جميع النّاس ، فالغنيّ يعطي الفقير ، وهناك أغنياء يملكون المليارات من الأموال فيمكن للدّول فرض ضرائب على الأغنياء ، وهنا يأتي موضوع الزّكاة على كلّ ما له ماليّة عرفيّة ، والشّيء الّذي له

ماليّة عرفيّة هو الشّيء الّذي يعطيه النّاس قيمة ماليّة ، وهو كلّ ما يمكن أن يباع ويشترى .

ويمكن الاعتماد على الآيات التّالية من القرآن الكريم :

"**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** . . ." [١] .

". . . **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** . . ." [٢] .

". . . **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** . . ." [٣] .

والتّعارف ليس مجرّد المعرفة فقط ، وإنّما فتح باب التّعاون على الخير بين الشّعوب .

". . . **وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ** . . ." [٤] .

". . . **وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ** . . ." [٥] .

"**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** . . ." [٦] .

"**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**" [٧] .

---

[١] الحجرات : ١٠ .

[٢] المائدة : ٢ .

[٣] الحجرات : ١٣ .

[٤] النّساء : ٣٩ .

[٥] البقرة : ٢٨٠ .

[٦] التّوبة : ٦٠ .

[٧] المعارج : ٢٤-٢٥ .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠٢٠/٤/٢٧ :

"ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ" [١] .

هل يمكننا أن نخمّن بأن وباء الكورونا هو عقاب إلهيّ للظّلمة والفاسدين والرّاضين بهذا الظّلم والفساد والمستسلمين للظّلم دون مقاومة ؟

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

لا نعلم إذا كان الوباء عقاب أو اختبار أو فتنة أو بلاء أو . . . ، ولقد أصاب المرض جميع النّاس ، ولم يفرّق بين مسلم وغير مسلم ، فلله عزّ وجلّ في خلقة شئون وشئون ، وبشكل عامّ هو بلاء لجميع النّاس لتعرف البشريّة أنّها متعاونة مع بعضها البعض أو لا ، فجميع النّاس إخوة لأب واحد وأمّ واحدة .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠٢٠/٥/١١ :

الآية الكريمة : **"وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا"** [٢] .

"وَهُوَ مُؤْمِنٌ" أليس هو تقييد بالمؤمن أو الإيمان ؟

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

ذكرت في المحاضرة (٢٨) أنّ القاعدتين لم تقيّدا بالمسلم أو بغير المسلم ، والآية فيها تقييد بالإيمان ، والإيمان غير الإسلام ؛ لأنّ

---

[١] فاطر : ٢٦ .

[٢] النّساء : ١٢٣-١٢٤ .

الإيمان أوسع دائرة ، وأتباع الأديان السّابقة مؤمنون ، ولكن غير مسلمين بالإسلام بالمعنى الأخصّ ؛ لأنّهم يهود أو مسيحيّون ، وهم مسلمون بالمعنى الأعمّ .

وكلامي هنا عن جزاء العمل بشكل عامّ لا خصوص دخول الجنّة ، فمن يعمل صالحًا أو سيّئًا يُجْزَ به ، ولا أريد أن أبيّن نوعيّة الجزاء .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠٢٠/٥/١٣ :

الرّجل والمرأة متساويان بالعقل ، ولكن بسبب أنّ العاطفة عند المرأة قويّة فهذا يؤثّر على منطقيّتها وعقلانيّتها ، وهذه قاعدة عامّة ، والعاطفة تؤثّر أيضًا على عقلانيّة الرّجال ، ولكن لأنّها طافحة عند المرأة فنراها أكثر شيء عند النّساء ، وكم من أب تصرّف بشكل غير عقلانيّ ؛ لأنّ عاطفة الأبوّة جعلته يبتعد عن عقلانيّته مع أولاده ، وأقول قليلة عند الرّجال إذا ما قارنّاها بالنّساء .

ويقول البعض بأنّك تجامل النّساء ، وتناقش في بعض الأحكام الشّرعيّة .

وأنا عن نفسي استفدت كثيرًا من محاضرات عالميّة الإسلام ، وكلّ جزء من كتاب "عالميّة الإسلام" أجمل من الّذي قبله ، وأنا بانتظار بحوث الفقه العمليّ منذ أن بدأتم بالمحاضرات .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

قولك : "الرّجل والمرأة متساويان بالعقل" ، هذا المقدار نحتاجه ؛

لأنّ الكلام المتداول هو أنّ عقل المرأة أقلّ من عقل الرّجل ، ثمّ يأتي الكلام في أنّ العاطفة تؤثّر على التّفكير لا على العقل ، وهذا التّأثير أكثر في المرأة أو الرّجل ، ولكن هذه بحوث خارج الكلام ؛ لأنّ الكلام عن أصل العقل .

وقول البعض بأنّي أجامل النّساء أو أناقش في بعض الأحكام الشّرعيّة ، هذا الرّدّ ليس ردًّا علميًّا ؛ لأنّي أذكر الأدلّة في كل بحث ، والرّدّ العلميّ لا بد أن يكون على الأدلّة ، وأمّا الاتّهامات فليس لها قيمة علميّة .

ومن يريد أن يردّ لا بدّ أن يثبت أوّلًا أنّ الحكم الشّرعيّ هو أنّ عقل المرأة أقلّ من عقل الرّجل ، وكون عقل المرأة أقلّ من عقل الرّجل أو متساويين ليس حكمًا شرعيًّا ، بل هو بحث في أمر تكوينيّ ، نعم الحكم الشّرعيّ هو أنّ المرأة تترك الصّلاة والصّيام أثناء دورتها الشّهريّة ، ولكن هذا ليس دليلًا على نقصان عقلها ودينها ، ونعرف جميعًا أنّ البنت تكون مكلَّفة قبل الولد ، فهي مكلّفة عندما يكون عمرها تسع سنوات هجريّة حسب قول المشهور ، والولد يكلّف عندما يصل إلى خمس عشرة سنة أو تظهر عليه علامات البلوغ ، والتكليف لازمه العقل ، فمعنى ذلك أنّ عقل المرأة يكون أكمل من عقل الرّجل ؛ لأنّها تكون مكلّفة قبله بستّ سنوات .

ونقاشنا في الأحكام الشّرعيّة بحث علميّ لا بحث فتوائيّ ، فأنا لا أقدّم فتاوى ، وإنّما أبحث في الأدلّة الّتي تذكر للأحكام ؛ لنرى أنّها

تدلّ على هذا الحكم أو لا تدلّ ، وهذا ليس نقاشًا في الأحكام ، وإنّما هو بحث علميّ في أدلّة الأحكام .

والمشكلة أنّ الّذين يعلّقون لا يردّون على الأدلّة ، مثلًا في بحث المرأة ذكرت آيات قرآنيّة ، ومن يريد أن يردّ فلا بدّ أن يثبت أنّ هذه الآيات القرآنيّة تثبت أنّ عقل المرأة أقلّ من عقل الرّجل ، والنّقاش العلميّ لا بدّ أن يكون في الأدلّة ، وخاصّة إذا كان المعلِّق من طلبة الحوزة .

وشخص كتب لي بأن أراجع التّفاسير قبل البحث في الآيات ، فكتبت له بأنّي أراجع التّفاسير ، ولكن إذا لم يكن عند المفسّر دليل على رأيه فلا آخذ برأيه ، وإذا لم يكن عند المفسّر اطّلاع جيّد على مسائل اللّغة فلا يمكنني التّسليم برأيه لأنّه مخالف لقواعد اللّغة ، وفي المحاضرات أذكر البحوث اللّغويّة الّتي أعتمد عليها ، وأوّل شرط من شروط تفسير القرآن أن يكون المفسّر مُلِمًّا بمسائل اللّغة .

وأسأل الله عزّ وجلّ أن يوفّقني لفتح باب جديد في فهم النّصوص الدّينيّة وربطها ببعض للوصول إلى أحكام تناسب عالميّة الإسلام ، وهو طريق صعب بسبب وجود القوالب الفكريّة في الأذهان ، والتّدبّر في آيات االقرآن يفتح أبوابًا جديدة في فهم الدّين ، كما في موضوع "قاتلوا الّذين يقاتلونكم" ، فنستخرج أحكام القتال من القرآن قبل الرّجوع إلى الرّوايات .

والقرآن مهجور كما في الآية الكريمة :

"وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا" [1] .

وأمس كنت أقرأ في أحد الكتب الاستدلاليّة في الفقه لأحد العلماء ، وأتى برواية ولم يذكر السّند واستنبط منها أحكامًا شرعيّة ، وحينما بحثت عن الرّواية وجدت أنّها مرويّة عن أحد الرّواة الضّعاف ، والمصدر ليس من مصادر مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، ومثل هذه الرّواية لا تشكّل دليلًا على الأحكام في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .

وانتظروا إلى أن نصل إلى مباحث الفقه العمليّ ، وفي بحوثنا نبدأ بالفقه العقائديّ ثمّ الفقه الأخلاقيّ لأنّها أبحاث مهملة ، وبعد ذلك سنأتي إلى الفقه العمليّ ، ولا بدّ أن نبحث أوّلًا في نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ؛ لأنّ هذه النّظريّة تدخل في جميع أبواب الفقه العمليّ ، وسأذكر الرّأيين بناءً على دخالة الزّمان والمكان في الأحكام وعدم دخالتهما ، والسّامع والقارئ يمكنه أن يحكم بأنّ أيّ الرّأيين يتناسب مع عالميّة الإسلام .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠٢٠/٥/١٤ :

هذه فقرة من دعاء كميل تتوافق مع طرحك عن الكافر الّذي يدخل النّار ، ونظرة عموم المسلمين لا تنسجم مع الرّحمة الإلهيّة .

في دعاء كميل : "فباليقين أقطع لولا ما حكمت به من تعذيب جاحديك ، وقضيت به من إخلاد معانديك ، لجعلت النّار كلّها بردًا

---

[1] الفرقان : ٣٠ .

وسلامًا ، وما كان لأحد فيها مقرًّا ولا مقامًا ، لكنّك تقدّست أسماؤك أقسمت أن تملأها من الكافرين من الجنّة والنّاس أجمعين ، وأن تخلّد فيها المعاندين" .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

نعم هي فقرة مناسبة حيث أشار إلى الجاحدين والمعاندين ، ثمّ ذكر دخول الكافر إلى النّار ، فيتبيّن أنّ الكافر هو الجاحد المعاند ، كما في الآية الكريمة :

"وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا" [١] .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠/٥/٢٠٢٠ :

قوله تعالى :

"قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أو يُسْلِمُونَ" [٢] .

شيخنا بحسب السّياق لا أرى تعارضًا ، الآية تذكر القتال أو دخول الإسلام ، فيقاتلونهم لأجل دخول الإسلام .

هل المقصود بيسلمون هو الاستسلام أو السّلم ؟

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

بدلالة الآيات الّتي مرّت في بحث "قاتلوا الّذين يقاتلونكم" ما دام

---

[١] النّمل : ١٤ .

[٢] الفتح : ١٦ .

أنه يوجد كلمة "قتال" فمعناه أنه يوجد طرف آخر بدأ بالقتال ، ودور المسلمين هو الدّفاع ، فالمسلمون يدخلون الحرب ويقاتلون دفاعًا عن أنفسهم ، وإذا دخل الطّرف الآخر الإسلام طواعيةً وألقى السّلاح فالقتال يتوقّف لأنّهم إخوانهم في الدّين ، وليس معنى الآية قتالهم لأجل دخول الإسلام بالقوّة والإكراه ، والآية معناها تقاتلونهم لأنّهم بدأوا القتال ، وإذا أسلموا وأوقفوا القتال فأنتم أيضًا توقفون القتال ، فنحن هنا بين شقّين : الشّقّ الأوّل : تقاتلونهم لأنّهم بدأوكم بالقتال ، والشّقّ الثّاني : لا تقاتلونهم لأنّهم أسلموا وأوقفوا القتال .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠٢٠/٦/١٦ :

رأيت قبل قليل حلقة عن عالم روسيّ في علم الإنسان ، يقول من خلال البحث في نظريّة التّطوّر اكتشف العلماء الكثير ممّا يثبت صحّة النّظريّة .

سؤالي هو أين الاختلاف لو كان الكون منذ الانفجار العظيم وهو في حالة تطوّر على مدار مليارات السّنوات إلى أن أصبحت الأرض قابلة لعيش الإنسان فيها ، وكذلك المخلوقات في الأرض تطوّرت مع تطوّر الأرض لتتكيّف مع ما استجدّ في الأرض ، والإنسان ثبت أنه فيه مشتركات كثيرة مع باقي الحيوانات ، فهل من الممكن أنّه مع التّطوّر وصلنا إلى مرحلة ما قبل الإنسان العاقل الّذي تكلّمت عنه الملائكة في قولهم : **"أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ"** [١] ،

---

[١] البقرة : ٣٠ .

فكانت المرحلة الأخيرة هو أبونا آدم عليه السّلام ، ومنه نشأ الإنسان العاقل ؟

بالنّهاية كلّه راجع للإرادة والحكمة الإلهيّة ، فنظريّة التّطوّر لا تشجّع على الإلحاد إلّا إذا عاندها المؤمنون ، فأصبحوا في نظر النّاس أنّهم ضدّ العلم ، ولكن نستطيع بكثير من الطّرق أن نقارب بين النّظريّة والدّين .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

أرجو الرّجوع إلى كتاب عالميّة الإسلام الجزء الرابع ص٦٢-٦٥ حيث أشرت إلى نظريّة التّطوّر .

زامل الوسمي – الكويت ٢٠٢٠/٦/٢٢ :

يقول علماء النّفس إنّ من أكثر ما يجلب لك السّعادة ليس هو المال ، وإنّما إنفاق المال في عمل الخير ، فتبرّعك للفقراء يأتي لك بالسّعادة ، شراء بيت أو سيّارة يشعرك بسعادة مؤقّتة ، فإذا تبرّعت بمالي في سبيل الله لأجل أن أشعر بالسّعادة هل يوجد شرك في النّيّة ولا تكون النّيّة خالصة لله أو أنّ هذا الشّعور لا يضرّ بإخلاص النّيّة لله تعالى ؟

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

هذا الشّعور لا يضرّ بخلوص النّيّة لله تعالى ، فالمؤمن يشعر بالسّعادة لما يقوم به من أعمال الخير .

عبّاس عبدالله دشتي – الكويت ٢٠٢٠/٧/١٣ :

لو ثبتت نظريّة الانفجار العظيم ووجود البيضة الكونيّة وسألنا : من أوجد هذه البيضة ؟

وقال الملحد : لا تسألني عمّا قبل الانفجار واسألني عمّا بعده .

وقلنا له : إنّ طلبكم بالسّكوت عمّا قبل الانفجار العظيم غير صحيح .

وإذا جاء ملحد وقال : أنتم تقولون نفس الشّيء ، فإذا سألناكم كيف وجد الإله – فلا يوجد عندكم جواب .

أنا شخصيًّا غير شاكّ بهذه النّقطة ، ولكن كيف أردّ على السّؤال بما أنّ السّائل غير مسلم ولا يمكنني الاحتجاج عليه بالأدلّة الواردة في القرآن والسّنّة ؟

كيف أبيّن له الاختلاف بين وجود البيضة الكونيّة وبين وجود الإله ؟

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

يوجد جوابان :

الجواب الأوّل :

نقول له إنّ سؤالك غلط ، فحينما نقول إله فمعناه خالق غير مخلوق ، ولا يصحّ أن تسأل عن الخالق من خلقه ؛ لأنّه خالق ، وإذا صار مخلوقًا فيوجد تناقض في الكلام ، والتّناقض باطل ، فالشّيء إمّا أن يكون خالقًا وإمّا مخلوقًا ، ولا يجتمعان لأنّهما نقيضان .

الجواب الثّاني :

نسأله : الإله خالق أو مخلوق ؟

فإذا قال خالق – ثبت المطلوب .

وإذا قال مخلوق فنقول له إذن هو ليس إلهًا ، فلا بدّ أن يوجد إله ثانٍ .

نأتي إلى هذا الإله الثّاني ونسأل الملحد : الإله الثّاني خالق أو مخلوق ؟

فإذا قال خالق – ثبت المطلوب .

وإذا قال مخلوق فنقول إذن هو ليس إلهًا ، فلا بدّ من وجود إله ثالث .

وهكذا نسأله إلى أن نصل إلى وجود الإله الخالق غير المخلوق .

والسّلسلة لا تستمرّ إلى الأبد ، ولا بدّ أن نصل إلى مكان تقف فيه السّلسلة ويكون الإله الخالق غير المخلوق موجودًا ؛ لأنّ التّسلسل باطل ، فيثبت المطلوب .

وأعطيك مثالًا عرفيًّا عن التّسلسل :

إذا كان عندك معاملة في وزارة ، وتذهب إلى الموظّف وتطلب منه توقيعه على المعاملة ، فيقول لك : أنا لا أوقّع معاملتك إلّا إذا وقّع رئيس القسم قبلي .

تذهب إلى رئيس القسم ويقول لك : أنا لا أوقّع معاملتك إلّا إذا وقّع المراقب قبلي .

تذهب إلى المراقب ويقول لك : أنا لا أوقّع معاملتك إلّا إذا وقّع المسئول الّذي فوقي قبلي .

تذهب إلى آخر مسئول وهو المسئول الأوّل الّذي لا يوجد فوقه مسئول ، فإذا وقّع المعاملة ترجع إلى المسئول الّذي قبله فيوقّع لك ، وهكذا إلى أن تصل إلى الموظّف فيوقّع لك وتأخذ معاملتك جاهزة .

وإذا لم تَنْتَهِ السّلسلة ، وكلّ مسئول يقول اذهب إلى المسئول الّذي فوقي ، والمسئولون لا ينتهون ، ولا يوجد مسئول أوّل ، فلا تحصل على التّوقيع منه ، فمعاملتك لا يوجد عليها أيّ توقيع ، ولا تستلم معاملتك ، فنقول إنّ التّسلسل إلى ما لا نهاية باطل ، فالتّسلسل يؤدّي إلى عدم وجود أيّ توقيع على معاملتك ، وبالتالي فإنّ معاملتك لا تنتهي ولا تستلمها .

النّتيجة :

المخلوقات لكي توجد لا بدّ أن تنتهي إلى خالق غير مخلوق ، فيثبت المطلوب .

وإذا سلسلة المخلوقات لا تنتهي إلى خالق غير مخلوق فلن يوجد أيّ مخلوق ؛ لأنّه لا يوجد خالق أوّل ، والتّسلسل إلى ما لا نهاية باطل ، فالتّسلسل يؤدّي إلى عدم وجود أيّ مخلوق .

عالميّة الإسلام

(٥٣)

سؤال للملحد :

هل الكون له بداية أو لا ؟ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أوّل سؤال للبحث :

نبدأ البحث عن الإله الخالق للكون بأوّل سؤال نوجّهه للملحد وننتظر منه الجواب :

هل الكون حادث أو أزليّ ؟

بعبارة أخرى :

هل الكون له بداية أو لا ؟

وهذا السّؤال قديم جدًّا ، طرحه الإنسان منذ أن بدأ يفكّر ، فكان يرى الكون بما فيه من نجوم وكواكب ، فيتساءل عن بداية

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٧ ذو الحجة ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٨/٩ م .

الكـون : هـل الكـون لـه بدايـة أو لا ؟ هـل الكـون حـادث أو أزليّ قديم ؟

الأزلي هو الّذي ليس له بداية ، فبدأ بهذا التّساؤل ، وبدأ التّفكير للوصول إلى جواب ، هل هذا الكون الّذي نعيش فيه له بداية أو لا بداية له ؟

في كتابه "العلم ووجود الله – هل قَتَلَ العِلْمُ الإيمانَ بوجودِ الله؟ [١]" God's Undertaker: Has Science Buried God? يقول جون لينوكس John Lennox : يشكِّل سؤالُ ما إذا كان للكون بدايةٌ أهمّيّةً جوهريّةً لتاريخ الفكر ، وعلى مرّ التاريخ طُرِحَ العديد من الآراء . . . [٢] .

إنّ سؤال أنّ الكون له بداية أو لا – هو سؤال جوهريّ لتاريخ الفكر الإنسانيّ .

---

[١] الصّحيح أن يترجم العنوان إلى "العلم ووجود الإله" ، والعنوان الفرعيّ "هل قتل العلم الإيمان بوجود الإله ؟" لأنّ الكلمة بالإنجليزية GOD وليس ALLAH ، والمسلمون يسمّون الإله الخالق "الله" ، والغربيّون يقصدون الإله ، وأحيانا يقصدون إله اليهود أو إله المسيحيّين ، ولا يقصدون إله المسلمين ، والهدف من العنوان هو أنّه مع وجود العلم لا نحتاج إلى الإله ، فالعلم يفسّر كلّ شيء ، فلا نحتاج إلى الإله ، وكان الناس في الماضي يحتاجون إلى الإله لتفسير الحوادث الكونيّة ، والآن يجيب العلم عن أيّ مسألة كونيّة .

[٢] العلم ووجود الله ص١١٤ .

هذا السّؤال له أحد جوابين ، ولا يوجد له جواب ثالث ، والجواب يقع بين الإثبات والنّفي ، ولا يوجد بين الإثبات والنّفي شيء ثالث : إمّا أن تقول نعم وإمّا أن تقول لا ، فإمّا أنّ الكون له بداية أي لم يكن ثمّ كان ، وإمّا أنّ الكون ليس له بداية فهو أزليّ .

فإذا قلنا إنّ للكون بداية – توجد لوازم وآثار تترتّب عليه ، وإذا قلنا ليس للكون بداية – فهناك لوازم وآثار تترتّب .

حدّد موقفك ، وكلّ إنسان لا بدّ أن يحدّد موقفه حتّى الملحد ، وسؤالنا موجّه للملحد ؛ لأنّ المؤمن بوجود الإله يعتقد أنّ الكون حادث وله بداية وليس أزليًّا .

ويقول لينوكس : إلّا أنّه في جزء كبير من العصر العلميّ الحديث عَقِب كوبرنيكس وجاليليو ونيوتن تحوّل الفكر عمومًا إلى الاعتقاد بأنّ الكون لانهائيّ من حيث عمره واتّساعه ، ومن منتصف القرن التّاسع عشر بدأت هذه الفكرة تتعرّض لضغوط متزايدة حتّى أنّها فقدت تماسكَها كلّيّة ، وذلك لأنّ الاعتقاد ببداية الكون أصبح مرّة أخرى يمثّل رأي معظم العلماء المعاصرين ، فبعض الدّلائل المبنيّة على الانزياح نحو الأحمر Red Shift في الضّوء الصّادر من المجرّات البعيدة ، وخلفيّة الموجة الصّغيرة الكونيّة Cosmic Microwave Background والدّيناميكا الحراريّة Thermodynamics قادت العلماء إلى صياغة النّموذج القياسيّ للكون المعروف باسم "الانفجار الكبير" [١] .

---

[١] العلم ووجود الله ص١١٥ .

ويقول لينوكس : ومن ثمّ فهناك اتّفاق عامّ حاليّا على أنّ الكون له بداية [1] .

كانوا سابقًا يعتقدون أنّ الكون لانهائيّ وليس له بداية ، ولكن من منتصف القرن التّاسع عشر بدأ العلماء يقولون ببداية الكون ، وهناك اتّفاق عامّ بين العلماء حاليًّا على أنّ الكون له بداية .

الانزياح نحو الأحمر من ألوان الطّيف بسبب تمدّد الكون واستمراره في الاتّساع ، وجميع النّجوم والمجرات تبتعد عنّا .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ" [2] .

وهذا التّوسّع يكشف أنّ الكون له بداية ، فما دام أنّ الكون يتّسع فمعنى ذلك أنّه لو رجعنا عبر الزّمن إلى الماضي سنصل إلى أنّ الكون يكون له حجم صغير ، وبعد ذلك بدأ بالاتّساع ، بنظريّة الانفجار العظيم أو أيّ نظرية أخرى ، فالمادّة الأولى كانت صغيرةً ثمّ انفجرت وبدأ الكون بالاتّساع ، واتّساع الكون دليل على أنّ الكون

الانزياح نحو الأحمر : مصطلح فلكيّ يشير إلى بعد الشّيء ، فعندما يتحرّك جسم في الفضاء نحونا تنضغط موجاته الضّوئيّة ، ونقول إنّ الضوء ينزاح نحو الأزرق ، وعندما يبتعد الجسم تتمدّد موجاته الضّوئيّة ، ونقول إنّ الضوء ينزاح نحو الأحمر (من مترجم كتاب "العلم ووجود الله") .

[1] العلم ووجود الله ص١٢٠ .

[2] الذّاريات : ٤٧ .

له بداية ، فالمادّة الأولى كانت موجودةً ، ويوجد خالق لهذه المادّة الأولى ، وهذا الخالق سبّب هذا الانفجار ، فالمادّة الأولى تحتاج إلى خالق ، والانفجار يحتاج إلى مُفَجِّر ، والخالق هو المُفَجِّر .

سؤال : ماذا يترتّب على هذين الجوابين : الكون ليس له بداية أو له بداية ؟

الجواب :

إذا قلنا إنّ الكون ليس له بداية وأنّه أزليّ قديم فلا يأتي السّؤال عن خالقه وعلة وجوده ؛ لأنّه لم يكن معدومًا في زمن ما ، والمعدوم الّذي يصير موجودًا بعد ذلك يأتي السّؤال عن صانعه وسبب وجوده ، والأزليّ القديم معناه أنّك تذهب إلى الزّمن الماضي فلا تصل إلى بداية له مهما رجعت في الزّمن ، فإذا كان أزليًّا فلا يحتاج إلى خالق وعلّة وجود ، والشّيء الأزليّ لا يُسْأَلُ عن خالقه ، وإذا سألنا عن علّة وجوده فهذا السّؤال خطأ وليس له جواب ؛ لأنّه إذا كان الشّيء أزليًّا فلا توجد له علّة ، فلا يصحّ السّؤال عن علّته .

والشّيء الحادث يُسْأَلُ عن علّة وجوده ؛ لأنّه لم يكن موجودًا ثمّ وُجِدَ ، أي انتقل من اللّاوجود إلى الوجود ، وهذا الانتقال يحتاج إلى علّة ، فإذا كان الكون حادثًا فلنا الحقّ في أن نسأل : ما الّذي أوجده وخلقه وصنعه ؟

وأمّا إذا كان الكون أزليًّا فليس لنا الحقّ في السّؤال ، فلا يصحّ أن نسأل عن سبب وجوده لأنّ هذا السّؤال خطأ ، فالأزليّ ليس له

علّة ، فلا يصحّ السّؤال عن علّته ؛ لأنّه لا علّة له .

أوّلًا تسأل : هل للأزليّ علّة أو ليس له علّة ؟

فيأتيك الجواب بأنّ الأزلي ليس له علّة .

وثانيًا لا تسأل عن علّته ؛ لأنّ الجواب عن السّؤال الأوّل كان أنّه ليس له علّة ، فلا تأتي النّوبة إلى السّؤال الثّاني .

وإذا كان جواب السّؤال الأوّل أنّ له علّة فتسأل عن علّته .

وأمّا إذا كان الجواب عن السّؤال الأوّل أنّه ليس له علّة ، فلا تصل النّوبة إلى السّؤال الثّاني لتسأل عن علّته لأن ليس له علّة .

والشّيء الحادث تسأل عن علّة وجوده ، فهو لم يكن موجودًا ثمّ وُجِدَ ، فتسأل : ما الّذي أعطاه هذا الانتقال من حالة إلى حالة أخرى ؟

فإذا وُجِدَ الشّيء فإنّه يحتاج إلى موجِد وخالق وصانع .

وقد اشتبه ستيفن هوكنج بين الحادث والأزليّ ، فسأل : ومن خلق الإله ؟

وسؤاله دالّ على أنّ الإله حادث ، ولكن لو التفت إلى أنّ الإله أزليّ فالسّؤال عمّن خلقه يكون سؤالًا خاطئًا ؛ لأنّ الأزليّ ليس له خالق .

يقول ستيفن هوكنج Stephen Hawking في كتابه التّصميم العظيم The Grand Design إجابات جديدة على أسئلة الكون الكبرى :

لماذا يوجد شيء ما بدلًا من لا شيء ؟

لماذا نحن موجودون ؟

لماذا هذه المجموعة من القوانين وليست مجموعة أخرى ؟

قد يَزْعُمُ بعضُهم أنّ إجابة تلك الأسئلة هي أنّ هناك إلهًا قد اختار خَلْقَ الكون بهذه الطّريقة ، ومن المعقول أن نسأل مَنْ أو ما الّذي خلق الكون ، لكن إن كانت الإجابة هي الإله – فحينها سينقلب السّؤال وحسب ليكون ومن خلق الله (الإله) ؟ [1] .

يسأل هوكنج عدّة أسئلة : لماذا يوجد شيء ؟ ولماذا نحن موجودون ؟ ولماذا هذه القوانين المعيّنة في الكون ؟

فإذا قيل بأنّ الإله هو الّذي اختار خلق الكون بهذه الطّريقة ، فيسأل : ومن خلق الإله ؟

نقول إذا كان الإله أزليًّا فالسّؤال عن علّة وجوده خطأ ، فالأزليّ لا يحتاج إلى علّة وخالق لأنّه هو العلّة والخالق ، وإذا احتاج إلى علّة فما ظننّا أنّه خالق ليس هو الخالق لأنّه مخلوق .

وهنا نسأل الملحد النّظريّ :

أيّ الجوابين تختار ؟ هل تختار أنّ الكون أزليّ لا بداية له أو حادث له بداية ؟

ولا بد أن يختار أحد الجوابين لأنّهما نقيضان ، ولا توجد حالة ثالثة بين النّقيضين ، ويكون الجواب بـ "نعم" أو "لا" ، ولا يوجد جواب ثالث ، ليس له بداية أو له بداية ، ويستحيل أن يرتفع

---

[1] التّصميم العظيم ص٢٠٦ .

النّقيضـان معًـا ، ويسـتحيل أن يجتمعـا معًـا ، مـثلًا إذا قلنـا كتـاب ، نقيضه لاكتاب ، ولا يمكن أن يجتمع الكتاب واللّاكتاب ، فلا يصحّ أن نقول إنّ هذا كتاب وهو لاكتاب في نفس الوقت ، ولا يمكن أن ترفعهمـا معًـا ، فـلا يصـحّ أن نقـول إنّ هـذا لاكتـاب ولالاكتـاب ، فالنّقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان ، فعلى الملحد أن يجيب : الكون ليس له بداية ، أو يجيب : الكون له بداية .

ولا يصحّ أن يقول بأنّه لا يريد الإجابة عن هذا السّؤال ، فنقول له إنّ البحث بحث علميّ تُطْرَحُ فيه الأسئلة من جميع الأطراف ، ولا بدّ أن يجيب الطّرف الآخر ، والملحد عنده نظريّات كما أنّ المؤمن عنده نظريّات ، ولا يمكنه التّهرّب من هذا السّؤال ، والبحث بحث علميّ ، وإذا دخلنا في بحث علميّ فيأتي السّؤال : هل الكون له بداية أو لا ؟

وإذا لم يرغب الملحد أن يجيب ، فيكون ملحدًا غير مفكّر ، وقلنا بأنّ النّقـاش يكـون مـع الملحـد المفكّـر ، وإذا قـال لا أدريّ – فهـو في واقعـه لاأدريّ ولـيس ملحـدا ، وإذا كـان البحـث بحثًـا علميًّـا فـالمؤمن يجيـب ، والملحـد يجيـب ، وكلاهمـا يوجـد عنـده نظـريّات عـن هـذا الموضوع .

فإذا اختار الملحد أنّ الكون له بداية فيوجد احتمالان :

الاحتمال الأوّل :

وُجِدَ الكون بلا فاعل وخالق وصانع وسبب وعلّة ، فالكون ليس له علّة ، وإذا كان له بداية وليس له علّة فمعنى ذلك أنّه قد وُجِدَ

صُدْفَةً ، وإذا وُجِدَ الكون الحادث صدفةً بلا سبب أبدًا فَيُطْلَقُ على هذه الصّدفة "الصّدفة المطلقة" ، فالصّدفة المطلقة هي أنّ الشّيء الحادث يوجد بلا علّة ، في قبال الصّدفة النّسبيّة ، والصّدفة المطلقة مستحيلة باتّفاق العلماء المحقّقين من المادّيّين وغير المادّيّين ومن الموحّدين والملحدين .

والّذين يصرّون على أنّه لا يوجد خالق لهذا الكون عندهم إصرار على أنّ الكون لا بداية له ؛ لأنّهم أدركوا أنّهم لو قالوا بأنّ الكون له بداية فلا بدّ أن يقبلوا وجود إله خالق ، فبمجرّد ما يقول إنّ الكون له بداية فلا بدّ أن يقول بوجود الخالق .

والصّدفة المطلقة هي وجود شيء من لاشيء ، فإذا كان له علّة فهو وجود شيء من شيء ، وإذا لم يكن له علّة فهو وجود شيء من لاشيء ، واللّاشيء ليس له وجود حتّى يعطي الوجود لغيره ؛ لأنّ فاقد الشّيء لا يعطيه .

مثلًا إذا كان الإنسان فقيرًا نقول له تبرّع بالمال ، فيقول لا يوجد عندي مال لكي أتبرّع بالمال ، ففاقد الشّيء لا يعطي هذا الشّيء المفقود عنده .

وأمّا الصّدفة النّسبيّة فهي وجود سبب للشّيء ، ولكنّك لا تعرف هذا السّبب .

ومثاله العرفيّ هو أنّ لك صديقًا لم تَرَهُ منذ عشر سنوات ، وفي يوم دعاك أحد أصدقائك إلى بيته فرأيت صديقك القديم موجودًا

عنده ، فتقول أنا رأيته صدفةً ، وهذه الصّدفة تسمّى صدفة نسبيّة ؛ وليس معنى ذلك أنّه حدث بلا سبب ، فهو حضر لسبب ، وأنت حضرت لسبب ، ولقاؤكما في هذا الزّمان وفي هذا المكان كان له سبب ، ولكنّ السّبب مجهول عندك ، فلماذا دعاكما صديقكما في نفس الوقت ؟

قد تجهل السّبب ، وليس معنى ذلك عدم وجود سبب ، فالسّبب موجود ، ولكنه مجهول لديك .

إذن :

في الصّدفة المطلقة لا يوجد سبب ، فحينما نقول وُجِدَ شيء من لاشيء ، هذه الصّدفة صدفة مطلقة ، والصّدفة المطلقة مرفوضة عند جميع العلماء ، وفي الصّدفة النّسبيّة يوجد سبب ، ولكنّك تجهل السّبب .

يقول السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه : والصّدفة قسمان : صدفة مطلقة وصدفة نسبيّة ، فالصّدفة المطلقة هي أن يوجد شيء بدون سبب إطلاقا ، كغليان الماء إذا حصل دون أيّ سبب [1] .

مثال :

إذا غلى الماء بدون سبب نقول هذا مستحيل ، فلا بدّ من وجود سبب لغليان الماء ، كأن يكون تحته نار ، ولكنّك لا ترى هذه النّار .

---

[1] الأسس المنطقيّة للاستقراء ص٥٧ .

النّتيجة :

إذا قلنا إنّ الكون له بداية فالاحتمال الأوّل هو أنّه وُجِدَ بلا سبب ، وهذا مستحيل باتّفاق جميع العلماء .

الاحتمال الثّاني :

وهو الاحتمال المقبول ، وهو أنّ الكون له خالق وصانع وسبب وعلّة ومبدأٌ فاعِلٌ .

فيأتي السّؤال : **من هو الخالق ؟**

إذا قلنا بأنّ الكون له بداية فيكون حادثًا غير أزليّ ، وإذا كان حادثًا فيكون مخلوقًا ، وإذا كان مخلوقًا فيحتاج إلى خالق ، وإذا كان حادثًا فيحتاج إلى مُحْدِث ، وإذا كان معلولًا فيحتاج إلى علّة ، وإذا كان مصنوعًا فيحتاج إلى صانع .

يقول فرانسوا دو كلوسيه Francois de Closets : أينشتاين يعتقد أنّ الكون حادث له بداية ، فلا يمكن أن يكون قد وُجِدَ صدفةً [١] .

ويقصد الصّدفة المطلقة ، وهي أن يوجد الكون بلا أيّ سبب مطلقًا ، فأينشتاين كان مؤمنًا ، فهو يعتقد أنّ الكون له بداية ، ويوجد إله خالق للكون .

يقول ستيفن هوكنج في كتابه "التّصميم العظيم" : من أين أتى كلّ ذلك ؟ هل الكون بحاجة لخالق ؟ . . . كانت تلك هي الأسئلة التّقليديّة للفلسفة ، لكنّ الفلسفة قد ماتت ولم تحافظ على صمودها

---

[١] أينشتاين ضدّ الصّدفة .

أمام تطوّرات العلم الحديثة ، وخصوصًا في مجال الفيزياء .

إذن :

ستيفن هوكنج يقول بموت الفلسفة ، والفلسفة هي التّفكير العقليّ ، ويقول بأنّ العلم يجيب على جميع الأسئلة ، فلا نحتاج إلى الفلسفة ، وكلامه أنّه لا نحتاج إلى فرضيّة وجود الإله لإثبات أنّ الكون له خالق ؛ لأنّنا نستغني عن إجابات الفلسفة عن طريق تطوّرات العلم الحديث .

مثلًا : لماذا يتكوّن السّحاب ؟

العلم يجيب على هذا السّؤال ، فالماء يتبخّر ثمّ يتكثّف فيتكوّن السّحاب ، فلا نحتاج إلى وجود إله وفلسفة ، فالعلم الحديث يجيب على جميع الأسئلة .

ولستيفن هوكنج كتب أخرى لمن يرغب بالاطّلاع عليها : تاريخ موجز للزّمن ، تاريخ أكثر إيجازًا للزّمن ، الثّقوب السّوداء .

ومن يريد أن يطّلع على كتبه لا بدّ أن يكون عنده علم ؛ لكي يمكنه الرّدّ على كلمات هوكنج ، ومن ليس لديه علم لا يطّلع عليها ؛ لأنّه سيتأثّر بها ، وكتبه – كما يقال – من كتب الضّلال لمن لا يعرف الرّدّ ، ويحرم الاطّلاع على كتب الضّلال لمن ليس لديه علم .

مثلًا شابّ عمره خمس عشرة سنة – لا نقول له اقرأ كتب الملحدين ؛ لأنّه ليس عنده مقدّمات الرّدّ على هذه الكتب ، ولكنّ العالم يمكنه أن يقرأ أيّ كتاب ؛ لأنّ عنده مقدّمات العلم ، ومن عنده

القدرة على الرّدّ يطّلع على كتب الملحدين ، والشّباب في بدايات طريقهم لا ننصحهم بالاطّلاع على هذه الكتب ، نعم يكتسب العلم الكافي ، وبعد ذلك يمكنه الاطّلاع على أيّ كتاب .

يقول جون لينوكس في كتابه "العلم ووجود الله (الإله)" ص١٠٩ : اعترف (أي ستيفن هوكينج) في لقاء تلفزيونيّ قائلًا : من الصّعب أن نناقش بداية الكون دون أن نذكر مفهوم الله (الإله) ، وأبحاثي في أصل الكون تقع على الحدود بين العلم والدّين ، ولكنّي أحاول أن أبقى في الجانب العلميّ ، ومن الوارد أنّ الله (الإله) يعمل بطرق لا يمكن للقوانين العلميّة وصفها .

ويقول لينوكس في نفس الكتاب ص١١٢ : يكتب (أي ستيفن هوكينج) قائلًا : إنّ المنهج العلميّ المعتاد الّذي يعتمد على بناء نموذج رياضيّ لا يمكنه الإجابة عن سؤال : لماذا يوجد الكون الّذي يصفه النّموذج ؟ لماذا يوجد الكون من الأساس ؟ هل النّظريّة الموحَّدة لها من قوّة الإقناع ما يجعلها تُوجِدُ نَفْسَهَا أم أنّها تحتاج إلى خالق ؟ وإن كان كذلك هل الخالق له أيّ تأثير آخر على الكون ؟ . انتهى .

إنّ هوكينج كان يحاول أن يأتي بنظريّة مُوَحَّدَة أو نظريّة كلّ شيء Theory of Everything ، أي نظريّة واحدة تفسّر جميع الظّواهر الفيزيائيّة .

إذن :

إذا افترضنا أنّ الكون له بداية فالنّتيجة هي أنّه لا بدّ من وجود إله

خالق ، وهو القوّة الأزليّة الأبديّة ، والأزليّ هو الّذي ليس له بداية ، والأبديّ هو الّذي ليس له نهاية ، والسّرمديّ هو الأزليّ الأبديّ .

وكلامنا الآن عن أصل وجود الإله ، وليس الكلام عن إله المسلمين أو إله اليهود أو إله المسيحيّين أو إله غيرهم من الأديان الوضعيّة ، فالكلام ليس عن إله معيّن ، والكلام أيضًا ليس عن صفات وأفعال هذا الإله ، وإنّما عن أصل وجود إله خالق للكون ، وبعد إثبات وجود إله خالق للكون يأتي الكلام عن صفات هذا الإله الخالق .

ويقول جون لينوكس في "العلم ووجود الله (الإله)" ص١١٧ : ويتبنّى ستيفن هوكينج نظرة مشابهة : "الكثيرون لا يحبّون أنّ للزّمن بداية" ، ربّما لأنّها تحمل في طيّاتها فرضيّة التّدخّل الإلهيّ . انتهى .

نرى أنّه يوجد إصرار من الملحدين على أنّ الكون ليس له بداية ؛ لأنّهم إذا قالوا بوجود بداية للكون فإنّهم يضطرّون إلى القول بوجود إله خالق ، فهم يريدون التّهرّب من سؤال : إذا كان الكون له بداية فمن خلق الكون ؟

ويقول لينوكس في نفس الكتاب ص١١٨ : ومن أولئك السّير آرثر إدينجتون Arthur Eddington (١٨٨٢-١٩٤٤) الّذي كان ردّ فعله كالآتي : "فلسفيًّا فإنّ الفكرة القائلة بوجود بداية للنّظام الحاليّ للطّبيعة هي فكرة مثيرة للاشمئزاز . . . وإنّي أفضّل إيجاد بديل آخر لها" .

ومن مشاهير العلماء الآخرين الّذين يجدون فكرة البداية مُقَزِّزَة سير جون مادوكس John Maddox . . . فقد صرّح أنّ فكرة البداية "غير مقبولة بالمرّة" لأنّها تنطوي على "منشأ نهائيّ لعالمنا" ، وتعطي المؤمنين بنظريّة الخلق "مُبَرِّرًا وَافِرًا" لمعتقداتهم . انتهى .

نسأل : كيف تكون فكرة وجود بداية لنظام الطّبيعة مثيرة للاشمئزاز أو غير مقبولة بالمرّة ؟!

نقول : هو مجرّد هروب من الفكرة ، وهذا ليس جوابًا علميًّا ، وإنّما هو جواب جَدَلِيّ .

هو ملحد ، وبمجرّد ما يقول بأنّ الكون له بداية فالنّتيجة أنّه سيقول بقول المؤمنين بوجود خالق للكون ، فلا بدّ أن يقول أنّ الكون ليس له بداية لكي يغلق باب السّؤال الثّاني وهو : من خلق الكون الّذي له بداية ؟

وهذا أمر اعتياديّ في النّقاشات ، من أوّل النّقاش ينكر الشّيء لكي لا تترتّب على قبوله للشّيء أسئلة أخرى .

النّتيجة :

نوجّه سؤالًا مهمّا للملحد النّظريّ : هل الكون له بداية أو لا بداية له ؟

وفي الجواب إمّا أن يقول الملحد إنّ العالم له بداية ، فنقول له إذا كان للكون بداية فلا بدّ من وجود إله خالق للكون أي له فاعل أو علّة فاعليّة ، ونظريّة الانفجار الكبير تثبت أنّ الكون له بداية ، فإذا

كان للكون بداية فيحتاج إلى موجِد وسبب وعلّة وخالق وصانع ، فيثبت المطلوب وهو وجود إله خالق للكون .

وإذا كان الكون حادثا فنسأل : هل الخالق حادث أو أزليّ ؟

إذا كان هذا الخالق حادثًا فلا يكون خالقًا لأنّه يحتاج إلى خالق ، فيكون في واقعه مخلوقًا ، وهذا الخالق الثّاني نسأل عنه : هل هو حادث أو أزليّ ؟

فإذا قلنا هو حادث فيحتاج إلى خالق ، وكلّما قلنا حادث – يأتي سؤال : من الّذي أحدثه ؟

وهكذا ينشأ عندنا التّسلسل ، والتّسلسل باطل .

وإذا قلنا هو مبدأ أزليّ فتنتهي السّلسلة ، وبذلك يثبت المطلوب ، وهو وجود الإله الخالق للكون .

والسّلسلة لا بدّ أن تنتهي في مكان ما ، ونصل في آخر السّلسلة إلى خالق أزليّ ليس له بداية .

وإمّا أن يقول الملحد إنّ الكون لا بداية له ؛ لكي يتخلّص من حاجة الكون إلى إله خالق ، وهنا نسأله : الكون الّذي لا بداية له أزليّ أو غير أزليّ ؟

فإذا أجاب بأنّ الكون غير أزليّ فقد ناقض نفسه ؛ لأنّه قال بأنّه لا بداية له أي أنّه أزلي ثمّ قال هو غير أزليّ ، فيقع في التّناقض المنطقيّ ، والنّقيضان لا يجتمعان .

وإذا أجاب بأنّ الكون أزليّ فهو يؤمن بموجود أزليّ كما يقول

المؤمنون بوجود موجود أزليّ ، فيتّفق المؤمنون والملحدون على وجود موجود أزليّ ، ولكنّ الاختلاف في مصداق هذا الموجود الأزليّ ، فالملحد يقول إنّ الموجود الأزليّ هو الطّبيعة والمادّة ، والمؤمن يقول إنّ الموجود الأزليّ هو الإله الخالق وهو مجرّد غير مادّيّ .

فالملحدون والمؤمنون يكونون قد اتّفقوا على المفهوم وأصل القضيّة وهو وجود موجود أزليّ ومبدأ أزليّ ، ولكنّ الفرق بين الملحدين والمؤمنين هو الاختلاف في مصداق هذا الموجود الأزليّ .

ولا يمكن للعقل الإنسانيّ إنكار وجود مبدأ أزليّ للكون مهما تعدّدت الأقوال في مصاديق المبدأ الأزليّ ، فهكذا تمّ تصميم العقل البشريّ ، فالعقل البشريّ مصمّم على الاعتقاد بوجود الموجود الأزليّ مهما اختلفت الأقوال في من هو "المصمّم الذّكيّ" كما يقال في تعبيرات اليوم ، الخالق أو المصمّم الذّكيّ ، فما دام أنّ الإنسان ذكيّ فلا بدّ من وجود مصمّم ذكيّ ، والكون مصمّم بطريقة منظّمة جدًّا فيحتاج إلى منظّم ومصمّم ذكيّ لأنّ فاقد الشّيء لا يعطيه ، فإذا كان المصمّم فاقدًا للذّكاء فلا يمكن أن يكون الإنسان ذكيًّا ، فإذا كان الخالق غير ذكيّ فيستحيل أن يخلق إنسانًا ذكيًّا .

إذن :

الملحد يقول إنّ الموجود الأزليّ هو الطّبيعة ، والمؤمن يقول هو الإله ، والدّارونيّون الّذين يعتقدون بنظريّة التّطوّر يقولون إنّ التّطوّر أوجدنا بهذه الطريقة ، والملحدون يأخذون بنظريّة التّطوّر لكي ينفوا

وجود الإله ، فيقولون بالتّطوّر الطّبيعي ، فالموجود ينتقل من حالة إلى حالة أرقى بدون الحاجة إلى الإله ، والمؤمنون يقولون بأنّ الإله خلقنا بهذه الطّريقة ، فيوجد اتّفاق بين المؤمنين والملحدين على وجود قوّة أزليّة ومبدأ أزليّ لا بداية له مهما اختلفت الأقوال في المصاديق ، وهذا دليل على وجود مبدأ أزليّ للكون ، عند المؤمنين هو الإله ، وعند المسلمين هو الله عزّ وجلّ .

والملحد هو مؤمن أيضًا ، والإلحاد يوصل الإنسان إلى الإيمان بوجود قوّة أزليّة ومبدأ أزليّ ، فالملحد مؤمن أيضًا ، والنّتيجة أنّه لا يوجد ملحد على إطلاقه ، فالملحد يؤمن بوجود قوّة أزليّة ، ولكنّه يلحد بالإله الّذي تقول به الأديان السّماويّة .

يقول في الموسوعة الفلسفيّة العربيّة : فسواء كان المبدأ الأوّل هو المادّة كما لدى فلاسفة القرن الثّامن عشر ، أم هو الطّاقة كما لدى العِلْمَوِيّين في القرن التّاسع عشر ، أم هو الحرّيّة كما لدى الوجوديّين في القرن العشرين ، فإنّ المبدأ الأوّل يظلّ أوّلًا وقبليًّا بالنّسبة إلى تعييناته ، وذلك باسم آخر إله الإيمانيّين ، ولهذا وُجِدَ على الدّوام في صفوف الإيمانيّين من يقول إنّ الإلحاد أيضًا ضرب من الإيمان [1] .

ضرب من الإيمان أي نوع من الإيمان ، وتعييناته أي مصاديقه .

والملحد قد يقول إنّ الكون له بداية وهو ليس أزليًّا ، ولكنّه لا يحتاج إلى علّة خارجيّة .

---

[1] الموسوعة الفلسفيّة العربيّة ج٢ ص١٧٤ .

والرّدّ عليه هو أنّه إذا كان يعتقد بالصّدفة المطلقة فنقول إنّ الصّدفة المطلقة مستحيلة .

ونقول بأنّه إذا كان للكون بداية فلا بدّ له من خالق ، والكون يستحيل أن يخلق نفسه ؛ لأنّه إذا كان معدومًا قبل أن يخلق نفسه فنقول إنّ العدم لا يمكنه أن يخلق لأنّه غير موجود وهو لا شيء ، وأمّا إذا كان موجودًا وخلق نفسه فيكون تحصيلًا للحاصل ؛ لأنّه موجود فلا يحتاج إلى إيجاد نفسه .

فالملحد يختار بين قولين : القول الأوّل هو أنّ الكون كان معدومًا فأوجد نفسه فنقول له إنّ العدم لا يخلق شيئًا ، والقول الثّاني هو أنّ الكون كان موجودا من السّابق ثمّ أوجد نفسه فنقول له إنّه موجود فيكون تحصيلًا للحاصل ولا توجد حاجة لإيجاد نفسه لأنّه موجود في رتبة سابقة .

خلاصة الموضوع :

نسأل الملحد : هل تعتقد بأنّ الكون له بداية أو لا ؟

فإذا قال بأنّ الكون له بداية فنسأله : من الّذي أوجده ؟

فإذا قال صدفةً فنقول إنّ الصّدفة المطلقة مستحيلة ، فلا بدّ من وجود خالق .

وإذا قال بأنّه لا توجد له بداية والكون أزليّ فنقول بأنّك تعتقد بوجود المبدأ الأزليّ ، فأنت مؤمن بوجود المبدأ الأزليّ كما يقول به المؤمنون ، ولكنّك تختلف عن المؤمن في مصداق المبدأ الأزليّ ، فأنت

مؤمن أيضًا بالمبدأ الأزليّ .

النّتيجة :

المؤمنـون والملحـدون متّفقـون علـى وجـود المبـدأ الأزليّ ، والملحـد يقول هو الطّبيعة أو المادّة ، والمؤمن يقول هو الإله الخالق للكون .

والحمـد لله ربّ العـالمين وصـلّى الله علـى سيّدنا أبي القاسـم محمّـد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٥٤)

الحاجة إلى دليل لإثبات وجود الإله [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

مقدّمة : البناء الفكريّ للإنسان :

البناء الفكريّ للإنسان مهمّ جدًّا ، فالإنسان لا يمكنه أن يتحرّك من غير أن يبني نفسه فكريًّا ، فهو وفكره شيء واحد ، وفكره يعبّر عن شخصيّته ، وفكره ينشأ من المواضيع الّتي يفكّر بها ، والمواضيع تكون مُنْطَلِقَةً من فكره ، فتوجد علاقة متبادلة بين فكره والمواضيع الّتي يفكّر بها ، والمنظومة الفكريّة المعرفيّة للإنسان مهمّة جدًّا في حياته ، هذه المنظومة الفكريّة تبدأ من بدايات حياة الإنسان ، فيكتسب مجموعة من المعلومات ، ولكن مجرّد اكتساب المعلومات لا يعطي الإنسان فكرًا ، فهو لا بدّ أن يعرف كيف يستعمل هذه

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٤ ذو الحجة ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٨/١٦ م .

المعلومات ، فالإنسان يتلقّى من محيطه الكثير من المعلومات ، وقراءة الكتب والاستماع إلى المحاضرات والتّفكير بالمواضيع الّتي تمسّ حياة الإنسان هي بداية البناء الفكريّ له ، وحينما يتعامل مع أيّ شيء في حياته فإنّه يرجع إلى منظومته الفكريّة ، وهذه المعلومات المخزّنة في الذّهن يعتمد عليها في التّحليل وفي التّعامل مع أيّ أمر يقع له وفي اتّخاذ القرارات .

سؤال : هذا البناء الفكريّ لماذا يحتاجه الإنسان المؤمن ؟

الجواب :

يحتاج الإنسان إلى البناء الفكريّ المعرفيّ لكي يكون متهيّئًا لأيّ أمر من الأمور ، وبالنّسبة للمؤمن يريد أن يكون متهيّئًا لظهور الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشّريف ، ينتظر المنقذ العالميّ الّذي سينشر العدل في العالم ، وكلّ إنسان سيأخذ حقوقه كاملة ، فالبناء الفكريّ طريق لأن تكون من أنصار الإمام عجّل الله فرجه الشّريف ، والإنسان المؤمن لا بدّ أن يتّخذ القرار ، هل يريد أن يكون من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام أو لا يريد ؟

جميع المسلمين من جميع المذاهب يقولون نعم نريد أن نكون من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام ، فجميع المسلمين يعتقدون بالإمام المهديّ عليه السّلام ، مع اختلاف التّفاصيل بين المذاهب في ولادته واسمه ، هو مولود أو لا ، هو اسمه محمّد بن الحسن أو محمّد بن عبدالله ، ولكنّهم متّفقون على انتظاره ، وأتباع مدرسة أهل البيت

عليهم السّلام يعرفون إمامهم عليه السّلام حقّ المعرفة ، وينتظرون ظهوره باشتياق .

وأمّا غير المسلمين فيقولون نعم نريد المصلح والمنقذ العالميّ الّذي ينشر العدل في العالم ، وننتظر انتشار العدل في العالم على يديه ، وكلّ إنسان ينتظر المصلح والمنقذ العالميّ الّذي هو الأمل المنشود للبشريّة على مرّ التّاريخ ، ووجود المصلح والمنقذ فكرة عالميّة ، وهذه الفكرة العالميّة حينما يطرحها الإسلام فإنّه لا يطرح فكرة جديدة ، فهي فكرة فطريّة عند الإنسان ، وكلّ إنسان ينتظر المنقذ العالميّ الّذي يصلح الأوضاع العالميّة .

إذن :

ابدأ ببناء فكرك ومنظومتك الفكريّة المعرفيّة ، فالإمام عليه السّلام يحتاج في بناء دولته إلى المفكّرين والمثقّفين المخلصين الأمناء ، ولا يستعين بالجاهلين وغير الأمينين ، فتبدأ بالبناء الفكريّ والثّقافيّ لتكون من أنصار الإمام عليه السّلام ولكي تكون ممّن يعتمد الإمام عليه ويستعين به ، وطبعًا مع البناء الفكريّ يحتاج الإنسان إلى الإخلاص والأمانة ، يكون عالمًا مخلصًا ومفكّرًا أمينًا ومثقّفًا حفيظًا .

يقول نبي الله يوسف عليه السّلام : "**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**" [1] .

"**حَفِيظٌ عَلِيمٌ**" : صيغة مبالغة على وزن "فَعِيل" ، والمعنى شدّة

---

[1] يوسف : ٥٥ .

الحفظ والأمانة وكثرة العلم .

والإمام المهديّ عليه السّلام يعتمد على العلماء المفكّرين المخلصين الأمناء الحفظة ، والإنسان لا بدّ أن يربّي نفسه على هاتين الخصلتين : العلم والأمانة .

وفي مشروع "عالميّة الإسلام" هدفنا هو تمهيد الأرضيّة لظهور المنقذ والمصلح العالميّ الإمام المهديّ عليه السّلام ، وذلك ببيان أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، وقادر على حلّ جميع مشاكل البشريّة ، وأنّ أحكامه أحكام عالميّة ليست لزمن معيّن ولا لمكان معيّن ، وأنّه يمكن تطبيق هذه الأحكام في العالم ، وأنّ الإسلام إذا طُبِّقَ تطبيقًا صحيحًا كاملًا فإنّ البشريّة ستعيش العدل والسّعادة في الدّنيا ، ومن يلتزم بأحكام الإسلام يحصل على السّعادة والطّمأنينة في الدّارين : الدنيا والآخرة .

إذن :

مشروع "عالميّة الإسلام" الهدف منه بيان أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان حتّى ما قبل ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام ، ونحاول أن نبيّن الأحكام العالميّة الموجودة في الدّين ، فقد تُطْرَحُ بعض الأحكام ، ولكن هذه الأحكام لها صبغة محلّيّة وتصلح لبقعة جغرافيّة معيّنة ، أحكام تصلح للجزيرة العربيّة ، لأعراف وعادات وتقاليد معيّنة ، وإذا انتقلنا إلى مجتمع آخر له أعراف وعادات وتقاليد أخرى فهل الأحكام التي كانت صالحة في الجزيرة العربيّة يمكن تطبيقها في

ذاك المجتمع أو أنّ الأحكام قابلة لأن تتلوّن وتتشكّل على حسب الأعراف والعادات والتّقاليد في كلّ مجتمع ؟

مثلًا في بعض المجتمعات إذا كان الرّجل يظلّ في البيت ، والمرأة تخرج للعمل ، وهي الّتي تنفق على حاجات البيت ، فهل نقول بقيمومة الرّجل أو بقيمومة المرأة ؟

والقرآن الكريم يقول : **"الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ"** [1] .

الآية الكريمة تقول : **"وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ"** ، والمرأة هي الّتي تنفق من أموالها ، فإذا طرحنا قيمومة الرّجل في هذا المجتمع فلا يقبلون الإسلام ؛ لأنّ القيمومة في هذا المجتمع للمرأة ، فهي الّتي تدير شئون البيت ، والرّجل يبقى في البيت يرعى الأولاد ويطبخ مثلًا .

هل الإسلام بأحكامه قابل للتّلوّن والتّشكّل على حسب المجتمعات أو لا ؟

هذا مجرّد تساؤل نطرحه ؛ لأنّ بعض المجتمعات فيها أعراف وعادات وتقاليد أخرى غير الأعراف الموجودة في الجزيرة العربيّة ، وإذا أردت أن تغيّر هذه الأعراف فلا يُقْبَلُ منك ؛ لأنّ الأعراف والتّقاليد عادةً ما تكون راسخةً في المجتمعات ولا يمكن تغييرها بسهولة .

ونذكر مثالًا آخر : وهو أنّك إذا ذهبت إلى مجتمع يجلسون على الكراسي ويأكلون على الطّاولة ، وقلت لهم بأنّه يستحبّ أن تجلس

---

[1] النّساء : ٣٤ .

على الأرض أثناء الطّعام وتأكل بيدك ، فهم سيقولون لك نحن لا شغل لنا بك ، هذه عاداتنا ولا نريد تغييرها ، ولا يقبلون كلامك ، والجلوس على الأرض أثناء الطّعام والأكل باليد كانت عادةً موجودةً في مجتمع النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله حينما يقول بالجلوس على الأرض والأكل باليد فذلك يناسب المجتمع في زمانه صلّى الله عليه وآله ، فهل الجلوس على الأرض والأكل باليد أثناء الطّعام حكم عالميّ أو حكم محلّيّ ؟

هذا سيأتي بحثه تفصيلًا في محلّه المناسب إن شاء الله تعالى .

إنّ الأحكام إذا كانت أحكامًا عالميّةً فلا بدّ أن نرى بأنّ هذه الأحكام هل يمكن أن تتلوّن وتتشكّل على حسب اختلاف المجتمعات أو لا ؟

وطبعًا لا بدّ من وجود الدّليل على فكرة تلوّن الأحكام وتشكّلها بحسب المجتمع ، والقول بهذه الفكرة لا يكون عشوائيًّا وجزافيًّا بلا دليل ، فلا بدّ أن يكون عندنا الدّليل حينما ندرس الظّروف الموضوعيّة الزّمانيّة والمكانيّة للآية والرّواية لنرى أنّ هذه الآية أو الرّواية هل تتناسب مع ظروف زمانيّة ومكانيّة معيّنة أو أنّها أحكام مطلقة ؟

وهذا من وظيفة الفقيه ، فهو يدرس الآية والرّواية ليرى أنّ الظّروف الزمانيّة والمكانيّة داخلة ضمن شروط الحكم أو لا .

وفي محاضراتنا نحاول أن نبيّن الأحكام العالميّة في الإسلام ، ومن خلال المحاضرات طرحنا بعض الأمثلة ، وبعض الأحكام يُنْظَرُ إليها

على أنّها أحكام محلّيّة ، ولكن في واقعها هي أحكام عالميّة ، كما في حكم الزّكاة .

الرّجوع إلى الموضوع :

المحاضرات من الآن تحتاج إلى تركيز شديد ، وتحتاج إلى الاستماع إليها مرّة ثانية لأجل استيعاب الأفكار ، والإنسان حينما يسمع محاضرة يستوعب نسبة منها ، البعض يستوعب ٣٠% ، والبعض ٤٠% ، والبعض أكثر أو أقلّ من ذلك على حسب تركيزه وانتباهه ومستوى ذهنه ، وقد يشرد الذّهن أحيانًا إلى أماكن أخرى أثناء المحاضرة ، فيستوعب مقدارًا معيّنًا ، وهذا المقدار لا بدّ أن يكمله ، ولو كان في درس في الحوزة العلميّة فلا بدّ أن يسمع الدّرس مرّة أخرى ، ويحتاج إلى إعادة المحاضرة لكي يمكنه أن يستوعب تسلسل الأفكار الموجود فيها .

الحاجة إلى دليل لإثبات وجود الإله :

نسأل السّؤال التالي :

هل إثبات وجود الإله يحتاج إلى دليل ؟

وكلامنا عن الإله بشكل عامّ لا عن إله المسلمين ، ونقاشاتنا أنّه يوجد إله خالق للكون أو لا ، وليس الكلام عن الله عزّ وجلّ ، فأوّلًا لا بدّ أن نثبت وجود إله خالق للكون ، وبعد ذلك نأتي إلى صفات هذا الخالق ، ثمّ نثبت أنّه الله عزّ وجلّ .

أحد الإخوة نقل عن أحد الأشخاص يقول إنّه استمع إلى المحاضرة

السّابقة والشّيخ لم يثبت وجود الله ، ولم يطرح أدلّة لإثبات وجود الله ، فقلت له بأنّه لم يستمع إلى المحاضرة كاملة حيث قلت بأنّ الكلام عن الإله بشكل عامّ لا عن خصوص الله سبحانه ، ومن تعليقاته أنّ الشّيخ تكلم سبعة وأربعين دقيقة ، وكلّها مضيعة للوقت ، وأنّه كان يمكن اختصار الكلام في دقيقة واحدة ، وهذه تعليقة من التّعليقات الّتي وصلتني ، والمشكلة أنّ بعض الأشخاص لا يستمعون إلى المحاضرة كاملة ، أو يكون عنده فكرة مسبقة ، ويدخل إلى المحاضرة فيعتبرها مضيعة للوقت ، ومن يعتبر أنّ هذه المحاضرات مضيعة للوقت أنصحه بأن يستمع إليها جيّدًا ، وسيرى أنّها ستفيده كثيرًا في تغيير أفكاره وتوجيه حياته ، وقد طرحنا في المحاضرة السّابقة مجموعة من الأفكار عن أنّ الكون أزليّ أو له بداية والنّتائج المترتّبة على ذلك .

نعيد السّؤال السّابق :

هل إثبات وجود الإله يحتاج إلى دليل ؟

الجواب :

نعم بلا أدنى شكّ ، فإثبات وجود الإله يحتاج إلى دليل وبرهان ، كما تحتاج إلى الدّليل في كلّ فكرة تريد أن تطرحها ، وخاصّة في مجال العقائد ، ولا تستطيع أن تطرح أيّ عقيدة إلّا أن يكون عندك الدّليل على إثباتها .

ما هو الدّليل على النّبوّة ؟

ما هو الدّليل على المعاد ويوم القيامة ؟

ما هو الدّليل على عدل الله ؟

ما هو الدليل على رحمة الله ؟

وكذلك بقية صفات الله عزّ وجلّ .

والإتيان بالدّليل هو منهج قرآنيّ في إثبات جميع ادّعاءات الإنسان وخاصّة في مجال العقائد .

"قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" [1] .

الإنسان إذا كان صادقًا في كلامه فلا بدّ أن يكون عنده الدّليل على صحّة قوله ، وإذا طرح شخص فكرةً بلا دليل فمعنى ذلك أنّه غير مقتنع بهذه الفكرة ، فهي فكرة بلا دليل .

كلّ مسلم يقول : أنا أعتقد بالله .

نسأله : ما هو دليلك على وجود الله ؟

كم مسلم يمكنه الإجابة على هذا السّؤال ؟

حتمًا النّسبة قليلة ، والبقيّة عندهم اعتقادات موروثة .

كم شخص من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يمكنه إثبات الإمامة ؟

قل للشّيعي أعطنا أدلة قرآنيّة على الإمامة ، والبحث الأساس لا بدّ أن يكون بحثًا قرآنيًّا ، وبعد ذلك ننتقل إلى الرّوايات المنقولة .

وطبعًا أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام عندهم معلومات أكثر من أتباع المدارس والمذاهب الأخرى ؛ لأنه توجد عندنا عدّة

---

[1] النّمل : ٦٤ .

مـدارس فعّالـة ، فالمسـجد مدرسـة ، والحسـينيّة مدرسـة ، وكثـير مـن المعلومات الموجودة عند الشّيعة أخذوها من الحسينيّات ، وكلّ منّا إذا راجع المعلومات الموجودة عنده فإنّه سيرى أنّ أكثر معلوماته اكتسبها من الحسينيّات ، وكذلك تقوم المساجد بهذا الدّور الفعّال ، وكذلك العلمـاء ، ولكـن بعـض الشـيعة جهـلاء بهـذه المعلومـات ؛ لأنّهـم لا يحضرون إلى المساجد والحسينيّات ، فهم شيعة بالاسم .

إذن :

الإنسـان يحتـاج إلى أدلّـة لإثبـات أيّ فكـرة يطرحهـا ، فـلا بـدّ أن يكون عنده الدّليل ، فإذا كان لا يملك الدّليل فمعنى ذلك أنّها مجرّد فكرة يعتقد بها ، ولكن لا يوجد عنده دليل على صحّتها ، وإذا لا يوجد عنده دليل على هذه الفكرة فإنّك تجد أنّه يتنازل عن الفكرة بكلّ سهولة ، مثلًا بعض المسلمين الّذين ينتقلون إلى الإلحاد كانوا يعتقدون بالله تعالى ، فلماذا صار ملحدًا ؟

لأنّه حينما اعتقد بالله كان بلا دليل ، والإنسان الّذي عنده دليل لا يترك العقيدة بسهولة ، فمع وجود الدّليل والبرهان على صحّة الفكرة فإنّه لا يترك هذه الفكرة ، فهو ترك العقيدة ؛ لأنّه لا يوجد عنده دليل أو أنّ أدلّته ضعيفة ، فهو اعتقد بناءً على اعتقاد أبويه أو المجتمع أو المدرسة ، فكان يعتقد بالله بلا دليل ، والاعتقادات الموروثة تزول مع أقلّ شبهة .

يذكر القرآن الكريم في صفات عباد الرّحمن أنّهم يقبلون مع الدّليل :

"وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وعُمْيانًا" [1] .

لا يقبلون أيّ شيء صُمًّا وَعُمْيَانًا أي بلا دليل ، فإذا وجد الدّليل فإنّه يقبله ، وفي مقابل الصّمم هو يسمع ، وفي مقابل العمى هو يرى ، فيسمع ويرى وينقل المعلومات إلى عقله فيفكّر ليقتنع ، والعقل يبدأ بالتّفكير بما يسمع ويرى ، فينتقل من هذه الآيات إلى وجود الله تعالى ، وهذا الانتقال يحتاج إلى العقل ، فالّذي يسمع آيات الله لا بدّ أن يكون عاقلًا متفكِّرًا بهذه الآيات لكي ينتقل إلى وجود الله عزّ وجلّ .

ويقول القرآن في صفات من يقبل بلا دليل باتّباع الآباء والأجداد :

"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ" [2] .

يأخذ من الأجداد والآباء بلا تفكير ، عقائده موروثة ، كم من المسلمين اليوم عندهم عقائد موروثة ؟

الإحصائيّات تقول إنّ عدد المسلمين الّذين ألحدوا بالملايين ، ومعنى ذلك أنّه كم مليون كانوا يقلّدون الآباء والأجداد في العقائد ؟

كانت اعتقاداتهم بلا دليل ولا تفكير ، وتوجد عند المسلمين عمليّة التّلقين في البيت والمدرسة والمجتمع ، فالأب يبدأ مع طفله

---

[1] الفرقان : ٧٣ .

[2] المائدة : ١٠٤ .

يقول له : قل : الله موجود ، فيقول الطّفل : الله موجود ، وهكذا عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وكذلك عن الأئمّة عليهم السّلام ، ولكن مع تقدّم عمر الطّفل لا بدّ أن تذكر له الأدلّة ، ولا تلقّنه فقط ، فهو يعتقد بلا دليل ، وبأقلّ شبهة يترك الدّين ، والبعض يشكلون عليه أنّكم تسجدون على التّربة فأنت تعبد التّربة ، فيترك دينه على إشكال بسيط جدًّا ، أو أنّكم تزورون الأضرحة فأنتم تعبدون أئمّتكم ، وعلى هذا الإشكال البسيط يترك الدّين ، وبعض الإشكالات بسيطة وجوابها سهل جدًّا .

يأتي إلى آية قرآنيّة لا يفهمها ، وأقلّ إشكال على هذه الآية لا يمكنه الإجابة عليه فيترك الدّين ، أو مهما تذكر له من أدلّة فيقول لك : أنا لم أقتنع .

وفي الدّليل تبدأ من المقدّمات وتنتقل إلى النّتيجة ، فإذا كانت المقدّمات دالّة على هذه النّتيجة فالمفروض أن يقبل ، والإنسان بعقله لا بدّ أن يفكّر في هذه الأدلّة .

وكثير من النّاس يتّبعون الآباء والأجداد :

"وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا . . ." [1] .

"بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا

---

[1] لقمان : ٢١ .

وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّقْتَدُونَ" [١] .

وجدنا آباءنا على دين وإنّا على آثارهم مهتدون ، وإنّا على آثارهم مقتدون .

"قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ" [٢] .

تريد أن تبعدنا عمّا وجدنا عليه آباءنا .

"وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ" [٣] .

بعض المذاهب يقولون بأنّ أبا إبراهيم عليه السّلام كان كافرًا عابدًا للصّنم ، على أساس أنّ أباه هو آزر ، ولكن لو راجعنا أسماء أجداد النّبيّ صلى الله عليه وآله لوجدنا أنّ إبراهيم عليه السّلام هو ابن تارخ لا ابن آزر ، والمذكور في القرآن ليس تارخ أبا إبراهيم ، وإنّما هو عمّه آزر ، فعمّه كان مشركًا أو كافرًا ، فالأنبياء عليهم السّلام يولدون من الأصلاب الشّامخة والأرحام المطهّرة ، وهذا هو اعتقاد مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، ولا نعتقد أنّ نبيًّا من الأنبياء كان مولودًا من

---

[١] الزّخرف : ٢٢-٢٣ .

[٢] يونس : ٧٧-٧٨ .

[٣] الأنبياء : ٥١-٥٣ .

كافر أو كافرة ومشرك أو مشركة ، بل لا بدّ أن يكون من الأصلاب الشّامخة والأرحام المطهّرة ، فجميع آباء وأمّهات الأنبياء وأجدادهم وجدّاتهم من المؤمنين الصّالحين .

إذن :

الاعتقادات الّتي تعتقدها لا بدّ أن تكون عن طريق الأدلّة ، فتحتاج إلى مراجعة جميع اعتقاداتك .

تبدأ الآن بسؤال نفسك : ما هو الدّليل على وجود الله ؟

ما هو الدّليل على النّبوّة العامّة ؟

ما هو الدّليل على نبوّة محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله ؟

ما هو الدّليل على الإمامة ؟

ما هو الدّليل على إمامة عليّ بن أبي طالب وباقي الأئمّة عليهم السلام ؟

وكذلك أيّ عقيدة من العقائد حتّى لو كانت من العقائد غير الضّروريّة .

ما هو الدّليل على البداء ؟

ما هو الدّليل على الرّجعة ؟

ولا بدّ أن تسأل نفسك ، وتبحث في الموضوع ، والقرآن مملوء بالأدلّة ، ولكنّ المسلمين مقصّرون مع القرآن الكريم .

كم من المسلمين يقرءون القرآن قراءةً فقط دون تدبّر ؟

لا توجد عندنا إحصائيّة ، ولكن انظر إلى من حولك تجد أنّ قرّاء

القرآن قليلون جدًّا ، حتّى في بيتك انظر من يقرأ القرآن ، انظر إلى أولادك هل يقرءون القرآن يوميًّا ؟

هذا من حيث القراءة فقط ، فما بالك أن نطلب من المسلمين أن يتدبّروا في آيات القرآن الكريم ، يفتح القرآن ويقرأ ويتدبّر ويتأمّل في الآيات ، قد تقرأ صفحة واحدة في اليوم مع التّدبّر ، وفي شهر رمضان بعض الأشخاص يحاولون أن يختموا القرآن قراءة ، ولكن حينما يختم نسأله : ما الّذي استفدته ؟

هو يقرأ الألفاظ فقط ، والمطلوب هو التّدبّر في آيات القرآن لا القراءة فقط ، اسأل نفسك : ماذا يريد الله أن يقول لك ؟

القرآن الكريم رسالة الله إليك ، فكيف تتعامل مع هذه الرسالة الّتي هي كلام الله عزّ وجلّ ؟

لو وصلت إليك رسالة من شخص تحبّه فإنّك تقرأها عدّة مرات ، وهذا الكتاب كتاب الله ، وهذا الكلام كلام الله ، وأنت تعتقد بعصمة هذا الكتاب .

". . . **وَإِنَّهُ لَكَتَابٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**" [1] .

فكيف تتعامل مع كتاب معصوم لا يخطئ ؟ هل تعطي كلام الله القيمة المناسبة ؟

تتعامل مع القرآن لأنّه كلام الله ، وتعطيه القيمة المناسبة ، أو أنّ

---

[1] فصّلت : ٤١-٤٢ .

القرائين في البيوت وقد تجمّع عليها الغبار ، وإذا كانوا يمسحون الغبار فمن شهر رمضان إلى رمضان التّالي ، لا بدّ أن يكون عندك قرآن خاصّ وفي كلّ يوم تطالع فيه وتقرأ وتتدبّر آياته .

المناهج والاتّجاهات في إثبات وجود الإله :

في إثبات وجود الإله – لا خصوص إله المسلمين وهو الله عزّ وجلّ – نريد أن نثبت أنّه يوجد إله خالق للكون ، وهذا هو المقدار المطلوب الآن ، وبعد إثبات وجود الإله الخالق نسأل : ما هي صفات هذا الإله الخالق ؟

وبعض الصّفات يمكن الاستدلال عليها بالعقل ، هذا الإله عالم لأنّه لا يمكن أن يخلق الكون بدون علم ، وهو قادر لأنّ الخلق يحتاج إلى قدرة لكي يوجد ، وهو حكيم لأنّك ترى التّنظيم الدّقيق في الكون ، فتوجد بعض الصفات الّتي يمكن أن يُسْتَدَلَّ عليها بالعقل ، ولا نحتاج إلى أدلّة قرآنية أو روائيّة ؛ لأنّ الأصل في الاستدلال على العقائد هو العقل قبل أن نأتي إلى الآية والرّواية ، والآية والرّواية عبارة عن إرشاد إلى حكم العقل ، ودور الأنبياء عليهم السّلام هو أن يثيروا للنّاس دفائن عقولهم .

في نهج البلاغة الخطبة الأولى عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام قال عن دور الأنبياء عليهم السّلام : "وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ" .

فالدّليل العقليّ موجود عند كلّ إنسان ، ودور الآية والرّواية أن تنبّه

هذا الإنسان إلى هذا الدّليل العقلي المدفون في أعماقه والكامن فيه .

يقول القرآن الكريم :

"لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا" [1] .

هذا ليس بناءً لدليل جديد ، وإنّما هو إرشاد وإشارة إلى دليل عقليّ موجود عند كلّ إنسان .

والدّليل الأوّل على وجود إله واحد في الكون هو العقل ، فالعقل يقول بأن لو وُجِدَ أكثر من إله لفسد الكون إذ يقع الصّراع والنّزاع بينهم ، والدّليل الثّاني هو العرف ، فلا يمكن أن يوجد مديران في مدرسة واحدة ، فما بالك أن يوجد مديران في هذا الكون إذ يستحيل ذلك ، فكما أنّه لا يُقْبَلُ عرفًا وجود مديرين في مدرسة ، كذلك لا يُقْبَلُ عقلًا وجود إلهين لهذا الكون .

ويمكن لنا أن نستدلّ ببعض الأدلّة العرفيّة على إثبات العقائد ، وخاصّة للمستويات الذّهنيّة البسيطة ، وأذهان النّاس مختلفة ، فيمكن لنا الاستدلال بأقلّ المستويات ، وهو الدّليل العرفي على إثبات وجود الإله ، وكلامنا عن الإله الخالق بشكل عامّ لا إله معيّن .

وقبل الدّخول في المناهج والاتّجاهات الّتي تطرح في إثبات وجود الإله نحتاج أوّلًا إلى توضيح بعض المصطلحات :

الفرق بين الإمكان والوقوع :

نبدأ بالسّؤال التّالي :

---

[1] الأنبياء : ٢٢ .

إذا كان الشّيء ممكنًا فهل يجب أن يكون واقعًا في الخارج ؟

الجواب :

لا يجب ، فهو ممكن ، ولكنّه لا يقع في الخارج ، فالشّيء قد يكون ممكنًا ، ولكنّه لا يتحقّق خارجًا ، ولا يكون عندنا دليل على تحقّقه في الخارج ، فإذا كان الشّيء ممكنًا ووقع في الخارج فنقول بأنّ هذا الممكن متحقّق الوجود في الخارج ، وإذا كان الشّيء ممكنًا ولم يتحقّق بَعْدُ في الخارج فنقول إنّه بمجرّد أن يكون ممكنًا لا يستلزم ذلك أن يكون متحقّقًا وموجودًا في الواقع الخارجيّ ، فالإمكان لا يستلزم الوقوع ، والإمكان أعمّ من الوقوع ، فالشّيء الممكن قد يوجد في الخارج وقد لا يوجد في الخارج ، فالممكن له قسمان : قسم يوجد ويتحقّق في الخارج ، وقسم آخر لا يوجد ولا يتحقّق في الخارج ، ولا بدّ أن نفرّق بين عالم الإمكان وعالم الوقوع .

مثال :

نسأل السّؤال الأوّل :

هل يمكن أن يوجد إنسان بمائة رأس ؟

الجواب :

نعم يمكن ؛ لأنّه لا توجد استحالة عقليّة ، فمن الممكن أن يولد شخص وله مائة رأس صغار .

نسأل السّؤال الثّاني :

هل وُجِدَ في الخارج إنسان بمائة رأس ؟

الجواب :

لا ، لم يوجد ذلك ، فمجرّد إمكانه لا يستلزم وقوعه في الخارج ، فهو ممكن ، وليس بالضّرورة أن يوجد الشّيء الممكن في الخارج ، وكما قلنا إنّ الممكن له قسمان : قسم يتحقّق في الخارج ، وقسم آخر لا يتحقّق في الخارج .

النّتيجة :

ليس كلّ ما هو ممكن فهو بالضّرورة واقع في الوجود الخارجيّ ، نعم كلّ ما هو واقع في الوجود الخارجيّ فهو بالضّرورة ممكن ، وثبت إمكانه في رتبة سابقة ، فوقوعه يستلزم إمكانه ، ولولا إمكانه لما وقع في الخارج ، والوقوع دليل الإمكان ؛ لأنّ الشّيء المستحيل لا يقع ولا يتحقّق في الخارج .

والنّتيجة هي أنّ الإمكان لا يستلزم الوقوع ، ولكنّ الوقوع يستلزم الإمكان ، والإمكان أعمّ من الوقوع .

وفي محاضرات "عالميّة الإسلام" نحاول أن نأتي بالبحوث بعبارات سهلة مع تبسيط المسائل المعقّدة .

وهذه المحاضرات الّتي ألقيتها ليست كلّها من إعدادي وتأليفي ، وإنّما أرجع إلى مصادر مختلفة ، وآخذ الأفكار منها وأحاول أن أصيغها بعبارات سهلة بسيطة ، وبعض المواضيع أقوم بتحضيرها من القرآن الكريم والرّوايات الشّريفة ، وبعض المحاضرات قد آخذ ٩٠% منها من المصادر ، وأضيف عليها ١٠% ، ولكنّ التّرتيب يكون من

إعـدادي ، فأرتّـب المعلومـات وأحـاول تبسـيطها ، وبعـض المحاضِـرين يطرحـون مصـطلحات كثيرة ، والإنسـان العـاديّ تكـون المصـطلحات صعبة عليه ، فنحـاول أن نبسّـط المواضيع قـدر الإمكـان ، ونسـتعمل اللّغـة السّـهلة بـدون تعقيـدات المصـطلحات ، وأحيـانًا إذا احتجنـا إلى بعض المصطلحات نبسّطها ونبيّن معانيها ونذكر لها أمثلة توضيحيّة ، كما في بحث التّصوّر والتّصديق ، أو هنا في بحث الإمكان والوقوع .

إذن ليسـت جميـع المحاضـرات مـن تأليفـي ، وفي آخـر الكتـاب سأكتب المصادر الّتي رجعت إليها واستفدت منها .

والإنسـان حينمـا يقـرأ كتـابًا معيّنًـا قـد يقتنـع بفكـرة معيّنـة ، وإذا اقتنعت بهذه الفكرة مع دليلها فهذه الفكرة تصير فكرتي وإن كنت قد أخذتها من شخص آخر ، ولكنّي مقتنع بها الآن ، فأدافع عن هذه الفكرة لأنّها صارت جزءًا منّي بعد أن كانت جزءًا من غيري ، والآن تنطبع شخصيّتي بهذه الفكرة ، وكذلك كلّ إنسان بنفس الطّريقة ، وكاتب قد يطرح فكرتين ، ولكنّي أقتنع بفكرة فأتبنّاها وأدافع عنها ، ولا أقتنع بالفكرة الأخرى فلا أتبنّاها ولا أدافع عنها .

وهـذه المحاضـرات اسـتقيتها مـن عـدّة مصـادر ، وبعـض المصـادر مصـارد معارضـة ، وبعـض الـملحدين يطرحـون إشـكالات علـى الإسلام ، وأنا آخذ الإشكال ، وكتاب هذا الملحد ومحاضرته يعتبران من المصادر الّتي رجعت إليها ، ولكنّي أردّ على الإشكال ، وبعض الأشخاص سألوني وقالوا بأنّ بعض المصادر ليست مصادر إسلاميّة ،

وحينما نأتي إلى السيّد ريتشارد دوكنز أو السّيّد ستيفن هوكنج فإنّ كتبهما تكون ضمن المصادر ، وكتابه يعتبر من المصادر لأنّي آخذ الإشكالات منه ، وأردّ عليها ، فيعتبر مصدرًا ، وليست جميع المصادر من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، وكذلك نأخذ من مصادر المذاهب الأخرى ، وذكرنا بأنّنا نرجع إلى كلّ كتاب ينفعنا في بحوثنا ، وحتّى العلوم الإنسانيّة نرجع إليها ونأخذ منها ما ينفعنا في هذه المحاضرات ، وحينما نأتي إلى نظريّة القرآن في علم الاجتماع سنأتي إلى الكتب الاجتماعيّة من المؤلّفين غير المسلمين لكي نأتي بعد ذلك بالنّظريّة الإسلاميّة في علم الاجتماع .

إذن نسمع المحاضرات من جميع العلماء ونقرأ الكتب من جميع المؤلّفين المسلمين وغير المسلمين ، وآخذ منها ما أقتنع به عن طريق الدّليل ، والفكرة بعد اقتناعك تصير فكرتك ، فدافع عنها بكلّ قوة ، وكذلك كلّ شخص الفكرة الّتي يقتنع بها يدافع عنها ، لذلك تأتي هنا وتستمع والفكرة الّتي لا تقتنع بها تدافع عن الفكرة المخالفة ، وتبدأ بالنّقاش والإشكال لأنّ لديك فكرة أخرى مضادّة .

وجميع البحوث عبارة عن بحوث نظرية قابلة لاختلاف وجهات النّظر ، ولكن أهمّ شيء أن يكون عندك الدّليل على صحّة فكرتك ، وحينما تذكر الفكرة تبيّن الدّليل على صحّتها ، والدّليل قد يكون آية قرآنيّة أو رواية أو دليلًا عقليًّا أو دليلًا عرفيًّا أو دليلًا علميًّا أو أيّ نوع آخر من الدّليل ، فالمهمّ أن يكون عندك الدّليل ، تذكر الفكرة

مع دليلها ، والبعض يشكل بأنّك متأثّر ببعض العلماء ، فسألته : ما هو معنى التّأثّر ؟ هل تقصد أنّني آخذ كلّ فكرة منه بلا تفكير ؟

أقول لا ، هناك بعض الأفكار يطرحها هذا العالم أو ذاك العالم وأنا لا آخذ بها ، فأنا آخذ الأفكار من هذا العالم ومن العالم الآخر ، وكذلك نأخذ الأفكار من غير المسلمين ، فإذا شخص غير مسلم طرح فكرة جيّدة فنأخذها ، والحكمة ضالّة المؤمن يأخذها أينما وجدها ، وتجد بعض الأقوال لبوذا وهي تعبّر عن حكمة فتأخذها ، اكتب في بحث الإنترنت "أقوال بوذا" ، ستخرج لك بعض الأقوال الّتي هي عبارة عن حكمة ، والحكمة ضالّة المؤمن ، وفي تلك الرّواية المعروفة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : اطلبوا العلم ولو بالصّين [1] ، لماذا ذكرت الصّين ؟

لأنّ عندهم حضارة قديمة ، وعندهم أقوال فيها حكمة ، والحكمة ضالّتك أيّها الإنسان سواء كانت من المسلم أم من غير المسلم .

اقرأ أيّ شيء ، ولكن خذ الفكرة الّتي تقتنع بها على أساس الدّليل ، طبعًا الشّباب في بدايات قراءاتهم لا ننصحهم أن يقرءوا أيّ شيء ، لا بدّ أن يرجع إلى العلماء الّذين يعطونه الأفكار الصّحيحة ، وبعد أن يأخذ هذه الأفكار ويتشبّع بها يستطيع أن يقيّم ويميّز فالآن نقول له : اقرأ أيّ شيء .

لا يقرأ أيّ شيء من البداية ، لذلك ليس السّؤال : "ماذا أقرأ ؟" ،

---

[1] بحار الأنوار ج١ ص١٧٧ ح٥٥ .

بل السّؤال : "لِمَنْ أقرأ ؟" ، مَنْ مِنَ العلماء تقرأ لهم في بداية المنظومة الفكريّة المعرفيّة الّتي تريد أن تبنيها ؟

نرجع إلى العلماء الّذين نثق بهم ونثق بعلمهم فنأخذ منهم ، طبعًا محاضرات "عالميّة الإسلام" لا ننصح الشّباب أن يسمعوها في بدايات بناء منظومتهم الفكريّة ؛ لأنّنا نتشعّب ونطرح أفكارًا أخرى مخالفة ضمن البحث النّظري ، فهو قد يستغرب أنّ هذه الفكرة كيف نطرحها ، وقد تكون خلاف إجماع العلماء ، وحينما نطرح أنّ كلّ إنسان يكون طاهرًا حتّى الكافر هذه الفكرة لا يتقبّلها الشّابّ في بدايات حياته الفكريّة ، ولكن بعدما يدخل في العلم الدّينيّ يتقبّل الرّأي والرّأي الآخر مع وجود الدّليل عليه ، كدليل : **"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ"** [1] .

وفتوى "طهارة كلّ إنسان" موجودة عند بعض العلماء ، وليست فكرة جديدة ولا فتوى جديدة ، فبعض العلماء يقولون بطهارة كلّ إنسان ، نعم المشهور أنّ الكافر غير الكتابيّ يكون نجسًا ، وكانوا سابقًا يقولون بنجاسة الكافر الكتابيّ أيضًا ، ونحن اعترضنا أنّ الكتابيّ ليس كافرًا ، فالكتابيّ يعتقد بالله فكيف يكون كافرًا ؟!

وكان التّعريف أنّ الكافر هو كلّ شخص غير مسلم ، والكتابيّ غير مسلم ، فيكون الكتابيّ كافرًا ، وطرحنا اعتراضًا على هذا التّعريف ، فاليهود والمسيحيّون من الموحّدين ، نعم قد يكون بعضهم

---

[1] الإسراء : ٧٠ .

من المشركين ، واليهوديّ يعتقد بإله واحد ، والمسيحيّ بعضهم يعتقد بإله واحد ، وبعضهم يعتقد بإله واحد مركّب من ثلاثة ، ولا يعتقد بثلاثة آلهة ، وإنّما يعتقدون بإله واحد ، فهم من الموحّدين ، وإذا كانوا من الموحّدين فليسوا كفّارًا ، وطرحنا هذا البحث سابقًا .

والإنسان يفكّر في كلّ ما يسمع وما يقرأ ، نعم أنا متأثّر بالسّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه ؛ لأنّه في كتاب حلقات أصول الفقه كان يأتي إلى كلّ مسألة متّفق عليها ويناقشها ، وأنا متأثّر بأسلوب السّيّد الشّهيد رضوان الله عليه ، وجميع العلماء نأخذ منهم الأفكار ، والتّأثّر بالسّيّد الشّهيد قدّس سرّه جعلني أفكّر في كلّ ما يُطْرَحُ ، أيّ فكرة تُطْرَحُ حتّى لو كانت من المسلَّمات أفكّر فيها وأحاول أن أبحث عن الدّليل على هذه المسلَّمة .

مثلًا ما هو الدّليل على وجود الله مع أنّ وجوده تعالى أمر بديهيّ مسلَّم عندنا ؟

وجود الله أمر مسلَّم به ، ولكن فكّر لكي تصل إلى الدّليل ، وكذلك في بقيّة الأمور ، نعم أنا متأثّر بالسّيّد الشّهيد ، وكنت أقرأ كتب العلماء من بدايات حياتي الفكريّة ، ومنهم السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه ، ومنهم الشّيخ الشّهيد مرتضى المطهريّ رضوان الله عليه ، وكذلك بعض العلماء الآخرين .

فكّر في المسلَّمات ، ولكن ليس في البداية ، وإنّما بعد قطع مراحل من العلم ، فتبدأ بالتّفكير لا فقط بالتّلقّي ، نعم في بدايات حياته

يتلقّى الإنسان الأفكار ، ولكن بعد ثلاثين أو أربعين سنة في الحوزة العلميّة لا بدّ أن يفكّر ويكون عنده إنتاج فكريّ ، والاجتهاد معناه الإبداع والإنتاج الجديد ، وليس من المعقول أن يكون الإنسان مجتهدًا ولا ينتج شيئًا جديدًا ، فهو بعد ما يتلقّى الأفكار يبدأ بالإنتاج ، ويبدع شيئًا جديدًا ، ويترك بصمةً في فهم الدّين بعدما يرتحل من هذه الدّنيا .

ونحاول في هذه المحاضرات أن نطرح أفكارًا جديدةً ، وبعض الأفكار ليست جديدة ، وإنّما هي جديدة على المستمعين ، ولكنّها ليست جديدة على العلماء ، فالعلماء فكّروا في هذه المسائل ، وهي مطروحة في الكتب ، وبعضها إشارات من بعض العلماء ، ونأخذ هذه الإشارات ونوسّعها ، ونذكر أدلّة على الأفكار المطروحة عند العلماء ، وبعض العلماء طرحوا مثل هذه الأفكار ، وبعض الأفكار هي أفكار جديدة لم يطرحها العلماء السّابقون .

ونحاول أن نستنتج بعض الاستنتاجات الجديدة من القرآن الكريم ، وهذه محاولات في هذه البحوث ، والنّظريّة قد نوفّق بها أو لا نوفّق ، ولكنّ المهمّ أن نحافظ على عالميّة الإسلام .

وبعض الأفكار قد يُعْتَرَضُ عليها ، والمعترض لا بدّ أن يفكّر ماذا يمكن أن يطرح ضمن عالميّة الإسلام ، وإذا كانت هذه الفكرة غير مقبولة اسأل نفسك : ما هي الفكرة الأخرى البديلة الّتي يمكن أن تكون مقبولة في الموضوع ؟

لا فقط تعترض ، ومشكلة النّاس بشكل عامّ أنهم حينما يسمعون أيّ موضوع هم مستعدّون للنّقد ، ولكن استمع إلى الموضوع واسأل نفسك : ماذا اسْتَفَدْتُ ؟

بعض الأشخاص عندهم حالة النّقد ، مباشرةً يقول عندي إشكال ، وبعض الرّسائل تصل ويذكرون إشكالات ، ولكنّهم لا يذكرون ماذا استفادوا ، اذكر الإشكال والاعتراض ، واذكر أيضًا ماذا استفدت ، وحينما ترسل رسالتك أَعْرِفُ أن هذه استفاداتك وتلك إشكالاتك ، لا أن يكون النّقد أمرًا دائميًّا ، والنّاس شطّار في النّقد والإشكال والاعتراض ، ولكنّهم لا يبرزون الجوانب الإيجابيّة في هذه المحاضرات ، اذكر الجوانب الإيجابيّة والاعتراضات الموجودة عندك ؛ لكي أستفيد من رسالتك ، وفي مقدّمة الأجزاء التّالية من الكتاب سأذكر الرّسائل الّتي وصلتني ، بعضها إشكالات ، وبعضهم يمدحون المحاضرات ، وسأعلّق على الرّسائل الّتي تصل ، فاستمع بتمعّن واقرأ وتفكّر وتأمّل واكتب رسالتك واذكر الجوانب الإيجابيّة في المحاضرات والكتب ، واكتب الاعتراضات والإشكالات ، وستجد الأجوبة في مقدمة أجزاء "عالميّة الإسلام" .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٥٥)

عالميّة الإسلام

في كلمات أمير المؤمنين عليه السّلام [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أسعد الله أيّامنا وأيّامكم بعيد الغدير الأغرّ ، عيد الولاية ، عيد الإمامة ، الله أكبر ، والحمدلله على إكمال الدّين وإتمام النّعمة ورضا الرّبّ برسالة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، والولاية لعليّ عليه السّلام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ، والحمدلله الّذي جعلنا من المتمسّكين بولاية أمير المؤمنين والأئمّة المعصومين عليهم السّلام .

نبدأ متوكّلين على الله تعالى بقصّة الغدير مع بعض التّعليقات عليها :

نزل رسول الله صلّى الله عليه وآله في غدير خم ، ونزل المسلمون حوله ، وكان يومًا قَائِظًا شديد الحرّ ، وأمر صلّى الله عليه وآله بجمع

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢١ ذو الحجة ١٤٤٠ هـ ، الموافق ٢٠١٩/٨/٢٣ م .

الرّحال ، ووضع بعضها فوق بعض ، ثمّ أمر مناديه فنادى في النّاس : "الصّلاة جامعة" ، فاجتمعوا من رحالهم إليه ، وإنّ أكثرهم ليلفّ رداءه على قدميه من شدّة الرّمضاء ، فلمّا اجتمعوا صعد صلّى الله عليه وآله على تلك الرّحال حتّى صار في ذروتها ، ودعا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام فرقى معه حتّى قام عن يمينه ، ثمّ خطب النّاس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ فأبلغ في الموعظة ، ونعى إلى الأمّة نفسه .

وبدأ الرّسول صلّى الله عليه وآله خطبته بقوله : "يا أيّها النّاس" .

لم يقل الرّسول صلّى الله عليه وآله : "ياأيّها الّذين آمنوا" أو "يا أيّها المسلمون" ، بل قال : "يا أيّها النّاس" ، وهذا يدلّ على أنّ الخطبة مُوَجَّهَة إلى جميع النّاس عبر التّاريخ وعبر الزّمان والمكان ، وما فيها من كلمات لا تختصّ بالمسلمين ، بل هي موجّهة لجميع النّاس ، وهذه الخطبة بحاجة إلى بحث مستقلّ لبيان الجوانب العالميّة المذكورة فيها ، فالخطبة رسالة عالميّة ، وليست خطبة مختصّة بالمسلمين .

ثمّ قال صلّى الله عليه وآله : "قد دُعِيتُ ويوشك أن أجيب ، وإنّي مخلّف فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا من بعدي : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإنّهما لن يفترقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض" .

يوجد اقتران بين القرآن والعترة ، لذلك قلنا في منهج البحث في هذه المحاضرات : القرآن والعترة ، فمرجعنا القرآن والعترة وسيّدهم رسول الله صلّى الله عليه وآله ، بالإضافة إلى العقل .

وقد تكلّمنا عن الاستفادات الّتي نستفيدها من حديث الثّقلين في الجزء الأوّل من كتاب "عالميّة الإسلام" في المحاضرة رقم ١٢ تحت عنوان "منهج البحث" .

ثمّ نادى صلّى الله عليه وآله بأعلى صوته : "ألست أَوْلَى بكم من أنفسكم ؟" ، قالوا : اللّهم بلى . فقال صلّى الله عليه وآله لهم مباشرةً من غير فصل وقد أخذ بيد أمير المؤمنين عليه السّلام : "فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللّهم وَالِ من والاه ، وعَادِ من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، فإنّه منّي وأنا منه ، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي" . . . [١] .

سؤال : هل إمامة أمير المؤمنين عليه السّلام إمامة خاصّة أو عامّة لجميع النّاس ؟

الجواب :

إمامة أمير المؤمنين عليه السّلام إمامة عامّة لجميع النّاس ؛ لأنّ خطبة الرّسول صلّى الله عليه وآله بدأت بقوله : "يا أيّها النّاس" ، فهو ليس إمامًا خاصًّا للشّيعة فقط ، ولا للمسلمين خاصّة ، بل إمامته وإمامة باقي الأئمّة عليهم السّلام إمامة عامّة لجميع النّاس في العالم ، فهو إمام للمسلمين واليهود والمسيحيّين والبوذيّين ومختلف أتباع الأديان ، وهو إمام للملحدين أيضًا ، والإمامة كالنّبوّة ،

---

[١] بحار الأنوار ج٢١ ص٣٨٣-٣٨٨ ح١٠ ، ج٣٧ ص١٣٩ ح٣٢ .

والرّسول صلّى الله عليه وآله بعثه الله برسالته الإسلاميّة لجميع النّاس ، فكما أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله رسالته عامّة لجميع النّاس ، كذلك الإمامة عامّة لجميع النّاس .

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" [1] .

الآية تبيّن أنّ رسالة النّبيّ صلّى الله عليه وآله رسالة عامّة لجميع النّاس سواء علموا بذلك أم لم يعلموا ، وسواء اعتقدوا بالنبي صلّى الله عليه وآله أو أنكروه .

سؤال : ما هو الدّليل القرآنيّ على أنّ الإمامة عامّة لجميع النّاس ؟

الجواب :

يقول القرآن الكريم :

"وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" [2] .

"قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا" : إبراهيم عليه السّلام كان إمامًا لجميع النّاس ، فالإمامة تكون لجميع النّاس ، وهي بجعل من الله عزّ وجلّ ، ولا تكون بانتخاب من النّاس ، فالإمامة كالنّبوّة تكون مجعولة من الله تعالى ، فالقرآن الكريم يدلّ على أنّ الإمامة تكون بجعل من الله ، فيجب على الإنسان أن يبحث عن الإمام المجعول من الله .

---

[1] سبأ : ٢٨ .

[2] البقرة : ١٢٤ .

"**قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي**" : الأئمّة سيكونون من ذرّيّة سيّدنا إبراهيم عليه السّلام ، وتكون إمامتهم إمامة عامّة لجميع النّاس كإمامة جدّهم عليه السّلام ، فالقرآن يدلّ على أنّ الأئمة يكونون من ذرّيّة إبراهيم عليه السّلام ، فيجب على الإنسان أن يبحث عن هؤلاء الأئمّة ، وبواسطة هؤلاء الأئمّة فقط يصل إلى معرفة الحقّ لأنّهم أئمّة الهدى .

"**قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**" : الإمامة عهد من الله عزّ وجلّ ، وليست من اختيار النّاس ، ولا تعطى الإمامة للإنسان الظّالم لنفسه أو لغيره ، وعدم الظّلم دالّ على العصمة ، فالقرآن يدلّ على أنّ الإمامة عهد من الله ، ودالّ أيضًا على عصمة هؤلاء الأئمّة ، فيجب على الإنسان أن يبحث عن الإمام المعهود إليه من الله عن طريق أنبيائه ، وهذا الإمام يكون معصومًا ؛ لأنه لا يظلم نفسه ولا يظلم غيره ، فدليلنا على عصمة أئمّتنا عليهم السّلام هو القرآن الكريم ، ويكونون أئمّة بتعيين من رسول الله صلّى الله عليه وآله ؛ لأنّ الإمامة تكون بجعل وعهد من الله تعالى .

نأتي إلى الرّوايات الشّريفة الموافقة للقرآن الكريم :

عن أبي عبدالله عليه السلام قال : . . . وقد كان إبراهيم عليه السّلام نبيًّا وليس بإمام حتّى قال الله : "**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**" . قال : "**وَمِن ذُرِّيَّتِي**" . فقال الله : "**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**" ، مَنْ عَبَدَ صَنَمًا أو وَثَنًا لا يكون إمامًا [1] .

---

[1] الكافي ج١ ص١٧٤-١٧٥ ح١ .

من عبد صنمًا أو وثنًا فلا يكون إمامًا ؛ لأنّه ظالم لنفسه ، فلا بدّ أن يكون الإمام من البداية مسلمًا ، والمعروف بين المسلمين أنّ عَلِيًّا عليه السّلام لم يسجد لصنم قطّ ، لذلك يقول جميع المسلمين "كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ" ، أي كرّم الله وجه عليّ عليه السّلام عن السّجود لصنم ، ومن لم يسجد لصنم قطّ يكون هو الإمام المُعَيَّن المعهود إليه والمجعول من الله بواسطة النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : إنّ الله تبارك وتعالى اتّخذ إبراهيم عبدًا قبل أن يتّخذه نبيًّا ، وإنّ الله اتّخذه نبيًّا قبل أن يتّخذه رسولًا ، وإنّ الله اتّخذه رسولًا قبل أن يتّخذه خليلًا ، وإنّ الله اتّخذه خليلًا قبل أن يجعله إمامًا ، فلمّا جمع له الأشياء قال الله : **"إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا"** . قال : فَمِنْ عِظَمِها في عين إبراهيم قال : **"وَمِن ذُرِّيَّتِي"** ، قال الله : **"لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"** . قال أبو عبدالله عليه السّلام : لا يكون السّفيه إمام التّقيّ [1] .

"جمع له الأشياء" : أي العبوديّة والنّبوّة والرّسالة والخلّة .

"فَمِنْ عِظَمِها في عين إبراهيم" : كانت الإمامة في نظر إبراهيم عليه السّلام أمرًا عظيمًا ، لذلك طلب الإمامة لذرّيّته .

"لا يكون السّفيه إمام التّقيّ" : في الرّواية السّابقة : "من عبد صنمًا أو وثنًا لا يكون إماما" ، وفي هذه الرّواية : "لا يكون السّفيه إمام التّقيّ" ، فمن يكون سفيهًا لا يكون إمامًا ، فالنّتيجة أنّ من

---

[1] الكافي ج١ ص١٧٥ ح٢ .

يعبد صنمًا أو وثنًا يكون سفيهًا ، والسّفيه لا يصلح للإمامة ، ولا يكون إمام التّقيّ ، وإنّما التّقيّ المعصوم المجعول من الله والمعهود إليه من النّبيّ يكون إمام السّفيه .

عن ابن عبّاس قال : الظّالم من أشرك بالله وذبح للأصنام ، فلم يَبْقَ أحد من قريش والعرب من قبل أن يُبْعَثَ النّبيّ صلّى الله عليه وآله إلّا وقد أشرك بالله وعبد الأصنام وذبح لها ما خلا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام ، فإنّه من قبل أن يجري عليه القلم أسلم ، فلا يكون إمامٌ أشرك بالله وذبح للأصنام ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قال : **"لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"** [1] .

إذن من أشرك بالله وعبد صنمًا كان ظالمًا ، والظّالم لا يكون إمامًا ، والإمام لا بدّ أن يكون معصومًا غير ظالم لنفسه أو لغيره .

عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام قال : نحن ذرّيّة إبراهيم . . . [2] .

وإبراهيم عليه السّلام قال : **"وَمِن ذُرِّيَّتِي"** ، وذرّيّته عليه السّلام تمتدّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وإلى الأئمّة عليهم السّلام ، فيكونون عليهم السّلام أئمّة لجميع النّاس .

إذن :

إمامة الأئمّة عليهم السّلام عامّة لجميع النّاس في العالم ، لذلك لا

---

[1] بحار الأنوار ج٣٦ ص١٤١ ح١٠٢ .

[2] المصدر السّابق ج٢٣ ص٢٢٣ ح٣٧ .

بدّ أن ندرس سيرة كلّ إمام وكلماته لنستخرج منها الجوانب الّتي تدلّ على عالميّة الإسلام ، فإمامتهم عامّة شاملة لجميع النّاس ، فتكون سيرتهم عامّة ، وكلماتهم عامّة .

ونحتاج إلى بحوث مستقلّة في سيرة كلّ إمام من أئمّة العترة الطّاهرة عليهم السّلام لنرى ما هي الأعمال الّتي قاموا بها والكلمات الّتي نطقوا بها لنستخرج الجوانب العالميّة من أفعالهم وأقوالهم .

قال القرآن الكريم فيهم عليهم السّلام :

"إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا" [1] .

وأسأل الله عزّ وجلّ التّوفيق لدراسة سيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام وكلماتهم لاستخراج الجوانب العالميّة فيها .

سؤال : على ماذا يدلّ لفظ "الإمام" ؟

الجواب :

لفظ "الإمام" يدلّ على عدّة أمور ، وذكر العلّامة المجلسيّ في بحار الأنوار أمرين [2] :

الأمر الأوّل : القدوة :

الإمام عليه السّلام يكون هو المقتدى به في أفعاله وأقواله .

يقول القرآن الكريم :

---

[1] الأحزاب : ٣٣ .

[2] بحار الأنوار ج١٢ ص٥٨ .

"لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا" [١] .

"قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ . . ." [٢] .

"ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ . . ." [٣] .

إذن :

الأمر الأوّل هو أنّ الاقتداء يكون بهدى الأنبياء عليهم السّلام ، والأئمّة عليهم السّلام لهم جانب القدوة أيضًا ، فالمسلمون يقتدون بالأئمّة عليهم السّلام ، بل المطلوب من جميع النّاس الاقتداء بهم عليهم السّلام .

الأمر الثّاني : الحكومة :

الإمام عليه السّلام يكون هو الحاكم الّذي يقوم بتدبير الأمّة وسياستها ، والقيام بأمورها ، ومنها تأديب جناتها ، وتوزيع مناصب الدّولة ، وإقامة الحدود على مستحقّيها ، ومحاربة من يكيد الأمّة ويعاديها ويحاربها .

---

[١] الأحزاب : ٢١ .

[٢] الممتحنة : ٤ .

[٣] الأنعام : ٨٨-٩٠ .

"وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً . . ." [1] .

أي يجعل الله في الأرض حاكمًا ، فالحاكم يكون بجعل من الله تعالى ، وقد يكون للفظ "الخليفة" معنى آخر أعمق من معنى "الحاكم" ، وسيأتي حينما نبحث في موضوع "خلافة الله تعالى" .

"يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى . . ." [2] .

المطلوب من الحاكم أن يحكم بين النّاس بالحقّ ولا يتّبع أهواءه .

وذكر العلّامة المجلسيّ أنّ من وظيفة الحاكم إقامة الحدود على مستحقّيها ، وهذا يفيدنا في بحث موضوع "الحدود والعقوبات في الإسلام" ، فتطبيق الحدود والعقوبات يكون بيد الحاكم الشّرعيّ ، مثلًا ما يذكر من قطع اليد ورجم الزّاني وقتل المرتدّ يكون تطبيقها بيد الحاكم الشّرعيّ .

وهذه الأحكام سنبحثها تفصيلًا بعد ذلك في أحكام الفقه العملي ، فيأتي السّؤال التّالي :

هل هذه الأحكام من الأحكام الشّرعيّة أو من الأحكام الولائيّة التّنظيميّة ؟

ليست جميع الأحكام في الدّين أحكامًا شرعيّة ، فبعض الأحكام هي أحكام ولائيّة ، والحكم الّذي يكون تطبيقه بيد الحاكم الشّرعيّ

---

[1] البقرة : ٣٠ .

[2] ص : ٢٦ .

يكون حكمًا ولائيًّا من باب ولاية الأمر ، فيأتي السّؤال التّالي :

هل يمكن للحاكم أن يغيّر الأحكام الولائيّة بمعنى أنّه يأتي بمصاديق أخرى للحدود والعقوبات غير المذكورة في النّصوص ؟

هذا سيأتي بحثه حينما نبحث تفصيلًا في موضوع "الحدود والعقوبات" .

نرى أنّ القرآن الكريم في بعض الأحيان يذكر المفهوم ، وفي بعض الأحيان يذكر المصاديق ويريد المفهوم ، فيمكن أن نأتي بمصاديق أخرى لهذا المفهوم ، وهذه المصاديق لم يذكرها القرآن .

مثلًا يقول القرآن :

"أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ" [1] .

نسأل : هل القرآن يريد خصوص الإبل أو أيّ حيوان آخر ؟

هذا من باب المصداق ، فالقرآن ذكر المصداق ، ولكنّه يريد المفهوم ، فتنظر إلى أيّ حيوان فتعرف كيف أنّ الله خلقه ، والإبل مصداق لحيوان موجود في الجزيرة العربيّة ، وبعض البلدان لا يعرفون الإبل ، فنقول إن القرآن ذكر مصداقًا للحيوان ، وأنت انظر إلى الحيوانات الموجودة في بلدك ، فيوجد مصداق آخر للحيوان في بلدك ، فانظر إليه لتعرف عظمة الخالق .

فيأتي السّؤال التّالي :

القرآن حينما ذكر الحدود والعقوبات هل هي من باب المصاديق

---

[1] الغاشية : ١٧ .

أو من باب المفهوم والحكم الواحد الثّابت ؟

نقرأ في القرآن الكريم :

"وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ" [١] .

هذا هو المفهوم وهو القصاص أي إنزال العقوبة بالمجرم .

وحينما يذكر القرآن قطع اليد هل هذا من باب المصداق بحيث يمكن للحاكم الإتيان بمصاديق أخرى أو أنّ هذه الأحكام يطبّقها الحاكم كما هي ؟

سيأتي هذا البحث في مباحث الفقه العملي إن شاء الله تعالى .

وتلاحظون أنّ حكم قطع اليد لا يطبّق في الدّول المسلمة ، ورجم الزّاني لا يطبّق ، وقتل المرتدّ لا يطبّق ، وإذا قلنا بأنّ هذه أحكام شرعيّة ولا يطبّقها المسلمون فتأتي الآيات التّالية :

". . . وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ" [٢] .

". . . وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " [٣] .

". . . وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ" [٤] .

وترون أنّ هذه الأحكام لا تُطَبَّقُ ، فإذا كان الحكم حكما شرعيًّا – كحكم وجوب الصّلاة – فيجب أن يُطَبَّقَ ويعمل بها المسلم ،

---

[١] البقرة : ١٧٩ .

[٢] المائدة : ٤٤ .

[٣] السّورة السّابقة : ٤٥ .

[٤] السّورة السّابقة : ٤٧ .

فيأتي بحث أنّ :

أحكام الحدود والعقوبات هل هي أحكام شرعيّة أو أحكام ولائيّة راجعة إلى تقدير الحاكم الشّرعيّ ؟

ونسأل :

هل كلّ ما يقوم به النّبيّ صلّى الله عليه وآله يُعْتَبَرُ حكمًا شرعيّا أو لا ؟

الجواب :

لا ، فبعض الأفعال الّتي يقوم بها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وكذلك بعض الأقوال الّتي يقولها تكون من باب أنّه مُشَرّع ، فيعطيك حكمًا شرعيًّا ، وبعض الأفعال الّتي يقوم بها ويقولها صلّى الله عليه وآله تكون من باب أنّه حاكم ، فلأنّه حاكم فإنّه يعطيك هذا الحكم ، وبعض الأفعال والأقوال الّتي يأتي بها النّبيّ صلّى الله عليه وآله تكون من باب أنّه قاضي ، لذلك فإنّ أيّ فعل أو قول يصدر من النّبيّ صلّى الله عليه وآله يدرسه الفقيه ليعرف أنّ هذا حكم شرعيّ أو حكم ولائيّ أو حكم قضائيّ أو أيّ نوع آخر من الأحكام ، لا أنّ كلّ ما يأتي به النّبيّ صلّى الله عليه وآله يكون من باب الأحكام الشّرعيّة .

وهنا يأتي دور الفقيه في تحديد نوع الحكم ، والبحث بحث نظريّ ، والبحث النّظريّ يقع فيه اختلاف الآراء بين الباحثين ، لذلك تجد اختلافًا في فتاوى الفقهاء فيما يأتي به النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

هل هذا حكم شرعيّ أو ليس حكما شرعيًّا ؟

هل هذا حكم ولائيّ أو ليس حكمًا ولائيًّا ؟

هل هذا حكم قضائيّ أو ليس حكما قضائيًّا ؟

هل هذا حكم من نوع آخر غير الأحكام الثّلاثة السّابقة ؟

مثلًا إذا ثبت قتل المرتدّ هل الفرد يقوم بقتل المرتدّ أو الحاكم ؟

قتل المرتدّ من الأحكام الّتي لا يقوم بها الفرد ، فهي ليست كحكم وجوب الصّلاة ، فالصّلاة مفروضة على كلّ فرد فرد ؛ لأنّها حكم شرعيّ ، وإذا قلنا بأنّ الفرد يقوم به فتحدث فوضى في المجتمع ، فيقتل شخصًا ويقول هو مرتدّ ، بل هي من أحكام الحدود والعقوبات ، وأحكام العقوبات ليست من الأحكام الشّرعيّة بل هي من الأحكام التّنظيميّة للمجتمع ، والأحكام التّنظيميّة تكون بيد الحاكم لا بيد الأفراد ، لذلك يعيّن الحاكم جهازًا قضائيًّا لإصدار الأحكام القضائيّة وجهازًا تنفيذيًّا لتنفيذ وتطبيق الحدود والعقوبات .

وسيأتي في بحث "المرتدّ" في مباحث الفقه العمليّ أنّه هل كلّ مرتدّ يأمر الحاكم بقتله أو أنّ هناك صفات معيّنة لهذا المرتدّ لكي يأمر الحاكم بقتله كأن يسبّب فتنة في المجتمع تؤدّي إلى قتل الأفراد أو يتعاون مع الأعداء أو غير ذلك من الحالات ؟

وسنأتي إلى الرّوايات الّتي ذكرت قتل المرتدّ ؛ لأنّ قتل المرتدّ غير مذكور في القرآن الكريم ، وسنبحث بحثا تفصيليّا في هذه الرّوايات الواردة في قتل المرتدّ لكي نرى شروط هذا الحكم من خلال عرضه

على القواعد العامّة المذكورة في القرآن الكريم .

وخلاصة الموضوع أنّه هل الحدود والعقوبات أحكام شرعيّة أو أحكام ولائيّة تنظيميّة تكون بيد الحاكم ؟ وهل من صلاحيّات الحاكم أن يأتي بمصاديق جديدة للقصاص ؟ وهل السّارق بدل أن يأمر الحاكم أو القاضي بقطع يده يسجنه كما هو الحكم الموجود الآن في جميع الدّول بما فيها دول المسلمين ؟

والبحث الآخر أنّه جاء في القرآن الكريم تعبير "**نَكَالًا مِنَ اللهِ**" في قوله تعالى :

"**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**" [١] .

نَكَالًا من الله : عقوبةً من الله تعالى .

نَكَلَ : الأصل الواحد في المادّة هو النّكوص أي الرّجوع عمّا فيه لتضييق ومعاقبة ، ونكّل به نَكَالًا أي فَعَلَ به ما يمنعه عن المعاودة ويمنع غيره عن إتيان مثل صنيعه [٢] .

النّكال : هو العقوبة الّتي يُعَاقَبُ بها المجرم لينتهي عن إجرامه ويعتبر بها غيره من النّاس [٣] .

---

[١] المائدة : ٣٨-٣٩ .

[٢] التّحقيق في كلمات القرآن الشّيخ حسن المصطفويّ ج١٢ ص٢٧٤ .

[٣] تفسير الميزان ج٥ ص٣٢٩ .

النّكال : هو العقوبة الّتي تُنَفَّذُ لتحقيق الوقاية وترك المعصية ، وَتُطْلَقُ أيضًا على كلّ عمل يحول دون حصول الانحراف [1] .

إذا قلنا بأنّه يكون عقوبة من الله فهل إقامة الحدّ على المجرم الّذي يستحقّ القتل أو السّجن تكون من باب العقوبة فقط أو يمكن أن يأتي عنوان آخر كإعادة التّأهيل كما يعمل به الآن في السّجون ؟

فهل يمكن للحاكم أن يحكم ببعض الأعمال في السّجن بحيث يكون فيها إعادة تأهيل للسّجناء وتحويلهم إلى مواطنين صالحين ويرجعون إلى المجتمع ويساهمون في بنائه ؟

وفي بعض الدّول الغربيّة يوجد حكم بأنّه إذا قرأ السّجين كتابًا أو شارك في الرّياضة أو تعلّم حرفةً فإنّ مدّة عقوبته تقلّ ، فهو إذا تعلّم حرفة فيمكنه بعد خروجه من السّجن أن يعمل بدل من أن يسرق .

فهل يمكن أن يضع الحاكم برنامجًا بحيث يجعل بدل العقوبات أعمالًا أخرى من باب تربية السّجين وإعادة تأهيله في السّجن ؟

فيوجد برنامج لإعادة تأهيل السّجناء ، ونرى أنّ هذا مُطَبَّقٌ الآن في السّجون في بعض الدّول .

هذه عناوين عامّة ، وسيأتي البحث في هذه العناوين حينما نصل إلى محلها المناسب في مباحث الفقه العمليّ .

والبعض يسأل : لماذا تذكر العناوين ولا تفصّل فيها ؟

والجواب أنّه إذا لم يتّسع لي المجال للبحث في هذه العناوين

---

[1] تفسير الأمثل ج٣ ص٧٠٥ .

فالعناوين موجودة أمام الباحثين ، ويمكن أن يبحثوا فيها ، والعمر لا يطول للبحث حول كثير من العناوين الّتي طرحناها ، ومن يريد أن يبحث في مشروع "عالميّة الإسلام" فالعناوين موجودة أمامه ، وطرحنا مجموعة كبيرة من العناوين الّتي يمكن للباحث أن يبحث فيها .

وستأتي الأبحاث التّفصيليّة في موضوع "الحدود والعقوبات" في مباحث الفقه العمليّ إن شاء الله تعالى .

وقلنا إنّ ما ذكره العلّامة المجلسيّ من أنّ وظيفة الحاكم إقامة الحدود على مستحقّيها – ينفعنا في أنّ تطبيق الحدود يكون بيد الحاكم الشّرعيّ .

وقوله إنّ وظيفة الحاكم محاربة من يكيد الأمّة – يفيدنا في بحث الدّفاع عن الدّولة الإسلامية ، وقتال من يقاتل المسلمين ، دون الاعتداء على غير المسلمين سواء كانوا داخل الدّولة الإسلاميّة أم خارجها ، وطرحنا سابقًا بحثًا بعنوان "قاتلوا الّذين يقاتلونكم" ، وجاء في الجزء الثّالث من كتاب "عالمية الإسلام" في المحاضرة ٣٤ .

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" [١] .

الرّجوع إلى الموضوع :

نتناول في هذه المحاضرة بعض كلمات عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السّلام الواردة في نهج البلاغة لأجل بيان أنّ الإسلام

---

[١] البقرة : ١٩٠ .

دين عالميّ ، وتوجد كلمات أخرى له عليه السّلام في الكتب الرّوائيّة الأخرى ، وأمّا سيرته وأفعاله عليه السّلام فلها بحث آخر في مناسبات أخرى ، وكذلك سيرة بقيّة أهل البيت عليهم السّلام لنستخرج منها النّقاط الّتي تدلّ على عالميّة الإسلام ، فندرس الأفعال والأقوال الّتي جاء بها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السّلام والأئمّة عليهم السّلام والّتي تدلّ على عالميّة الإسلام .

ونقتصر هنا على ذكر كلمات أمير المؤمنين عليه السّلام الواردة في كتاب "نهج البلاغة" ، وهي الكلمات الّتي تبدأ بقوله عليه السّلام : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ" ، وذكرنا في محاضرة أمثلة عن الخطابات العالميّة في القرآن ، وهي الآيات الّتي تبدأ بقوله تعالى : **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** .

ويمكن القيام ببحث قرآنيّ عن **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** ، ويبحث الباحث فيه عن الأشياء الّتي ركّز عليها القرآن حينما بدأ بهذا الخطاب الموجّه إلى النّاس ، ويبحث عن الأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة والأحكام العمليّة الّتي وجّهها القرآن إلى النّاس .

وكذلك بحث آخر عن الخطابات الموجّهة إلى الإنسان في القرآن .

"يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ" [١] .

"يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ" [٢] .

---

[١] الانشقاق : ٦ .

[٢] الانفطار : ٦-٨ .

مرّة "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**" ، ومرّة "**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ**" ، فهذه الخطابات خطابات عالميّة ، فنبحث عن الخطابات العالميّة في القرآن ، وكذلك عن الخطابات العالميّة في كلمات النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام ، والأفعال العالميّة عند النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام ، وهذه بحوث جديدة .

وما دام أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ" – فيكون كلامه خطابًا عالميًّا :

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : أيّها النّاس ، إنّا قد أصبحنا في دهر عنود وزمن كنود ، يُعَدُّ فيه المحسن مُسِيئًا ، ويزداد الظّالم فيه عُتُوًّا ، لا ننتفع بما علمنا ، ولا نسأل عما جهلنا . . . [1] .

دهر عنود من العناد ، زمن العناد والعصيان والتّمرّد على الله ، والكنود معناه كفران النّعمة ، والآن زماننا زمان العناد وكفران النّعمة والتّمرّد على الله ، وأمير المؤمنين عليه السّلام يخاطب النّاس عبر التّاريخ ، فالمحسن يعتبر مسيئًا ، ويزداد ظلم الحكّام الظّالمين ، والعلم لا ينتفع به النّاس ، والمسلمون عندهم كثير من العلم ، ولكن قليلًا ما يعملون بهذا العلم ، ولا يسأل النّاس عما يجهلون ، فالمسلمون لا يسألون عن تكاليفهم ، ونحن الآن في زمان الغيبة الكبرى ، والمؤمنون لا يسألون ما هي تكاليفهم ، فما هو تكليفنا في هذه الفوضى والمعمعة العالميّة ؟

---

[1] شرح نهج البلاغة للشّيخ محمّد عبده ج١ ص٧٧ خطبة ٣٢ .

لا بدّ أن يسأل النّاس ، عندهم كثير من العلم ، ولكنّ العمل قليل ، والآن كلّ شخص يراجع نفسه ، وسيرى بأنّ المعلومات الّتي عنده كثيرة ، وليقيسها على الأعمال الّتي يقوم بها ، كم نسبة العمل إلى العلم ؟

قد يعمل بـ ٥% أو ١٠% من العلم الموجود عنده ، ولا يسألون عن الأشياء المهمّة ، فتراهم يتابعون المواضيع التّافهة والأشخاص التّافهين إلّا القليل ممّن يتابعون المفكّرين والمثقّفين والعلماء .

وخطاب أمير المؤمنين عليه السّلام يسير عبر الزّمان ، ويمكن تطبيقه على زماننا الحاليّ .

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : أيّها النّاس ، إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان : اتّباع الهوى ، وطول الأمل ، فأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ ، وأمّا طول الأمل فَيُنْسِي الآخرة . . . [١] .

طَبِّقْ على زماننا ، اتّباع الهوى يصدّ عن الحقّ ، انظر الآن كم من النّاس يتمسّكون بالحقّ حتّى بين المؤمنين من أتباع أمير المؤمنين عليه السّلام ، ترى أنّ عنده مشكلة مع أخيه أو مع صاحبه ، فلماذا يذهبان إلى المحكمة ؟

بعض المؤمنين عندهم تجارة فيذهبون إلى المحكمة ليفصل القاضي في الخصومة ، نقول بأنّهم لا يحتاجون إلى المحكمة ، فكلّ شخص يعرف حقّه وما له وما عليه .

---

[١] شرح نهج البلاغة ج١ ص٩٢-٩٣ من كلام له رقم ٤٢ .

وطول الأمل يُنْسِي الآخرة ، يقول سأفعل فيما بعد إن شاء الله ، وبعض النّاس عندهم التّسويف ، غدًا أفعل ، السّنة القادمة أفعل ، وكأنّه قد ضمن عمره ، وهناك أمور لا بدّ أن تأتي بها الآن أو بعد يوم أو يومين ، ولا يمكن التّأجيل .

مثلًا طالب في المدرسة ومع قرب الامتحانات يقول : سوف أدرس .

وهذا مثال بسيط ، لا يبدأ الدّراسة مع بداية السّنة ، سوف أدرس والوقت أمامي .

كم نؤجّل من أعمالنا ؟

كم من المسلمين يؤجّلون الصّلاة ولا يصلّون في أوّل الوقت ؟

سوف أصلّي وما زلنا في الوقت ، وهذه الحالة موجودة بين المسلمين .

يدخل إلى السّوق قبل المغرب بدقائق ، يقول سوف أصلّي حينما أرجع إلى البيت السّاعة الحادية عشرة مساءً .

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : أيّها النّاس ، الزّهادة قصر الأمل ، والشّكر عند النّعم ، والورع عند المحارم . . . [1] .

الزّاهد هو الّذي يقصّر الأمل ، لن تعيش لمدّة طويلة ، بعد دقيقة لا تضمن عمرك ، والإنسان الّذي يعتقد بأنّه سيموت غدًا يأتي بتكاليفه ، وكلّ تكليف في أوّل وقته ولا يؤجّله ، الآن دخل وقت

---

[1] شرح نهج البلاغة ج١ ص١٣٠ من كلام له رقم ٨١ .

الصّلاة ، لا يمكن أن يقول أصلّي بعد ساعة ؛ لأنّه لا يضمن حياته بعد ساعة ، يصلّي في أوّل الوقت ؛ لأنّه بعد قليل لا يضمن أنّه سيبقى على قيد الحياة ، يريد أن يتصدّق يقول الشّهر القادم إن شاء الله ، الآن تصدّق إذا كان المبلغ موجودًا عندك .

والزّاهد يشكر النّعم ، لا الشّكر النّظريّ اللّسانيّ فقط ، يأكل الإنسان فيقول الحمدلله ، هو ماذا أكل : من حلال أو من حرام ؟

كم المقدار الّذي أكله ؟ هل أكل أكثر من حاجته ؟

والشّكر يكون شكرًا عمليًّا .

هل فكّر بمن لا يوجد عنده طعام ؟

المطلوب الشّكر العمليّ أيضًا لا الشّكر اللّسانيّ فقط .

هل جزء من المبلغ الموجود عنده يعطيه للفقراء ؟

هل يأخذ منه حاجته ، والباقي يعطيه للمحتاجين ؟

والزّاهد يكون ورعًا عند المحارم ، يقف عند الحرام ولا يتعدّاه .

كم من النّاس يعلمون بالحرام ويرتكبونه ؟

الّذي يشرب الخمر يعلم أنّ شرب الخمر حرام ومع ذلك يشرب .

الّذي يترك الصّلاة يعلم أنّ الصّلاة واجبة ومع ذلك لا يصلّي ، يعلم بالمحرّمات والواجبات ومع ذلك يترك الواجب ويفعل الحرام .

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : أيّها النّاس ، سيأتي عليكم زمان يُكْفَأُ فيه الاسلام كما يُكْفَأُ الإناء بما فيه . . . [1] .

---

[1] شرح نهج البلاغة ج١ ص١٩٧خطبة ١٠٣ .

يُكْفَأُ الإناء أي يُقْلَبُ الإناء ويمال .

وفي وضعنا الحالي ابحث عن الإسلام أين تجده ؟

تجد الإسلام في أفراد معدودين ، ولا تجد الإسلام كمجتمع ، لا تجد الإسلام في المجتمعات ، نعم تجد أفرادًا متديّنين ، ولكن لا تجد مجتمعًا متديّنًا ، فالمجتمعات بشكل عامّ لا تلتزم بالإسلام ، بعض الأفراد يلتزمون بالإسلام ، والإسلام يُقْلَبُ كما يُقْلَبُ الإناء وَيُمَالُ ، فالإسلام ضعيف ، والمسلمون لا قيمة لهم ، وهذا هو وضعنا الحالي بشكل عامّ .

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : أيّها النّاس ، استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متّعظ ، وامتاحوا من صفو عين قد رُوِّقَتْ من الكدر ، عباد الله ، لا تركنوا إلى جهالتكم ، ولا تنقادوا لأهوائكم . . . [1] .

استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متّعظ : خذوا النّور من شعلة الواعظ المتّعظ ، وهو الّذي يعطيك النّصيحة ويعمل بها .

وامتاحوا من صفو عين قد رُوِّقَتْ من الكدر : خذوا من العين الصّافية .

عباد الله ، لا تركنوا إلى جهالتكم : يسير خلف جهله ، ويعمل على أساس الجهل ، وحينما يناقشك وهو لا يعلم بالأحكام ولا بالأدلّة فيقول : من قال بأنّ الإسلام يقول كذا ؟

ولا تنقادوا لأهوائكم : الآن أكثر معاصي النّاس من الانقياد

---

[1] شرح نهج البلاغة ج١ ص٢٠٠ خطبة ١٠٥ .

لأهوائهم ورغباتهم .

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : أيّها النّاس ، أعينوني على أنفسكم ، وايم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ، ولأقودنّ الظّالم بخزامته حتى أورده منهل الحقّ وإن كان كارهًا . . . [1] .

الخزامة : ما يجعل في أنف الإبل لتسهل قيادته .

هذا أمير المؤمنين عليه السّلام لما يصير حاكمًا ، والآن انظر إلى العالَم ، من يطبّق هذه الأحكام ؟ من الّذي ينصف المظلومين ؟

إذا كان الحاكم هو الظّالم ، فكيف ينصف المظلوم من ظالمه ؟!

وتجد أتباع الحاكم الظّالم وبطانته من الفاسدين المفسدين الذين يتبعون أهواءهم وشهواتهم .

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : أيّها النّاس ، لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ ، ولم تهنوا عن توهين الباطل – لم يطمع فيكم من ليس مِثْلَكُمْ ، ولم يَقْوَ من قَوِيَ عليكم . . . [2] .

انظر إلى زماننا الآن ، لماذا المسلمون أضعف الأمم ؟

لأنّهم تخاذلوا عن نصر الحقّ ، وضعفوا عن توهين الباطل ، فأعطوا القيمة للباطل ، وتوقّفوا عن نصر الحقّ .

لماذا يقوى عدوّ الإسلام والمسلمين ؟

لأنّ المسلمين تخاذلوا عن نصر الحقّ .

---

[1] شرح نهج البلاغة ج٢ ص١٩ من كلام له رقم ١٣٦ .

[2] المصدر السّابق ج٢ ص٧٧ من خطبة له رقم ١٦٦ .

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : أيّها النّاس ، إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر أقواهم عليه وأَعْلَمُهُمْ بأمر الله فيه . . . [1] .

من يستحقّ أن يكون حاكمًا ؟

أقوى النّاس على إدارة البلد ، وهو الأكفأ ، وأعلم النّاس بأمر الله عزّ وجلّ ، فيعرف الأحكام الإلهيّة لكي يطبّقها على نفسه أولا ، ثم على الرّعيّة .

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : أيّها النّاس ، إنّي والله ما أحثّكم على طاعة إلّا وأسبقكم إليها ، ولا أنهاكم عن معصية إلّا وأتناهى قبلكم عنها . . . [2] .

هذا هو الحاكم المطلوب ، يأمر النّاس بالطّاعات ، ويكون هو السّابق إليها ، وينهى النّاس عن المعاصي وهو أوّل من ينتهي عنها .

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : يا أيّها النّاس ، طوبى لمن شغله عَيْبُهُ عن عيوب النّاس . . . [3] .

بدل ما يراقب النّاس ويبحث عن عيوبهم ، ينظر أوّلًا إلى عيوبه ، ولو انشغل الإنسان بعيوبه فإنّه لن ينظر إلى عيوب النّاس ، فالعيوب الموجودة عند النّاس قد تكون موجودةً فيه أيضًا ، ولا بدّ أن يصلح عيوبه أوّلًا قبل إصلاح عيوب غيره .

---

[1] شرح نهج البلاغة ج٢ ص٨٦ من خطبة له رقم ١٧٣ .

[2] المصدر السّابق ج٢ ص٨٩ من خطبة له رقم ١٧٥ .

[3] المصدر السّابق ج٢ ص٩٠ من خطبة له رقم ١٧٦ .

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : أوصيكم – أيّها النّاس – بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه إليكم ونعمائه عليكم . . . وأوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه ، وكيف غفلتكم عمّا ليس يغفلكم ، وطمعكم فيمن ليس يمهلكم ، فكفى واعظًا بموتى عاينتموهم ، حُمِلُوا إلى قبورهم غير راكبين ، وَأُنْزِلُوا فيها غير نازلين ، فكأنّهم لم يكونوا للدّنيا عمّارًا ، وكأنّ الآخرة لم تَزَلْ لهم دارًا . . . [1] .

الآلاء : النِّعَم جمع النِّعْمَة .

يوصي أمير المؤمنين عليه السّلام بتقوى الله والخوف منه تعالى ، وكفى بالموت واعظًا ، فلو فكّر الإنسان أنّه في هذه اللّيلة يموت فالمفروض أنّه يخرج الحقوق من أمواله ويعطي النّاس حقوقهم ، والبعض عنده أموال ويكتب في وصيّته أخرجوا ثلث مالي واصرفوه على الفقراء واعملوا به الخيرات ، نقول له أنت الآن حيّ ، فلماذا لا تقوم بهذه الأعمال ؟ ولماذا تنتظر أن يقوم الوصيّ بهذه الأعمال بعد وفاتك ؟

لا يحتاج أن توصي ، أنت حيّ فأخرج ثلث أموالك بنفسك ووزّعها على الفقراء أثناء حياتك ، بدل ما تنتظر قيام الورثة بهذا العمل ، ولنفرض أنّ الورثة لا يكونون أولادًا صالحين فلا يقومون بهذه الأعمال ، مثلًا شخص عنده ثلاثة ملايين دينار ويوصي بأن تكون ثلث ماله في سبيل الله ، أي يوصي بمليون دينار ، والورثة إذا لم

---

[1] شرح نهج البلاغة ج٢ ص١٢٧ من خطبة له رقم ١٨٨ .

يكونوا صالحين فإنّهم سيأخذون هذا المليون لأنفسهم ، ويقولون نحن أولى بهذا المبلغ ، ولا يخرجون هذا المبلغ ، أو أنّ عليه صلاة سنة ، أنت اقض هذه الصّلوات ، وأنت اقض الصّيام ، بادر الآن بما يمكنك أن تقوم به ، ولا توصي أولادك القيام بها بعد موتك ، فلماذا تؤجّل إلى ما بعد موتك ؟

وإقلال الغفلة عنه ، وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم : أنتم تغفلون عن الموت ، ولكنّ الموت لا يغفل عنكم ، وسيأتي دوركم .

وطمعكم فيمن ليس يمهلكم : الإنسان يطمع بأشياء ، ولكنّ الموت لا يمهله لأنّه يأتي فجأة دون موعد .

فكفى واعظًا بموتى عاينتموهم : ذهبتم إلى المقبرة ورأيتم الأموات ينزلونهم إلى قبورهم .

حُمِلُوا إلى قبورهم غير راكبين ، وَأُنْزِلُوا فيها غير نازلين ، فكأنّهم لم يكونوا للدّنيا عمّارًا ، وكأنّ الآخرة لم تَزَلْ لهم دارًا : كلّ منّا رأى أمواتًا في المقبرة ، وترى في المقبرة شخصًا يضحك مع صاحبه أثناء دفن ميّت ، هو ينظر إلى الميّت وهو يدفنونه ، ومن الممكن أنّ القبر الّذي بجوار هذا القبر يكون في اليوم التّالي قبره ، من يعلم ؟!

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : أيّها النّاس ، لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله ، فإنّ النّاس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل . . . أيّها النّاس ، من سلك الطّريق الواضح

وَرَدَ الماء ، ومن خالف وقع في التّيه [1] .

لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله : أنت تَـمَسَّكْ بالحق ، ولا يهـمّ أنّ النّـاس يكونـون معـك أو لا يكونـون معـك ، ولا تأخـذ بشعار حشر مع النّاس عيد ، وليس دائمًا الحشر مع النّاس عيد ، ويقال : وهل الحشر إلى جهنّم عيد ؟!

من سلك الطّريق الواضح وَرَدَ الماء ، ومن خالف وقع في التّيه : التّيه هو الضّياع ، ولا بدّ أن نسلك الطّريق الواضح ، وهو اتّباع النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام لأنّنا نعتقد بأنّ هذا هو الطّريق الواضح .

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : أيّها النّاس ، إنّما الدّنيا دار مجاز ، والآخرة دار قرار ، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم ، وأَخْرِجُوا من الدّنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها اخْتُبِرْتُمْ ، ولغيرها خُلِقْتُمْ ، إنّ المرء إذا هلك قال النّاس ما تَرَكَ ، وقالت الملائكة ما قَدَّمَ . . . [2] .

إنّما الدّنيا دار مجاز : دار تجتازها ؛ لأنّ الدّنيا طريق إلى الآخرة .

والآخرة دار قرار ، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم : دار استقرار وإقامة في نهاية المطاف .

ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم : الإنسان في الغرفة لوحده

---

[1] شرح نهج البلاغة ج٢ ص١٨١ من كلام له رقم ٢٠١ .

[2] المصدر السّابق ج٢ ص١٨٣ من كلام له رقم ٢٠٣ .

يقول لا أحد يراني ، نقول له إنّ الله يراك ، لا يوجد مكان يمكن أن تعصي فيه الله ولا يكون فيه أحد ؛ لأنّ الله حاضر في كلّ مكان ، ويعلم أسراركم ، ولا يمكن أن يأتي يوم القيامة ويقول يا ربّي أنا ما عصيتك ، يوجد شهود عليه ، الله أوّل الشّهود ، والملائكة شهود ، وجلده شاهد ، وأعضاؤه وجوارحه شهود عليه ، فلا يستطيع أن يكذب ويقول لم أرتكب المعصية .

"وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الخَاسِرِينَ" [1] .

لا يمكن أن يختبئ الإنسان في مكان ويعصي الله ، ابحث عن مكان لا يوجد فيه الله واعص الله كما تريد .

وَأَخْرِجُوا من الدّنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها اخْتُبِرْتُمْ ، ولغيرها خُلِقْتُمْ .

إنّ المرء إذا هلك قال النّاس ما تَرَكَ ، وقالت الملائكة ما قَدَّمَ : النّاس يسألون ماذا تَرَكَ خلفه من أموال وأملاك ، ولكنّ الملائكة تسأل ماذا قَدَّمَ .

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : أيّها النّاس ، اتّقوا الله الّذي إن

---

[1] فصّلت : ٢١- ٢٣ .

قلتم سمع ، وإن أضمرتم علم ، وبادروا الموت الّذي إن هربتم أدرككم ، وإن أقمتم أخذكم ، وإن نسيتموه ذكركم . . . [1] .

اتّقوا الله الّذي إن قلتم سمع ، وإن أضمرتم علم : الإنسان لا ينطق ولا يتكلّم ، يفكّر فقط ، هذا التّفكير موجود عند الله ويعلم به الله .

وبادروا الموت الّذي إن هربتم أدرككم ، وإن أقمتم أخذكم ، وإن نسيتموه ذكركم : أنتم تنسون الموت ، ولكنّ الموت لا ينساكم .

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام : أيّها الناس ، اتّقوا الله ، فما خُلِقَ امرؤٌ عبثًا فيلهو ، ولا تُرِكَ سُدًى فَيَلْغُو . . . [2] .

اتّقوا الله ، فما خُلِقَ امرؤٌ عبثًا فيلهو : لم يخلقك الله عابثًا ، هناك هدف من وراء خلقك ، فلا يمكن أن تلهو ؛ لأنّ اللّهو واللّعب لا فائدة منهما ، فهو يقوم بأعمال بلا هدف .

ولا تُرِكَ سُدًى فَيَلْغُو : يَلْغُو أي يفعل ما لا فائدة فيه ، فالإنسان لا بدّ أن تكون أفعاله لهدف ، وكلامه لا بدّ أن يكون لهدف ، ولا يقوم الإنسان بأفعال عبثيّة بلا هدف ، ولا يتكلّم الإنسان لَغْوًا بكلام لا فائدة فيه ، فبعض النّاس يتكلّمون من أجل الكلام ، ويقومون بأعمال بلا غاية .

ويوجد كتاب لأمير المؤمنين عليه السّلام إلى مالك الأشتر حينما ولّاه على مصر ، وهذا الكتاب يمثّل دستورًا للحاكم في شئون الحكم

---

[1] شرح نهج البلاغة ج٤ ص٤٦ من كلماته رقم ٢٠٣ .

[2] المصدر السّابق ج٤ ص٨٧ من كلماته رقم ٣٧٠ .

وكيفية تعامل الحاكم مع النّاس ، وجميع المؤسّسات والمنظّمات الحقوقيّة في العالم لا بدّ أن تجعل هذا الكتاب نصب أعينها ، فهي تحتوي على خطابات عالميّة .

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام في كتابه لمالك الأشتر :

فليكن أحبّ الذّخائر إليك ذخيرة العمل الصّالح . . . وَأَشْعِرِ قلبك الرّحمة للرّعيّة والمحبّة لهم واللّطف بهم ، ولا تكوننّ عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم ، فإنّهم صنفان : إمّا أخ لك في الدّين وإمّا نظير لك في الخلق . . . فَأَعْطِهِمْ مِنْ عفوك وصفحك مثل الّذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنّك فوقهم ، ووالي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولّاك . . . أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النّاس مِنْ نفسك وَمِنْ خاصّة أهلك ومَنْ لك فيه هوى مِنْ رعيّتك ، فإنّك إلّا تفعل تَظْلِم ، وَمَنْ ظَلَمَ عبادَ الله كان اللهُ خَصْمَهُ دون عباده ، وَمَنْ خاصمه اللهُ أدحض حجّته وكان لله حربًا حتّى ينزع ويتوب ، وليس شئ أَدْعَى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته مِنْ إقامةٍ على ظلم ، فإنّ اللهَ سَمِيعُ دعوةِ المضطهَدين ، وهو للظّالمين بالمرصاد . . . ولا تُدْخِلَنَّ في مشورتك بخيلًا يَعْدِلُ بك عن الفضل وَيَعِدُكَ الفقر ، ولا جبانًا يُضْعِفُكَ عن الأمور ، ولا حريصًا يُزَيِّنُ لك الشّره بالجور ، فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظّنّ بالله . . . ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإنّ في ذلك تزهيدًا لأهل الإحسان في الإحسان ، وتدريبًا لأهل الإساءة على الإساءة . . .

وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ العلماءِ ومنافثةَ الحكماءِ في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به النّاس قبلك . . . ثمّ الطّبقة السّفلى مِنْ أهل الحاجة والمسكنة الّذين يحقّ رفدهم ومعونتهم . . . وَتَحَفَّظْ مِنَ الأعوان ، فَإِنْ أَحَدٌ منهم بسط يده إلى خيانة اجْتَمَعَتْ بها عليه عندك أخبارُ عيونك اكتفيت بذلك شاهدًا ، فَبَسَطْتَ عليه العقوبةَ في بدنه ، وَأَخَذْتَهُ بما أصاب من عمله ، ثمّ نصبته بمقام المذلّة ، ووسمته بالخيانة ، وقلّدته عار التّهمة . . . فامنع مِنَ الاحتكار ، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله منع منه ، وليكن البيع بيعًا سمحًا ، بموازينِ عَدْلٍ وأسعارٍ لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع . . . ثمّ الله الله في الطّبقة السّفلى مِنَ الّذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزّمنى ، فإنّ في هذه الطّبقة قَانِعًا وَمُعْتَرًّا ، وَاحْفَظْ للهِ ما استحفظك من حقّه فيهم ، وَاجْعَلْ لهم قسمًا من بيت مالك وقسمًا من غلّات صوافي الإسلام في كلّ بلد ، فإنّ للأقصى منهم مثل الّذي للأدنى ، وكلّ قد اسْتَرْعَيْتَ حقّه فلا يشغلنّك عنهم بطر ، فإنّك لا تُعْذَرُ بتضييعك التّافه لإحكامك الكثير المهمّ ، فلا تُشْخِصْ هَمَّكَ عنهم ، ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لهم ، وَتَفَقَّدْ أمورَ مَنْ لا يصل إليك منهم ممّن تقتحمه العيون وتحقّره الرّجال ، فَفَرِّغْ لأولئك ثِقَتَكَ مِنْ أهل الخشية والتّواضع ، فليرفع إليك أمورهم ، ثمّ اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه ، فإنّ هؤلاء مِنْ بين الرّعيّة أحوج إلى الإنصاف مِنْ غيرهم . . . وَتَعَهَّدْ أهلَ اليتم وذوي الرّقّة في السّن ممّن لا حيلة له ولا

ينصب للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل ، والحقّ كلّه ثقيل . . . وَاجْعَلْ لذوي الحاجات منك قسمًا تفرّغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلسًا عامًّا فتتواضع فيه لله الّذي خلقك ، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك ؛ حتّى يكلّمك متكلّمهم غير متتعتع . . . وأمّا بعد فلا تطولنّ احتجابك عن رعيّتك ، فإنّ احتجاب الولاة عن الرّعيّة شعبة من الضّيق ، وقلّة علم بالأمور . . . إيّاك والدّماء وسفكها بغير حلّها ، فإنّه ليس شيء أَدْعَى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة مِنْ سفك الدّماء بغير حقّها . . . وإيّاك والإعجاب بنفسك ، والثّقة بما يعجبك منها ، وحبّ الإطراء ، فإنّ ذلك مِنْ أوثق فرص الشّيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين . . . [1] .

فليكن أحبّ الذّخائر إليك ذخيرة العمل الصّالح : دائمًا تستزيد من الأعمال الصّالحة .

وأشعر قلبك الرّحمة للرّعيّة والمحبّة لهم واللّطف بهم : الحاكم لا بدّ أن يكون بهذه الصّفات .

ولا تكوننّ عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم : الحاكم الظّالم أينما يجد أشخاصًا أغنياء يريد أن يدخل معهم شريكًا ، أو يأخذ أموالهم ، أو يفرض الضّرائب عليهم .

فإنّهم صنفان : إمّا أخ لك في الدّين وإمّا نظير لك في الخلق :

---

[1] شرح نهج البلاغة ج٣ ص٨٢-١١١ .

النّـاس صنفـان : أخ لـك في الدّيـن وفي الإسـلام ، ونظـير لـك في الخلق ، أي نظير لك في الإنسانيّة ، فأخ لك في الدّين أو أخ لك في الإنسانيّة .

فَأَعْطِهِمْ مِنْ عفوك وصفحك مثل الّذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه : الحاكم يعطي النّاس لأنّه يرى الله في أعماله ، وينتظر عفو الله عزّ وجلّ ، فلا بدّ أن يعفو ويصفح عن النّاس لينال عفو الله وصفحه .

فإنّك فوقهم ، ووالي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولّاك : الّذي جعلك واليًا وحاكمًا على منطقة معيّنة يراقبك ، والله فوق من ولّاك ، فكما يراقبك ويحاسبك فالله يراقبه ويحاسبه .

أَنْصِفِ اللهَ وأَنْصِفِ النّاس من نفسك ومن خاصّة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيّتك : ترى الحاكم يقدّم أقرباءه في المناصب ، ويعيّن من يحبّ في المراكز ، فيجب أن ينصف النّاس بالعدل ، وعلى الحاكم أن ينصف النّاس من نفسه ومن هؤلاء الّذين يحبّهم من أهله وأصحابه .

فإنّك إلّا تفعل تظلم ، وَمَنْ ظَلَمَ عبادَ الله كان اللهُ خَصْمَهُ دون عباده : الحاكم يأتي يوم القيامة والله تعالى يكون خصمه ، فليجهّز نفسه للحساب .

ومن خاصمه الله أدحض حجّته ، وكان للهِ حربًا حتّى ينزع ويتوب ، وليس شيء أَدْعَى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته مِنْ

إِقَامَةٍ على ظُلْمٍ : الحاكم قد يظلم ، وأنت كفرد قد تظلم ، الرّجل قد يظلم زوجته وأولاده ، والمرأة قد تظلم زوجها وأولادها ، وفي البيت يظلمون الخادمة ، وبعض الأشخاص لا يعطون للخادمة حقوقها .

فإنّ الله سميعُ دعوةِ المضطهَدين ، وهو للظّالمين بالمرصاد : حتّى لو طال حكم هذا الحاكم ، فالصّنم الّذي كان موجودًا في الشّمال حكم ثلاثين سنة ، وبعد ذلك سقط ، وفرعون حكم سنوات طويلة ، ولكنّه بعد ذلك سقط .

ولا تُدْخِلَنَّ في مشورتك بخيلًا يَعْدِلُ بك عن الفضل وَيَعِدُكَ الفقر : الحاكم لا يستشير البخيل ، ولا يجعل ضمن مستشاريه شخصًا بخيلًا .

ولا جبانًا يُضْعِفُكَ عن الأمور : الحاكم لا يجعل من أهل مشورته الجبان ، فالجبان دائما يُضْعِفُهُ عن الإقدام على الأمور .

ولا حريصًا يُزَيِّنُ لك الشّره بالجور ، فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظّنّ بالله : هذه دعوة عالميّة ، لا تكون بخيلًا ولا جبانًا ولا حريصًا .

ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإنّ في ذلك تزهيدًا لأهل الإحسان في الإحسان ، وتدريبًا لأهل الإساءة على الإساءة : لا تجعل المحسن والمسيء بمنزلة واحدة وفي درجة واحدة .

وَأَكْثِرْ مدارسةَ العلماءِ ومنافثةَ الحكماءِ في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به النّاس قبلك : الحاكم يجعل ضمن

المستشارين العلماء والحكماء .

ثمّ الطّبقة السّفلى من أهل الحاجة والمسكنة الّذين يحقّ رفدهم ومعونتهم : الحاكم يجعل نصب عينيه الفقراء ، لذلك في الدّولة الإسلاميّة لا يوجد فقير ، وأمير المؤمنين عليه السّلام حينما كان يسير في الكوفة رأى شخصًا يستجدي النّاس ، فقال ما هذا ؟ ، ولم يقل من هذا ؟

والرّواية هي : مرّ شيخ مكفوف كبير يسأل ، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام : ما هذا ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ، نصرانيّ . فقال عليه السّلام : استعملتموه حتّى إذا عجز وكبر منعتموه ، أنفقوا عليه من بيت المال [1] .

كانت الظّاهرة غريبة عند أمير المؤمنين عليه السّلام ؛ لأنّ بيت المال يتكفّل بالفقراء ، فقالوا : هذا مسيحيّ . فقال عليه السّلام : حتّى لو كان مسيحيًّا لا بدّ أن يعطى من بيت المال ، حينما كان شابًّا استفدتم منه ، وحينما وصل إلى هذا العمر تتركونه ، اصرفوا له من بيت المال .

في الدّولة الإسلاميّة لا يوجد فقير ، فبيت المال يتكفّل بكلّ فقير ، من يستطيع أن يعمل يحصل على عمل ، ومن لا يحصل على عمل يكون فقيرًا وبيت المال يتكفّل به ، والآن وزارة الشّئون أو وزارة الماليّة تتكفّل بالفقراء ، وهذا هو وظيفتها ، لا يُنْظَرُ إلى المواطن فقط ، بل

---

[1] وسائل الشّيعة ج١١ ص٤٩ ح١ .

يُنْظَرُ إلى الوافدين أيضًا ، فبيت المال يتكفّل بالجميع ، فما دام أنّه دخل الأرض الّتي يحكمها فهذا الحاكم مسئول عن كلّ فرد يكون على هذه الأرض ، هذه هي الدّولة الإسلاميّة ، فوجود الفقير مستحيل في الدّولة الإسلاميّة ، وكلّ حاكم لا بدّ أن ينظر إلى الفقراء وأهل الحاجة ، فهو مسئول عنهم ما دام أنّه أراد هذا المنصب .

وهناك أمور أخرى كثيرة مذكورة في عهد الإمام عليه السّلام إلى مالك الأشتر ، وهذا العهد لا بدّ أن يُكْتَبَ بماء من ذهب وَيُعَلَّقَ في في مكتب كلّ حاكم ليقرأه يوميًّا .

نأخذ قوله عليه السّلام : "وَأَشْعِرْ قلبَك الرّحمة للرّعيّة والمحبّة لهم واللّطف بهم ، ولا تكوننّ عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم ، فإنّهم صنفان : إمّا أخ لك في الدّين ، وإمّا نظير لك في الخلق" .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٥٦)

هل يمكن إقامة الدّليل على وجود الإله ؟ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

مقدّمة :

تحضير هذه المواضيع تكون من عدّة مصادر ، وأقدّم لكم خلاصة الكتب الّتي قرأتها والمحاضرات الّتي استمعت إليها ، فيمكن الاستغناء عنها ، فمن يستمع إلى محاضرات "عالميّة الإسلام" يمكنه أن يستغني عن مجموعة من المصادر من الكتب والمحاضرات .

وبعض محاضرات "عالميّة الإسلام" أقتبس ٩٠% منها من المصادر ، وأضيف عليها ١٠% ، وبعض المحاضرات أقتبس ١٠% منها من المصادر ، وأضيف عليها ٩٠% ، ومحاضراتنا تتفاوت بين الأخذ من المصادر وبين تعليقاتي عليها ، ولكنّ التّرتيب يكون من

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٠ ربيع الأوّل ١٤٤١ هـ ، الموافق ٢٠١٩/١١/٨ م .

ترتيبي ، وبعض المحاضرين أو الكتّاب ما يقولونه أو ما يكتبونه يكون مرتّبًا فآخذ ترتيبهم ، ولكن أقدّمه بشكل مختصر .

خلاصة المحاضرة السّابقة :

كان الكلام في المحاضرة السّابقة عن الفرق بين الإمكان والوقوع ، وكانت النّتيجة أنّ الإمكان لا يستلزم الوقوع ، فقد يكون الشّيء ممكنًا ولا يقع ، ولكنّ الوقوع يستلزم الإمكان ، فإذا وقع الشّيء فمعنى ذلك أنّه ممكن ، ولو لم يكن ممكنًا لما وَقَعَ ؛ لأنّ الشّيء المستحيل لا يَقَعُ ولا يتحقّق في الخارج .

الاتّجاهات في مسألة إثبات وجود الإله :

نأتي الآن إلى الاتّجاهات في مسألة إثبات وجود الإله بالاعتماد على الإمكان والوقوع :

الاتّجاه الأوّل : إمكان الدّليل ووقوعه :

إمكان إقامة الدّليل على وجود الإله ، ووقوع الدّليل أي وقد أقيم الدّليل على وجود الإله ، فهذا الاتّجاه يقبل كلا الإمكان والوقوع ، ففيه الإمكان والوقوع ، والوقوع يثبت الإمكان ، فإذا وقع الشّيء فمعناه أنّه ممكن ؛ لأنّه إذا كان مستحيلًا ولم يكن ممكنًا فإنّه لا يقع ، والوقوع يثبت الإمكان في رتبة سابقة ، فالوقوع دليل الإمكان ، والمؤمن يعتقد بوجود الإله ، ويقول بأنّه يوجد عنده دليل على وجود الإله ، فهو يعتقد مع الدّليل .

الاتّجاه الثّاني : إمكان الدّليل وعدم وقوعه :

إمكان إقامة الدّليل على وجود الإله مع عدم وقوع الدّليل بسبب الإشكالات الّتي تَرِدُ على هذا الدّليل ، فهذا الاتّجاه يقبل الإمكان ويرفض الوقوع ، فلا يوجد دليل على وجود الإله ، فهذا الاتّجاه فيه الإمكان دون الوقوع ، فهو يؤمن بوجود الإله ، ولكن لا يوجد عنده دليل على وجود الإله ، ويقول بأنّه من الممكن أن نصل في المستقبل إلى دليل على وجود الإله ، فهو يعتقد بوجود الله ، ولكنّ الآن لا يوجد عنده دليل على وجوده ، فهو يؤمن ، ولكنّه ينتظر الدّليل .

ملاحظة على الاتّجاه الثّاني :

لا بدّ من أن نلاحظ في الاتّجاه الثّاني أنّه إذا لا يوجد عندنا دليل على وجود الإله فهذا لا يعني عدم وجود الإله ، فنحن لحدّ الآن لم نصل إلى الدّليل ، ويمكن أن نجد دليلًا في المستقبل ، فعدم وجود الدّليل على وجود الإله ليس دليلًا على عدم وجود الإله ، يعني عدم الدّليل على وجود الشّيء لا يدلّ على عدم وجود الشّيء ، فالشّيء قد يكون موجودًا ، ولكن لا يوجد عندي دليل على وجوده ، وعدم وجود الدّليل لا يدلّ على نفيه وعدم وجوده .

لو سألنا أحد المسلمين : ما هو الدّليل على وجود الله تعالى ؟

قد يقول : لا يوجد عندي دليل .

فنقول : عدم وجود الدّليل عنده لا يدل على عدم وجود الله ، فالله موجود ، ولكن لا يوجد عندّه الدّليل على وجود الله تعالى .

الاتّجاه الثّالث : عدم إمكان الدّليل وعدم وقوعه :

عدم إمكان إقامة الدّليل على وجود الإله ، وعدم وقوع الدّليل ، فهذا الاتّجاه يرفض كلا الإمكان والوقوع ، وإقامة الدّليل على وجود الإله ممتنع مستحيل ، والشّيء إذا كان ممتنعًا مستحيلًا فهو بالضّرورة لا يقع في الخارج ، فهذا الاتّجاه فيه عدم الإمكان وعدم الوقوع ، والشّيء المستحيل لا يوجد في الخارج ، فيستحيل أن نقيم الدّليل على وجود الإله .

أدلّة الاتّجاه الثّالث :

في الاتّجاه الثّالث يوجد عندهم دليلان ، وهما :

الدّليل الأوّل على الاتّجاه الثّالث :

العقل البشريّ غير قادر على معرفة الإله ؛ لأنّ الإله مطلق غير محدود ، ومدارك الإنسان محدودة ، والمحدود لا يمكنه معرفة المطلق اللّامحدود ، فلا يمكن إقامة المحدود لدليل على إثبات وجود المطلق ؛ لأنّ المحدود لا يمكنه الإحاطة بالمطلق ، فالعقل قاصر غير قادر على إقامة الدّليل ، فباب الإمكان يكون مغلقًا ، وإذا كان باب الإمكان مغلقًا فمعنى ذلك أنّه لا يمكن إقامة الدّليل على وجود الإله .

ملاحظة على الدّليل الأوّل :

لا بدّ من أن نلاحظ في الدّليل الأوّل أنّه إذا كان العقل قاصرًا عن إقامة الدّليل على وجود الإله فهذا لا يعني عدم وجود الإله ، فلعلّ الدليل موجود ، ولكنّ عقولنا لم تصل إلى إدراكه ؛ لأنّ عقولنا الآن

قاصرة عن الوصول إلى الدّليل ، ومن الممكن أن تصل إليه في المستقبل ، فعدم إدراك الدّليل على وجود الإله ليس دليلًا على عدم وجود الإله .

الدّليل الثّاني على الاتّجاه الثّالث :

هذا الإله الّذي أقمتم الدّليل على وجوده يستحيل أن يكون موجودًا ، وهنا يأتي بحث متنافي الصّفات .

مثلًا هذا الماء سائل ، وأنت تريد أن تقيم دليلًا على أنّ هذا الماء السّائل جامد ، فنقول إنّ هذا مستحيل ؛ لأنّه لا يمكن أن يكون السّائل جامدًا في نفس الوقت ، نعم في وقت آخر يكون جامدًا .

فإذا أقيم الدّليل على أنّ الإله يحمل صفات متنافية أو متناقضة أو متضادّة فيستحيل أن يثبت وجود مثل هذا الإله .

وأنتم أيّها المؤمنون تُثْبِتُونَ أنّ الإله كلّه خير ورحمة ، ولكن نجد أنّ بعض أفعال الإله عبارة عن شرور كالأمراض والزّلازل والبراكين وظلم الإنسان للإنسان .

وَتُثْبِتُونَ أنّ الإله قادر على كلّ شيء ، ولكن في الواقع الخارجيّ نرى أنّه غير قادر على كلّ شيء ، فلو كان قادرًا على كلّ شيء فلماذا لا يقضي على الأمراض والزّلازل والبراكين والظّلم الموجود في العالم ؟!

أيّها المؤمنون ، تقولون إنّ الإله كلّه خير ، فيقول الملحدون ويصدر منه الشّرّ أيضًا ، وصدور الخير والشّر منه تناقض ، وتقولون

إنّ الإله قادر على كلّ شيء ، فيقول الملحدون وهو غير قادر على رفع الأمراض والزّلازل والبراكين والظّلم ، فهو قادر وغير قادر ، وهذا تناقض .

وما دام أنّكم تقولون بأنّ هذا الإله فيه صفات متناقضة فالنّتيجة أنّ هذا الإله غير موجود ، فالإله الّذي تتجمّع فيه صفات متنافية هذا الإله ليس له وجود .

وهذا إشكال من الملحدين على وجود الإله ، فهذا الإله ليس له وجود .

ملاحظة على الدّليل الثّاني :

هل تنافي الصّفات دليل على عدم وجود الإله ؟

مثلًا كون الماء سائلًا وجامدًا في نفس الوقت مستحيل لأنّهما متضادّان ، والمتضادّان لا يجتمعان في نفس الوقت ونفس المحلّ ، فإذا قلنا بأنّ الإله منبع الخير والشّرّ فهذا دليل على عدم وجود مثل هذا الإله ، ومن يقول بهذا الدّليل عليه أن يثبت أنّ الإله فيه صفات متنافية ، فيه الخير والشّرّ ، ولكن إذا قلنا بأنّ هذا الإله كلّه خير ، وهذه البراكين والأمراض والزّلازل لا تعتبر شرورًا ، وإنّما فيها الخير ، ولكن نحن لا نعلم هذا الخير الكامن في هذا الشّرّ الظّاهر ، والّذين قالوا بالثّنويّة لم يستطيعوا حلّ هذا الإشكال ، فقالوا بوجود إله للخير وإله آخر للشّرّ ، ولكن اعتقادنا أنّ الإله الخالق للكون كلّه خير ، وما نظنّه شرًّا ليس شرًّا في الواقع ، وسنأتي إلى بحث مستقلّ في

موضوع "مشكلة الشّرور" ؛ لأنّها من أقوى الإشكالات الّتي تطرح على وجود الإله .

النّتيجة :

توجد ثلاثة اتّجاهات في مسألة إثبات وجود الإله ، وفي النّقاش لا بدّ أوّلًا أن يحدّد كلّ شخص الاتّجاه الّذي يتبنّاه ؛ لكي يكون النّقاش على أساس اتّجاهه ، فكلا المتحاورين لا بدّ أن يحدّد كلّ منهما الاتّجاه الّذي يأخذ به ، وبعد تحديد الاتّجاه منهما يمكن لهما الدّخول في أي حوار ونقاش علميّ .

محاولة من الملحدين :

توجد محاولة من بعض الملحدين لإقامة الدّليل العقليّ على عدم وجود الإله ، هم لا فقط يطلبون من المؤمنين إقامة الدّليل على وجود الإله ، بل يقولون بأنّه يوجد دليل عقليّ على عدم وجود الإله ، فلا بدّ أن يبيّنوا هذا الدّليل العقليّ .

والمؤمن الّذي يريد أن يثبت وجود الإله عليه أوّلًا أن يعرض الأدلّة الّتي تثبت وجود الإله ، وثانيًا يردّ على أدلّة النّافين لوجود الإله ، ويقولون بأنّه يوجد عندهم دليل عقليّ على عدم وجود الإله ، فيأتي المؤمن ويردّ على هذا الدّليل العقليّ على عدم وجود الإله ، فمن جهة يطرح أدلّة إثبات وجود الإله ، ومن جهة أخرى يردّ على أدلّة نفي وجود الإله .

طرق إثبات وجود شيء أو عدم وجوده :

توجد ثلاث طرق ، وهي :

الطّريق الأوّل :

الطّريق الأوّل لإثباتِ قضيّةٍ ما أو نفيِها هو أن يكون الشّيء محسوسًا للإنسان بالحواسّ الظّاهرة أو بالحواسّ الباطنة أو لا يكون محسوسًا بهذه الحواسّ ، والحواسّ الظّاهرة هي الخمسة المعروفة : اللّمس والشّمّ والسّمع والرّؤية والذّوق ، والحواسّ الباطنة كالمحبّة والغضب والجوع والعطش ، نعم مظاهرها تظهر على الإنسان ، ولكنّها مرتبطة بوجدانه ، فهي أمور وجدانيّة محسوسة باطنيًّا .

وقضيّتنا هي وجود الإله ، والطّريق الأوّل هو أن تحسّ به إحساسًا ظاهريًّا أو باطنيًّا ، فإذا فرضنا أنّ الإله جسم فيكون الإحساس به بالحواسّ الظّاهريّة كالرّؤية ، ويكون الدّليل على وجود الإله دليلًا حسّيًّا ، كرؤيتك للشّمس والقمر .

ويقولون بأنّ الله يُرَى يوم القيامة كالقمر ليلة البدر ؛ لأنّهم يعتقدون بأنّ الله جسم .

عن جرير بن عبدالله : كنّا عند النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال : "أما إنّكم سترون ربّكم كما ترون هذا ، لا تُضَامُّونَ في رؤيته . . ." [1] .

---

[1] صحيح البخاريّ ج١ ص١٤٥ ، ص١٥٠ ، ج٦ ص١٧٣ ، ج٩ ص١٥٦ ، صحيح مسلم ج١ ص٤٣٩ ح٦٣٣ . لا تُضَامُّونَ (مع

وإذا لم يكن الإله جسمًا فيكون الإحساس به إحساسًا باطنيًّا ، عن طريق الفطرة مثلًا ، والفطرة أمر باطنيّ ، فالمؤمن يقول : أنا أحسّ بوجود الله بالفطرة .

فالطّريق الأوّل لإثبات وجود شيء أو لنفي وجوده هو أن يكون الشّيء محسوسًا للإنسان بالحواسّ الظّاهرية أو بالحواسّ الباطنيّة أو غير محسوس بهذه الحواسّ .

الطّريق الثّاني :

أن يكون الشّيء غير محسوس ، ولكن له أثر محسوس أو صفة محسوسة للإنسان ، والأثر والصّفة يدلّان على وجود المؤثِّر .

مثلًا إذا أحسّ الأعمى بالحرارة فإنّه يدرك وجود النار ، وينتقل من الأثر إلى المؤثِّر ، فيوجد بين الأثر والمؤثِّر صفة وموصوف ، مثل الحرارة والنّار ، فالحرارة أثر وصفة ، والنّار موثِّر وموصوف ، والأعمى ينتقل من الأثر إلى المؤثِّر ، ومن الصّفة إلى الموصوف .

والإله غير محسوس ، ولكن له آثار محسوسة ، وهذا الكون عبارة عن أثر لله عزّ وجلّ ، فننتقل من الأثر إلى وجود المؤثِّر .

فالطّريق الثّاني هو أن يكون الشّيء غير محسوس ، ولكن له أثر

تشديد الميم) : من الانضمام ، والمعنى هو أنّكم لا تختلفون في رؤيته لكي تجتمعوا للنّظر ، فلا ينضمّ بعضكم إلى بعض لتروه لأنّه واضح ، بخلاف وقت النّظر إلى الهلال حيث ينضمّ بعضكم إلى بعض وتجتمعون للرّؤية .

لا تُضَامُونَ (بدون تشديد الميم) : لا تلحقكم مشقّة في رؤيته .

محسوس للإنسان ، والأثر يدلّ على وجود المؤثِّر .

الطّريق الثّالث :

أن توجد ظاهرة محسوسة أو عمل محسوس أو أمر محسوس ، ولكن هذه الظاهرة والعمل والأمر المحسوسات لا يمكن تفسيرها وتوجيهها إلّا بوجود شيء من ورائها أوجدها .

مثلًا إذا كان شخص يسير في صحراء قاحلة ، ومشى مسافة وفجأة رأى أمامه كوبًا من الماء وآنية فيها أنواع الطّعام ، هنا نحن أمام تفسيرين لوجود الماء والطّعام :

إمّا أن نقول إنّها وُجِدَتْ صدفةً ، مثلًا إنّ هذا الماء والطّعام تكوّنا من هذا التّراب عن طريق تطوّر التّراب لآلاف أو ملايين السّنوات بدون وجود سبب وخالق لهذا التّطوّر .

وإمّا أن نقول بوجود إنسان كان في هذا المكان وترك هذا الماء والطّعام .

والقول الأوّل مستحيل عقلًا ، فالصّدفة المطلقة لا يقبلها عاقل ، وقلنا إنّ الصّدفة المطلقة هي وجود شيء بلا سبب وعلّة ، ولا أحد يقول بالصّدفة المطلقة حتّى الملحد ، فلا أحد يقول بأنّ الشّيء يوجد صدفةً بلا سبب وعلّة .

والقول الثّاني مقبول فطرةً وعقلًا وعرفًا .

نحن نرى هذا الكون بما فيه من خير وشرّ ، وهذا يحتاج إلى تفسير ، فإمّا أن نقول بأنّه وُجِدَ صدفةً بلا علّة وسبب ، وهذا مستحيل ،

وإمّا أن نقول بأنّه وُجِدَ بعلّة وسبب ، وهذا معقول .

وتأتي أقوال مختلفة في العلّة والسّبب : إمّا أنّ العلّة هي المادّة والطّبيعة الّتي أوجدت نفسها ، وإمّا أنّ العلّة هي التّطوّر الطّبيعيّ ، وإمّا أنّ العلّة هو الإله ، وإمّا أنّ العلّة أمور أخرى .

إذن :

الطّريق الأوّل هو أن يكون الشّيء محسوسًا بالحواسّ الظّاهرية أو الباطنيّة ، والطّريق الثّاني هو أن يكون الأثر محسوسًا ويدلّ على المؤثِّر غير المحسوس ، والطّريق الثّالث هو أن تكون الظّاهرة محسوسةً ولا تُفَسَّرُ إلّا بوجود شيء وراءها .

سؤال : بأيّ الطّرق يمكن إثبات وجود الإله ؟

الجواب :

دليل النّظم والنّظام الدّقيق للكون يدخل في الطّريق الثّالث ، فلا يُفَسَّرُ وجود الكون إلّا بما وراءه ، فالكون موجود محسوس ، فَيُفَسَّرُ بأنّه يوجد شيء وراءه خَلَقَهُ .

والفلاسفة والمتكلّمون أدلّتهم على وجود الإله داخلة في الطّريق الثّاني والطّريق الثّالث .

ودليل الفطرة الدّال على وجود الإله يدخل في الطّريق الأوّل عن طريق الحسّ الباطنيّ ، وهذا الإحساس الباطنيّ القلبيّ الوجدانيّ لا يمكن أن تنقله إلى الآخرين ، والشّخص الآخر عن طريق هذا الإحساس الباطنيّ يشعر بنفسه بوجود الإله .

مثلًا إذا شعرت بالجوع فإنّك لا تستطيع نقل هذا الإحساس إلى الآخرين ، فلا بدّ أن يكون الطّرف الآخر بنفسه جائعًا لكي يحسّ بهذا الإحساس .

والإحساس الباطنيّ بوجود الإله لا يمكن نقله إلى الآخرين ، لذلك فإنّك تحاول إثبات وجود الإله بطرق أخرى .

وطريق الكشف يقول به العرفاء ، فيقولون بأنّهم عرفوا وجود الإله بعلم حضوريّ باطنيّ قلبيّ وجدانيّ ، فوجود الإله محسوس باطنيّ ، وهذا الإحساس خاصّ بالشّخص ، ولا يمكن نقله إلى الآخرين ، فلا بدّ أن الإنسان نفسه ينكشف له وجود الإله .

وأقول بأنّ الفطرة إحساس باطنيّ ، ولكن يمكن التّنبيه عليها ، وسنبيّنها تفصيلًا في بحث "الفطرة" ، وسنبيّن هناك أنّ القواعد الفطريّة موجودة عند كلّ إنسان ، وستأتي هذه القواعد في بحث "الدّليل الفطريّ على إثبات وجود الإله" ، وحينما يسمع أيّ إنسان بهذه القواعد الفطريّة فإنّه يقول : نعم ، إنّ هذه القواعد موجودة عندي .

وهذا الشّعار وهو أنّ "الفطرة تدلّ على وجود الله" سنبيّنه من خلال القواعد الفطريّة ، هو شعار ، والّذي يقول بهذا الشّعار نطلب منه أن يشرحه ، فيكون جوابه : لا أدري .

ونسأله : ما هي الفطرة ؟

فيجيب : لا أعرف .

وفي بحث الدّليل الفطريّ سنبيّن ما هي الفطرة ، وما هي القواعد الفطريّة الموجودة عند الإنسان ، وكيف تدلّ هذه القواعد على وجود الإله .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٥٧)

مقدّمات إثبات وجود الإله

العمل والإيمان والتّصديق وتصوّر الإله [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

نذكر هنا مجموعة من المقدّمات المهمّة قبل الدّخول في أدلّة إثبات وجود الإله ، وكلامنا عن الإله بشكل عامّ لا خصوص إله المسلمين وهو الله تعالى ، فأوّلا لا بدّ أن نثبت وجود الإله ، وبعد ذلك نأتي لإثبات أنّ هذا الإله هو الله عزّ وجلّ .

مقدّمات إثبات وجود الإله :

المقدّمة الأولى :

إذا أراد الإنسان أن تكون أعماله سليمةً صحيحةً فلا بدّ أن يؤمن بوجود الإله ، وهذا الإله عند المسلمين هو الله تعالى ، وعند اليهود

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٧ ربيع الأوّل ١٤٤١ هـ ، الموافق ٢٠١٩/١١/١٥ م .

هو يهوه ، والأقوام الّذين يؤمنون ويعتقدون بوجود الإله لإلههم اسم معيّن ، وهذا يحتاج إلى استقراء اللّغات الموجودة في العالم لنعرف اسم الإله عند كلّ شعب وكلّ قوم وكلّ دين .

إنّ الأعمال الّتي يقوم بها الإنسان تكون مبنيّة على اعتقاداته ، فلا بدّ أن يؤمن بوجود الإله ، وكلّ إنسان لا يخلو من إله عنده ، قد يكون هو إله نفسه ، يتّخذ إلهه هواه ، فالهوى ينقلب إلى إله ، وبناءً على هذا الإله يتحرّك ويعمل ، وترى أنّ أعماله تقوم على أساس الهوى ، ما يرغب إليه وما يشتهيه .

ولكي يؤمن الإنسان بوجود شيء فلا بدّ أن يوجد عنده تصديق منطقيّ بذلك الشّيء ، والتّصديق المنطقيّ معناه أنّ ما آمن به مطابق للواقع ، فيصدّق بأنّ هذا الاعتقاد مطابق للواقع الخارجيّ .

ولكي يحصل عنده التّصديق المنطقيّ بمطابقة الواقع فلا بدّ أن يتحقّق عنده التّصوّر الذهني لذلك الشّيء الّذي اعتقد به ، فيعتقد بوجود الإله بعد أن يتصوّر الإله .

فتوجد هنا أربعة أمور :

أوّلًا : الإنسان يعمل على أساس ما يؤمن ويعتقد به ، فيعمل على أساس الإيمان بوجود الإله .

ثانيًا : الإيمان بوجود الشّيء ، وفي بحثنا الإيمان بوجود الإله .

ثالثًا : التّصديق المنطقيّ بالشّيء ، وفي بحثنا التّصديق المنطقيّ بوجود الإله ، ومطابقة الاعتقاد للواقع الخارجيّ ، فيعتقد بوجود

الإلـه ، ويصـدّق بأنّ اعتقـاده مطـابق للواقـع الخـارجيّ ، فيكـون الإلـه موجودًا في الخارج .

رابعًا : التّصوّر الذّهنيّ للشّيء ، وفي بحثنا التّصوّر الذّهنيّ للإله .

الخلاصة :

أعمال الإنسان قائمة على أساس ما يؤمن به ، وهو عنده إيمان بوجـود الإلـه ، وعنـده التّصـديق المنطقـيّ بوجـود الإلـه أي مطابقـة اعتقـاده للواقـع ، وقبـل التّصـديق المنطقـيّ عنـده تصـوّر عـن الإلـه ، فتوجد أربعة أمور : عمل وإيمان وتصديق منطقيّ وتصوّر .

ويمكن لنا أن نبدأ من التّصوّر ، فعنده تصوّر عن الإله ، ويعتقد أنّ هـذا التّصـوّر مطـابق للواقـع وهـو التّصـديق المنطقـيّ بأنّ الإلـه موجـود فعلًا في الخارج ، ثمّ يحصل عنده الإيمان بالإله ، ويعمل على أساس إيمانه به ، فهذه أربعة أمور : تصوّر وتصديق منطقيّ وإيمان وعمل .

وإذا أراد الإنسان أن يعرف بأنّ ما يعتقد به مطابق للواقع الخارجيّ فلا بدّ أن يكون عنده الدّليل ، والإنسان يتحرّك مع الدّليل ، فإذا أراد أن يعتقد بوجود الإله فلا بدّ أن يكون عنده الدّليل على وجود هذا الإله في الخارج ، فيحصل عنده التّصديق المنطقيّ بمطابقة الإيمان للواقع الخارجيّ ، ومدارنا في كلّ الأمور مدار الدّليل .

وإذا قال لك شخص بأنّه يعتقد بشيء فاسأله عن الدّليل على وجود هذا الشّيء ، لا فقط أنّه يعتقد بهذا الشّيء ، بل لا بدّ أن يكون عنده الدّليل على وجود هذا الشّيء .

ومن يقول بأنّه يعتقد بوجود الله عزّ وجلّ فاسأله عن الدّليل على وجود الله تعالى ، ولا بدّ أن يكون عنده الجواب ؛ لأنّه حينما يعتقد بالله فلا بدّ أن يعتقد على أساس الدّليل ، لا أن يكون دليله الوراثة ، أخذت هذا من أبي ، أخذته من الأجداد ، أخذته من الأسلاف .

"وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا . . ." [1] .

لا بدّ أن يكون عنده الدّليل ، والإنسان يُحْشَرُ يوم القيامة فَرْدًا ، الله عزّ وجلّ وأنت ، لا يستطيع أن يأتي بشخص آخر يجيب بَدَلًا عنه ، هو لا بدّ أن يجيب عن الأسئلة ، وقبل يوم القيامة في عالم البرزخ ، ففي عالم البرزخ حقائق الإنسان تظهر ، فهو مكشوف أمام الله تعالى وأمام الملائكة الّذين يحاسبونه ، وطبعًا هذا الحساب ليس باللّسان ، وإنّما بلسان الحال ، يُوقَظُ في القبر وَيُحَاسَبُ ، هذه كلّها عبارة عن رموز ؛ لأنّ الحساب يكون لقلب وروح الإنسان ، فحينما يُسْأَلُ : من ربّك ؟ - فيجيب ، والجواب حقيقيّ لا عن طريق اللّسان ؛ لأنّ القلب مكشوف ، والصّورة الباطنيّة للإنسان مكشوفة أمام الله والملائكة ، فهذا السّؤال والجواب يكونان بلسان الحال لا عن طريق الألفاظ ؛ لأنّ الألفاظ لا توجد في عالم البرزخ ، فالألفاظ تكون عن طريق اللّسان ، والإنسان الميّت لسانه لا يتحرّك ، فروحك هي الّتي تجيب ، فيكون الحساب بلسان الحال ، وهذه الرّوح مكشوفة ،

---

[1] لقمان : ٢١ .

والله عزّ وجلّ يعلم جميع اعتقادات هذا الإنسان ، فإذا قيل : من ربّك ؟ – لا يستطيع أن يكذب ، في الدّنيا الإنسان يكذب ، ولكن في البرزخ والقيامة لا يمكنه أن يكذب ؛ لأنّ هناك يظهر واقع الإنسان وحقيقته .

إذن :

يتصوّر الشّيء فيحصل عنده التّصديق المنطقيّ فيحصل عنده الإيمان فيعمل على أساس إيمانه .

ونأتي إلى هذه الأمور الأربعة :

الأمر الأوّل : العمل على أساس الإيمان بالإله :

وهو الإيمان العمليّ ، أي عمل مترتّب على الإيمان والاعتقادات ، فالإنسان الّذي يؤمن نسأله : ما هو الهدف من الإيمان ؟

تعتقد بوجود إله وتعتقد بالأنبياء عليهم السّلام وتعتقد بالأئمّة عليهم السّلام وتعتقد بيوم القيامة وتعتقد بمجموعة من الأمور ، فنسأل :

هل المطلوب من الإنسان الإيمان القلبيّ فقط كما يقول البعض بأنّه يكفي وجود الإيمان في القلب أو أنّ المطلوب أكثر من ذلك ؟

المرأة السّافرة تسألها : لماذا لا تتحجّبين بالحجاب الشّرعيّ ؟

فتقول : الإيمان في القلب ، وليس بالضّرورة أن ألبس الحجاب الشّرعيّ .

الرّجل الّذي لا يصلّي تسأله : لماذا لا تصلّي ؟

فيقول لك : الإيمان في القلب ، فأنا أؤمن بالله عزّ وجلّ .

هل يكفي الإيمان والاعتقاد بحيث يبقى الإنسان على الاعتقاد النّظريّ ولا يتحوّل إيمانه إلى عمل ؟

الجواب :

إنّ الهدف من الإيمان هو العمل والسّلوك المبنيّ على أساس هذا الإيمان ، والإيمان أمر نظريّ ، واعتقادات الإنسان لا بدّ أن تتحوّل إلى عمل وسلوك ، فمن يعتقد بوجود الإله لا بدّ أنّ سلوكه يختلف عن الّذي لا يعتقد بوجود الإله ، وهذا طبيعيّ لأنّ سلوك الإنسان يقوم على أساس إيمانه ، وراجع جميع الأعمال الّتي تقوم بها ، لا بدّ أن تكون جميع هذه الأعمال مبنيّة على اعتقاداتك .

إنّ المطلوب هو العمل المبنيّ على الإيمان ، لذلك تقرأ في القرآن الكريم : "**الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**" ، ووردت هذه العبارة في خمسين آية تقريبًا .

إذن :

الإيمان مع العمل مقترنان ، والإيمان لازمه العمل .

ومن يقول إنّ الإيمان في القلب فقط – نقول إنّ هذا لا يكفي ، لا بدّ أن يبرز هذا الإيمان على أعمالك وسلوكك .

"**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا**" [1] .

---

[1] النّساء : ١٢٤ .

من يعمل من الصّالحات وهو مؤمن ، فالعمل الصالح يكون مبنيًّا على الإيمان ، ولا يوجد فرق بين الذّكر والأنثى في هذه المسألة .

ملاحظة :

نقرأ في القرآن تارةً ذكرًا وأنثى وتارةً رجلًا وامرأةً أو رجالًا ونساءً ، وكلّ آية لها معنى ، ولا يمكن تبديل الذّكر والأنثى بالرّجل والمرأة ولا بالعكس ، ويمكن لأحد الباحثين أن يقوم ببحث عن الآيات الّتي فيها ذكر وأنثى والآيات الّتي فيها رجل وامرأة أو رجال ونساء ؛ لكي يبيّن لنا الفرق بينها ، والمعاني دقيقة في الآيات القرآنيّة ولا تأتي الكلمات جزافًا .

الرّوايات الشّريفة عن الإيمان والعمل :

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "الإيمان والعمل شريكان في قرن ، لا يقبل الله تعالى أحدهما إلّا بصاحبه" [١] .

سئل أمير المؤمنين عليه السّلام عن الإيمان فقال : "الإيمان معرفة بالقلب ، وإقرار باللّسان ، وعمل بالأركان" [٢] .

عن محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السّلام قال : "الإيمان إقرار وعمل ، والإسلام إقرار بلا عمل" [٣] .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال : "ليس الإيمان بالتّحلّي ولا

---

[١] كنز العمّال للمتّقي الهنديّ ج١ ص٩٥ ح٤٢٢ .

[٢] الذّريعة إلى مكارم الشّريعة للرّاغب الأصفهانيّ ص١٠٠ .

[٣] الكافي ج٢ ص٢٤ ح٢ .

بالتّمنّي ، ولكنّ الإيمان ما خلص في القلوب وصدّقته الأعمال" [١] .

عن الإمام الرّضا عليه السّلام قال : "الإيمان عقد بالقلب ولفظ باللّسان وعمل بالجوارح ، ولا يكون الإيمان إلّا هكذا" [٢] .

عن الإمام الباقر عليه السّلام قال : "الإيمان ما استقرّ في القلب . . وصدّقه العمل بالطاعة لله والتّسليم لأمره . . ." [٣] .

الإيمان ما استقرّ في القلب : هذا هو الإيمان القلبيّ .

وصدّقه العمل : الإنسان الّذي يقول بأنّه يؤمن بالله كما تقول المرأة السّافرة ، هي تؤمن بالله ، ولكنّها لا تريد أن تلبس الحجاب الشّرعيّ ، وهي بين أمرين : إمّا أن إيمانها ضعيف وإمّا أنّه لا يوجد إيمان ؛ لأنّ الإنسان الّذي يكون إيمانه قويًّا فالأعمال الّتي يأتي بها تكون بدون تكلّف ولا تصنّع ، وتكون أعمالا طبيعيّةً بالنّسبة له ؛ لأنّها مترتّبة على اعتقاداته ، وإذا لم يعمل الإنسان فإيمانه بلا روح ولا حياة .

ويمكن البحث في القرآن الكريم والرّوايات الشّريفة عن الإيمان والعمل ؛ لكي نرى العلاقة بينهما .

إذن :

الأمر الأوّل هو العمل المترتّب على الإيمان وهو الإيمان العمليّ .

---

[١] تحف العقول لابن شعبة الحرّانيّ ص٣٧٠ .

[٢] معاني الأخبار للشيخ الصّدوق ص١٨٦ .

[٣] الكافي ج٢ ص٢٦ ح٥ .

الأمر الثاني : الإيمان القلبي بالشيء أو التصديق القلبي :

هو الإيمان النّظريّ ، وهو الإيمان الّذي يُبْحَثُ عنه في علم الكلام ، وعلم الكلام يسمّى اليوم بـ "علم اللّاهوت" ، فنقول إنّ هذا مؤمن ، وذاك ليس بمؤمن .

والإيمان الكلاميّ هو التّصديق الكلاميّ وهو الإيمان القلبيّ ، والإيمان هو الانجذاب إلى الشّيء أو النّفور من الشّيء ، فإذا آمن الإنسان بوجود الآخرة والثّواب وجهنّم والعقاب فينجذب إلى الجنّة والثّواب ، وينفر من جهنّم والعقاب ، فالإيمان يتضمّن الميل والانجذاب إلى الشّيء أو النّفور من الشّيء ، ولو لم يوجد الميل والانجذاب إلى الشّيء فلا يتحقّق الإيمان بذلك الشّيء ، هذا في الملذّات الأخرويّة .

وأمّا في الملذّات الدّنيويّة فإذا آمنت بأنّ شرب عصير البرتقال فيه التذاذ فتميل إليه ، والنّاس يختلفون في التذاذهم بالعصائر ، فشخص يميل إلى عصير المانجا ، وشخص آخر يميل إلى عصير الرّمّان ، وهذا التّنوّع يحصل بسبب اختلاف ميول النّاس في الالتذاذ ، وقد لا يلتفت الإنسان إلى أنّه يحصل له الالتذاذ بهذا النّوع من العصير .

والميل مبني على اعتقاد عند الإنسان ، وهو الاعتقاد بأنّ هذا الشّيء يجعله يلتذّ ، ولكنّ الإنسان في كثير من الأحيان لا يلتفت إلى اعتقاداته ، وكذلك يميل إلى الطّعام واللّباس وأيّ مصداق آخر من الملذّات الدّنيويّة .

إنّ الإيمان يتضمّن الانجذاب إلى هذا الشّيء والنّفور من ذاك الشّيء ، والإيمان عقد قلبيّ تترتّب عليه الآثار ، وإذا لم تترتّب الآثار فمعنى ذلك أنّه لا يوجد إيمان أو أنّ الإيمان ضعيف يزول بسهولة .

والإنسان يقوم بأشياء صغيرة وهو يظنّ أنّه اختارها بشكل عشوائيّ ، ولكنّها في الواقع مبنيّة على اعتقاد عنده ، والمطلوب من الإنسان أن يراجع جميع أعماله حتّى الأمور الصّغيرة الّتي يعتبرها أمورًا عاديّة ، وسوف يكتشف أنّ هناك جذرًا عقائديًّا موجودًا عنده ، وجميع الأعمال ترجع إلى هذه الجذور العقائديّة الموجودة عند الإنسان .

وبعض الأمور البسيطة قد يعطيها الإنسان قيمةً أكبر من حجمها ، مثلًا زوج يأتي إلى البيت ويرى بأنّ زوجته لم تطبخ الغداء ، ترى زوجًا يقول لا بأس بذلك ونأكل أيّ شيء ، وترى زوجًا آخر يغضب وينهر الزوجة ويقول : لماذا لم تطبخي وقد جئت من العمل متعبًا ؟

لماذا الزّوج الأوّل أخذ الأمر بكلّ سهولة أو كما يقولون بروح رياضيّة ، والزّوج الثّاني غضب لأنّه لم يحصل على غداء يريده بشكل معيّن ؟

كلّ منهما يتعامل مع هذا الشّيء البسيط بعقيدة موجودة عنده ، فهناك جذر عقائديّ لردّة فعل كلّ منهما ، الأوّل لا يعطي أهمّيّة كبيرة للطّعام ، فيمكنه أن يأكل أيّ شيء يسدّ جوعه ، والثّاني يعطي أهمّيّة كبيرة جدًّا للطّعام ، ويكون الطّعام طاغيًا بالنّسبة له ،

فعنده طغيان في الطّعام ، لذلك يحرص حرصًا شديدًا على نوعيّة أكله ، ولا يقبل بأيّ طعام ، ولا يرضى حتّى لو كانت زوجته مريضةً في هذا اليوم ، وفي النّهاية يمرض بالضّغط والسّكري والأمراض الأخرى الّتي تنشأ بسبب الغضب لأتفه الأسباب .

وترى شخصًا يحرص على الطّعام الطّبيعيّ الصّحيّ ، فهو يعتقد بأهمّيّة الصّحّة ، فيحافظ على صحّته ، طبعًا المؤمن يحرص على صحّته ؛ لأنّه يريد أن يقوم بالأعمال الصّالحة بنشاط ، فالإنسان المريض لا يمكنه القيام بالأعمال العباديّة بنشاط ، ولا يمكنه القيام من فراشه بنشاط ، ولا يمكنه القيام والرّكوع والنّزول إلى السّجود بسهولة ، أو قد يكون سمينًا بسبب الأكل الزّائد فحركته تكون صعبةً .

إنّ كلّ عمل له جذر عقائديّ ، وتراجع أعمالك لتعرف الجذر العقائديّ لأيّ عمل تقوم به ، وبذلك تعرف أنّ هذا العمل مهمّ أو غير مهم .

إذن :

الإيمان فيه الانجذاب والنّفور ، فتنجذب إلى شيء ، وتنفر من شيء آخر .

والأمر الأول هو الإيمان العمليّ ، والأمر الثّاني هو الإيمان القلبيّ أو التّصديق القلبيّ .

الأمر الثّالث :التّصديق المنطقيّ بالشّيء :

هو أن يوجد عندك دليل على أنّ هذا الشّيء الّذي تعتقد به

موجودٌ في الواقع الخارجيّ ، وهذا هو التّصديق المنطقيّ أو العلم ، فالتّصديق المنطقيّ هو أن يعلم الإنسان بشيء سواء آمن به أم لم يؤمن .

والأدلّة تختلف باختلاف المجال ، فالدّليل قد يكون دليلًا عقليًّا ، فتعتمد على الدّليل العقليّ ، أو دليلًا نقليًّا من آية أو رواية ، أو دليلًا علميًّا طبيعيًّا ، فترجع إلى الفيزياء أو الكيمياء ، أو دليلًا عرفيًّا ، أو أيّ نوع آخر من الأدلّة .

والاعتقادات عليها أدلّة مختلفة ، وكلّ مجال له أدلّته الخاصّة ، والأدلة متفاوتة مختلفة ، فحينما تبحث في مجال معيّن لا بدّ أن تبحث عن الأدلّة المناسبة لهذا المجال .

مثلًا حينما تبحث في وجود الله فإنك تبحث عن الأدلّة العقليّة الدّالّة على وجوده ، وتحتاج إلى العلوم الطبيعيّة كمقدّمة للدّليل العقليّ ، والاستنتاج من مكتشفات العلوم الطّبيعيّة يكون استنتاجًا عقليًّا .

فحينما يجري العالم تجربة على الماء يرى أنّ الماء يغلي عند درجة معيّنة ، الماء الأوّل عند هذه الدّرجة ، والماء الثّاني عند نفس الدّرجة ، والماء الثّالث كذلك ، وكذلك بقيّة المياه ، فيجري التّجربة على مياه معدودة ، وبعد ذلك يقول عندي قانون عامّ وهو أنّ الماء يغلي عند ١٠٠ درجة مئويّة .

وهذا القانون العامّ لا يأتي من التّجربة ؛ لأنّ التجربة أُجْرِيَتْ على

مياه معدودة ، والقانون العامّ ينطبق على جميع المياه ، فهذا القانون العامّ يكون استنتاجًا من العقل ، فالعقل هو الّذي يعطيك القوانين العامّة ، وأمّا التّجربة فتعطيك مشاهدات جزئيّة على أفراد معدودين .

نقول إنّ "كلّ حديد يتمدّد بالحرارة" مع أنّه لم تُجْرَ التّجربة على جميع أفراد الحديد في العالم ، وإنّما أُجْرِيَتْ على عشرين حديدة فقط ، ولم تُجْرَ التّجربة على جميع المياه في العالم ، وإنّما أُجْرِيَتْ على عشرين فردًا فقط ، فيستنتج العقل قانونًا عامًّا ينطبق على جميع الأفراد .

إنّ القانون العامّ قانون عقليّ لا قانون تجريبيّ ، لذلك لأجل استنتاج القوانين العامّة في أيّ علم من العلوم نحتاج إلى التّجربة والعقل ، ونحتاج إلى العلوم الطبيعيّة مع العقل ، فالقوانين العامّة الّتي يصل إليها العلماء من العلوم الطّبيعيّة قوانين عقليّة وليست قوانين تجريبيّة ، ولإثبات القانون العامّ نحتاج إلى العقل لا التّجربة لوحدها ، والتّجربة مقدّمة للاستنتاج العقليّ للقانون العامّ .

نسأل :

هل توجد ملازمة بين التّصديق المنطقيّ والتّصديق القلبيّ ؟

بعبارة أخرى :

إذا علم بوجود شيء فهل لازمه أنّه يؤمن بهذا الشّيء ؟

مثلًا يعلم بوجود الإله ، وعند المسلمين يعلم بوجود الله ، أي في عالم التّصوّر ، فهل هذا يعني أنّه يؤمن بالله ؟

فهل توجد ملازمة بين التّصديق المنطقيّ والتّصديق القلبيّ ؟

للإجابة على هذا السّؤال نسأل :

التّصديق المنطقيّ والتّصديق القلبيّ هل هما اختياريّان للإنسان أو غير اختياريّين ؟

مثلًا شخص يقول لك ٢+٢ أنت مباشرةً تقول ٤ ، ويحصل عندك تصديق منطقيّ بأنّ هذا مطابق للواقع ، فهل التّصديق المنطقيّ أمر اختياريّ أو غير اختياريّ ؟

الجواب :

لا توجد ملازمة بين التّصديق المنطقيّ والعلم وبين التّصديق الكلاميّ والإيمان القلبيّ ، فالشّخص قد يحصل له تصديق منطقيّ أي علم بوجود الشّيء ، ومع ذلك لا يؤمن به ، فيمكن أن ينفكّ أحدهما عن الآخر ، وقد يوجد عند الإنسان اعتقاد مع أنّه لا يوجد عنده أيّ دليل على اعتقاده .

وأهمّ فرق بين التّصديق القلبيّ والتّصديق المنطقيّ هو أنّ التّصديق القلبيّ أمر اختياريّ للإنسان ، فهو يؤمن ويعتقد بشيء باختياره ، وأمّا التّصوّر المنطقيّ والتّصديق المنطقيّ فهما أمران غير اختياريّين للإنسان ، فإذا سمعت شخصًا يقول ٢+٢ فإنّه تنطبع مباشرةً في ذهنك صورة ٤ ، وهذا أمر غير اختياريّ ، وإذا فتح الشّخص عينيه فإنّ صور الأشياء حوله يتصوّرها في ذهنه ، وهذا أمر غير اختياريّ ، فيمكن أن يوجد تصوّر منطقيّ وتصديق منطقيّ ، ولكن لا يوجد إيمان كلاميّ وتصديق قلبيّ ، ومن الممكن أن يعلم بوجود الإله ،

ولكنّه لا يؤمن به ، فتقوم عنده الأدلّة على إثبات وجود الإله ، ولكنّه لا يؤمن بوجوده ، ولكن لا يمكن أن يوجد تصديق قلبيّ ولا يوجد علم وتصديق منطقيّ ، فالتّصديق القلبيّ يكون دائمًا مسبوقًا بالعلم والتّصديق المنطقيّ ، فكلُّ إيمانٍ مسبوقٌ بتصديق منطقيّ .

يقول القرآن الكريم :

"وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ" [١] .

فهم يوجد عندهم علم ويقين وتصديق منطقيّ ، ولكنّهم جحدوا ولم يؤمنوا ؛ لأنّ الإيمان القلبيّ أمر اختياريّ ، فهو يعلم بوجود الله ، ولكنّه يجحد ويكفر ، وإذا أراد أن يكون مؤمنا فهو باختياره وإرادته ، أو أراد أن يكون جاحدًا فباختياره ، والإنسان يختار طريقه .

ولأنّ الإيمان القلبيّ أمر اختياريّ فإنّه يقع تحت الأمر الإلهيّ ، فالأمور الاختياريّة يتعلّق بها الأمر الإلهيّ ، ولو كان الإيمان القلبيّ أمر إجباري من الله لقلنا بأنّ هذا أجبره الله على الإيمان ، وذاك أجبره الله على الجحود والكفر ، وهو ما يقول به الجبريّون .

فيأتي إشكال بأنّ الله أجبره على الكفر فكيف يدخله إلى نار جهنّم ؟! والحساب يكون على أيّ شيء ؟ فكيف يحاسب الله الشّخص الّذي أجبره على الإيمان أو على الكفر والمفروض أن يكون الحساب على الأمور الاختياريّة ؟

---

[١] النّمل : ١٤ .

يقول القرآن الكريم :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم . . ." [1] .

الله عزّ وجلّ يطلب من النّاس أن يكونوا متّقين ، فلا بدّ أن تكون التّقوى أمرًا اختياريًّا .

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ . . ." [2] .

الله عزّ وجلّ يطلب من الّذين آمنوا أن يؤمنوا ، فيقول : "أنا مؤمن" ، فكيف يطلب الله منّي أن أؤمن ؟

يوجد معنيان للآية الكريمة :

المعنى الأوّل :

يا أيّها الّذين آمنوا بحسب ظاهرهم آمِنُوا حقيقةً ، الله عزّ وجلّ موجود بكلمات هذا الإنسان ويظهر الإيمان به أمام النّاس ، ولكنّ الله يطلب منهم الإيمان الحقيقيّ بعد أن كان إيمانهم إيمانًا ظاهريًّا .

نعم أنت تبني على إسلام الشّخص بحسب إسلامه الظّاهريّ ، فإذا تشهّد الشّهادتين فهو مسلم ، ولكن بالإسلام الظاهريّ ، وهو يعلم بنفسه أنّه يؤمن حقيقةً أو لا ، لذلك الخادمة الّتي تتشهّد الشّهادتين تبني على إسلامها الظّاهري إلّا إذا قامت قرينة على أنّها تكذب ، مثلًا هي تدخل إلى غرفتها وتسجد لصنم ، هذا يكشف عن أنّ كلامها كذب ، ولكن إذا تشهّدت الشّهادتين وقامت

---

[1] النّساء : ١ .

[2] السّورة السّابقة : ١٣٦ .

وتوضأت وصلّت فهنا تبني على إسلامها الظّاهريّ ، والإسلام الواقعيّ عند الله تعالى ، أنت تعلم بنفسك ، ولكنّك لا تعلم بنيّة غيرك ، ولا يمكن أن تعرف الدّرجة الإيمانيّة لأيّ شخص ، فتبني على الظّاهر ، تراه كلّ يوم في المسجد فقد تقول : ما شاء الله ، هذا مؤمن في الدّرجات العليا من الإيمان .

أنت ترى ظاهره ولا تعلم واقعه ، فأنت لا تعرف أنّه في بيته كيف يتعامل مع زوجته وأولاده ومع خادمته ، ولا تعرف أنّه إلى ماذا ينظر في هاتفه النّقّال ، وأنت لا تعلم بالأشياء الّتي يشاهدها ، فقد يكون في هاتفه النّقّال مصائب عظيمة .

نعم تبني على ظاهره من الإسلام والإيمان ، وتتعامل معه على أساس ظاهره ، ولكن إذا أراد أن يشاركك في التّجارة فأنت لا تكتفي بظاهره ، لذلك تسأل عنه لتعرف حقيقته ، وإذا أراد أن يقترض منك مالًا فإنّك لا تعتمد على ظاهره ، ولو تبني على ظاهره في كلّ شيء فالمفروض أن تقرضه المال مباشرةً بلا أيّ سؤال عنه .

نعم في بعض الأمور تتعامل مع النّاس على أساس الظّاهر ، ولكن في بعض الأمور الأخرى لا تكتفي بالظّاهر ، تريد أن تعرف أنّه شخص أمين أو لا ، تريد أن تعرف حقيقته ، وتبدأ بالسّؤال عنه لتعرف أنّه مؤمن حقيقيّ أو لا ، فتسأل الأشخاص الّذين عاشروه ، كأحد أقربائه أو أحد معارفه المقرّبين أو شخص سافر معه أو جاره ، ولكنّ المشكلة أن النّاس اليوم لا يعرفون جيرانهم ، فلا يمكن أن تتكلّم

عـن جيرانـك بشـيء ، يسـألونك عـن الجـيران ، فتقـول أنا لا أعـرف أسماءهم ، حتّى جارك اللّصيق المجاور لـك ، وهـذا هـو واقعنـا اليـوم ، ولو رجعنا إلى الخمسين سنة السّابقة فإنّنا كنّا نعرف جيراننا في حيّنا ، ونعرف الأشخاص في الأحياء الأخرى ، هذا بيت فلان ، وذاك بيت علّان .

المعنى الثّاني :

يا أيّها الّذين آمنوا الّذين يكون إيمانكم في الدّرجات السّفلى آمِنُوا واصْعَدُوا إلى الـدّرجات العليـا مـن الإيمـان ، فـالمؤمن الّـذي يكـون في الدّرجة الأولى من الإيمان يطلب منه الله أن يصعد إلى الدّرجة الثّانية ، ومـن يكـون في الدّرجـة الثّانيـة يطلـب منـه الله أن يصـعد إلى الدرجـة الثّالثة ، وهكـذا في بقيّة درجـات الإيمـان ، فيطلـب الله عـزّ وجـلّ مـن كلّ مؤمن في درجة أدنى أن يصعد إلى درجة أعلى من درجته إلى أن يصل إلى قمّة الإيمان .

إذن الأمر الأوّل هو العمل على أساس الإيمان ، والأمر الثّاني هو الإيمان والتّصديق القلبيّ ، والأمر الثّالث هو التّصديق المنطقيّ .

الأمر الرّابع : التّصوّر الذّهنيّ للشّيء :

لكـي تثبـت شـيئًا ويحصـل عنـدك تصـديق منطقـيّ بـه فـلا بـدّ أن تتصوّر ذلـك الشّـيء أوّلًا ، فقبـل أن تقـول إنّ هـذا مطـابق للواقـع فـلا بدّ أن يكـون عنـدك تصـوّر لهـذا الشّـيء ، وقبـل تصـوّره لا يمكـن إثباتـه والتّصديق به .

وأنت تقول بأنّك تريد أن تثبت وجود الإله أو وجود الله تعالى ، فلا بدّ أن يكون عندك تصوّر مسبق عن هذا الإله أو عن الله عزّ وجلّ ، فالتّصوّر يسبق التّصديق ، فالتّصوّر قبل التّصديق ، وكلّ تصديق منطقيّ بشيء لا بدّ أن يكون مسبوقًا بالتّصوّر الذّهنيّ لذلك الشّيء تصوّرًا إجماليًّا أو تصوّرًا تفصيليًّا ، وإذا كان الشّيء مجهولًا تمامًا فتقيم الدّليل لإثبات ماذا ؟!

النّتيجة :

أوّلًا العمل مبنيّ على أساس الإيمان والتّصديق القلبيّ بالإله ، وثانيًا الإيمان والتّصديق القلبيّ بوجود الإله مبنيّ على التّصديق المنطقيّ بمعنى أنّه مبنيّ على قيام الدّليل على وجود الإله أي على التّصديق المنطقيّ بوجود الإله ، والتّصديق المنطقيّ بوجود الإله فرع التّصوّر الذّهنيّ عن الإله .

وإذا أردنا أن ندخل في أبحاث أدلّة إثبات وجود الإله فقبل ذلك لا بدّ أن نبحث عن التّصوّر الذّهنيّ عن الإله ، تقول أريد أن أثبت وجود الإله ، فنسألك : عن أيّ إله تتكلّم ؟ وأيّ إله تريد إثبات وجوده وإقامة الدّليل على وجوده ؟ ما هو التّصوّر الموجود عندك عن هذا الإله ؟

المؤمن يريد أن يثبت وجود الإله ، فأي إله يريد إثبات وجوده ؟

وكلّ دين عنده إله ، بل كلّ مذهب عنده إله ، مذهب يعتقد بأنّ الله سبحانه جسم له وجه وأيدي وأعين وأنّه يجلس على عرشه

والعرش له صوت وأطيط ، ومذهب آخر يعتقد بأنّ الله عزّ وجلّ غير مادّيّ وليس جسمًا ، وكلاهما ضمن الدّين الإسلاميّ ، هذا مسلم ، وذاك مسلم ، فكلّ دين وكلّ مذهب في الدّين الواحد له تصوّر عن الإله ، وفي المسيحيّة بعضهم يعتقد أنّ المسيح ابن الله ، وبعضهم يعتقد بأنّ المسيح إنسان نبيّ ، وفي الفترة الأخيرة انتشر فيديو عن بابا في الفاتيكان قال بأنّ المسيح ليس إلها بل هو إنسان .

إذن :

أوّلا لا بدّ أن يحدّد تصوّره عن الإله ، المؤمن أيّ إله يريد أن يثبت ؟ والملحد أيّ إله يريد أن ينفي ؟ هل يقصد إله اليهود أو إله المسيحيّين أو إله المسلمين ؟ ومن أيّ مذهب من مذاهب المسلمين ؟ وهل يقصد إله دين آخر ؟

أوّلًا لا بدّ أن يحدّد الإله الّذي يقصده لكي يُثْبِتَ وجوده ، ويكون عنده تصديق منطقيّ بهذا الإله ، وتصديق قلبيّ بهذا الإله ، ثمّ العمل المبنيّ على أساس الإيمان القلبيّ بهذا الإله .

أيّ إله يتحدّث عنه ؟

إذن قبل أن تثبت وجود الإله اذكر لنا ما هو تصوّرك عن الإله ، فالإله الّذي تعتقد به ما هو ؟ وما هي صفاته ؟

وكذلك الّذي يريد أن ينفي وجود الإله لا بدّ أن يبيّن أيّ إله يريد أن ينفي وجوده .

ولا يمكن إقامة الدّليل على وجود شيء أو نفي شيء إلّا بعد تصوّر

هذا الشّيء سواء كان التّصوّر تصوّرًا إجماليًّا أم تصوّرًا تفصيليًّا .

محور الكلام بين المثبت لوجود الإله والنّافي له :

في النّقاشات الّتي تدور بين المؤمنين والملحدين يتكلّمون عن الإله العالم القادر الحكيم ، فالمؤمن يثبت هذه الصّفات لهذا الإله ، والملحد ينفي هذه الصّفات عن هذا الإله .

وعادةً ما يكون محور الكلام بين المؤمنين والملحدين عن الإله العالم بكلّ شيء والقادر على كلّ شيء والحكيم والرّحيم ، والمؤمن يقول بأنّ هذا الإله كلّه خير ، لذلك يشكل الملحد بأنّه إذا كان عالِمًا بكلّ شيء وقادرًا على كلّ شي وحكيمًا ورحيمًا بكلّ شيء وخيرًا كلّه فلماذا توجد شرور في العالم من الشّرور الطّبيعيّة والشّرور الأخلاقية والآلام النفسيّة ، كالزّلازل والبراكين والأمراض والفقر والظلم والموت ؟

إنّ وجود الشّرور لاينسجم مع الإله الّذي يكون كُلُّهُ خَيْرًا ، وأنتم عندكم في قرآنكم آية تقول :

"قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ . . ." [1] .

إنّ وجود الشّرور في العالم يدلّ على أنّ الإله الّذي تقولون به هو شرّير ؛ لأنّه يعمل على شاكلته ، فشاكلته وصفاته الشّرّ ، لذلك توجد شرور في العالم ، ووجود الشّرور في العالم من أهمّ الأدلّة بل أهمّ دليل لنفي وجود الإله الّذي تقول به الأديان السّماويّة الّتي تقول بأنّ الله خير كلّه ، فإذا كان خيرًا كلّه فالمفروض أن لا يصدر منه شرّ

---

[1] الإسراء : ٨٤ .

مطلقًا .

ونفس إلهكم يقول في قرآنكم :

"مِن شَرِّ مَا خَلَقَ" [1] .

وبلسانه ندينه ، فنفس إلهكم يقول بوجود شرّ فيما خلق ، ووجود الشّرّ لا ينسجم مع الإله الّذي تقولون عنه بأنّه عالم قادر حكيم رحيم عادل خَيِّرٌ ، ولو كان بهذه الصّفات فلماذا خلق عالما فيه شرور ؟!!

يقول المؤمنون بوجود الإله ، فيشكل الملحدون بوجود الشّرور في العالم ، فإذا كان كلّه خيرًا فكيف يخلق الشّرّ ويصدر الشّرّ منه ؟

والرّدّ على الملحدين هو أنّ إشكالهم لا ينفي وجود الإله بل ينفي بعض صفات الإله الّتي تقول به الأديان السّماويّة وهي صفة الخيريّة أو صفة العدل أو صفة الحكمة أو صفة الرّحمة ، فإشكالهم لا يكون على أصل وجود الإله ، وإنّما على صفات الخيريّة والعدل والحكمة والرّحمة عند الإله ، فالإشكال لا يَرِدُ على الذّات ، وإنّما يَرِدُ على الصّفات ، فيكون الإله موجودًا ، ولكنّ الملحدين يقولون بأنّه شرّير .

إذن يوجد اتّفاق بين المؤمنين والملحدين على وجود الإله ، ولكنّ المؤمنين يقولون بأنّ الإله مصدر للخير ، والملحدون يقولون بأنّ الإله مصدر للشّرّ .

وبعض الملحدين حاولوا أن يوردوا إشكال الشّرور على الذّات لكي ينفوا أصل وجود الإله لا نفي صفات الإله ، فالإله غير العالم

---

[1] الفلق : ٢ .

وغير القادر وغير الحكيم وغير الخيّر ليس له وجود .

وسيأتي إشكال الشّرور تفصيلًا في محلّه المناسب إن شاء الله تعالى .

ونسأل : ما هي الأجوبة الّتي يمكن أن نأتي بها لرد إشكال الشّرور ؟

من الأجوبة الّتي يقولون بها هي إنّ الشّرّ أمر عدميّ أو مُسْتَلْزِمٌ للعدم ، فيردّ عليهم الملحد : كيف يكون الشّرّ أمرًا عدميًّا أو مستلزمًا للعدم وتوجد أمراض وظلم والأمراض والظّلم أمور وجوديّة لا عدميّة ؟

إنّ العدم هو لا شيء ، والأمراض لها وجود وليست أعدامًا ، ويقول المؤمنون إنّ المرض هو عدم الصّحّة ، فالمرض أمر عدميّ ، ولكنّ المرض قد يقتل الملايين من النّاس ، فكيف يكون عدميًّا والعدم هو لا شيء ، فكيف اللّاشيء يقتل الملايين ؟!

والبعض من المستمعين يقولون بأنّه في بعض المحاضرات تطرحون الإشكال ولا تجيبون ، والرّدّ على ذلك أنّه نشير إلى العناوين الّتي سنبحثها ، والبحث التّفصيلي سيأتي فيما بعد في محلّه المناسب ، فنشير إلى بعض مسائل الفقه ، والبحث التّفصيليّ سيأتي في مباحث الفقه العمليّ .

والآن عنوان بحثنا هو "وجود الإله" ، والمستمع لا بدّ أن يبحث ، لا أن ينتظر المحاضرة ، فالإشكال قد يأتي الجواب عنه تفصيلًا بعد ثلاثين محاضرة ، فعلى المستمع أن يذهب إلى الإنترنت واليوتيوب ويكتب ما يريد أن يبحث عنه ، فيكتب العنوان وستخرج له مئات المواقع والصّفحات والقنوات الّتي تتكلّم عن جميع الإشكالات الّتي

نطرحها وسيجد الأجوبة عليها ، وجميع المواضيع مبحوثة .

ونحن هنا لا نأتي بإشكالات جديدة ، فالإشكالات موجودة في المواقع ، والمؤمن لا بدّ أن يتحرّك ويبحث ، ولا ينتظر الأجوبة في محاضراتنا في هذه الدّيوانيّة الأسبوعيّة ، نتوقّع من المستمع أن يبحث في هذه المواضيع أيضًا ، ويمكن أن يبحث ويأتي لي بالموضوع الّذي وصلنا إليه لكي نستفيد ولا نبدأ من الصّفر .

مثلًا في مشكلة الشّرور سأذهب إلى جميع المواقع الّتي تحدّثت عن هذا الموضوع ؛ لكي نرى ما يقولونه ، وسأعطيكم خلاصة ما جاء في المواقع ، ونفكّر معًا بأنّه هل يمكن إضافة أجوبة أخرى على أجوبة الإشكال ، وقد نصل إلى بعض الأجوبة الجديدة .

وفي مشكلة الشّرور سأذكر مثالًا عرفيًّا ، وقلنا بأنّه في بعض البحوث تكفي الأدلّة العرفيّة الإجابة ، ومحاضراتنا ليست للمتخصّصين من العلماء ، بل حتّى للنّاس العاديّين ، والإنسان العاديّ تعطيه دليلًا عرفيًّا فيقبل ويقتنع بكلامك .

مثلًا في المدرسة يقدّم الطّلبة الامتحان ، هل الامتحان خير أو شرّ ؟

الطّالب يراه شَرًّا ، ويتضايق من الامتحانات ، ولا يرغب بوجود امتحانات في المدارس ، ونشبّه الامتحانات في المدارس بالابتلاءات في الحياة ، امتحان في المدرسة وامتحان في الحياة ، وإدارة المدرسة تقول عن الامتحانات بأنّها خير ؛ لأنّه يمكن تمييز مستويات الطّلبة ،

فهذا الطّالب ينجح وينتقل إلى المرحلة التّالية ، أو لا ينجح فيظلّ في مرحلته الحاليّة ، والانتقال إلى المرحلة التّالية بمعنى أنّه يتكامل ، فالشّرّ الظّاهريّ في الامتحانات في واقعه خير عند إدارة المدرسة وشرّ في نظر الطّالب ، والشّرّ الظّاهريّ من الابتلاءات في واقعه خير عند الإله وشرّ في نظر الإنسان ، فما نظنّ أنّه شرّ يكون في واقعه خيرًا ، تقول أمراض وبراكين وزلازل ، نقول نعم ظاهرها شرّ ، ولكن في واقعها هي خير ؛ لأنّنا نعيش في دنيا النّواقص والابتلاءات لا دنيا الكمالات ، هل يمكن لأحد أن يقول إنّ دنيانا هي دنيا الكمال وأنّه يعيش في الدّنيا كما يعيش في الجنّة ؟!

الدّنيا دنيا النّقص والبلاء والامتحان مثل المدرسة ، يقع عليك الامتحان فتعتبره شَرًّا .

الثّعبان الّذي يلدغ شخصًا ، هذا الشّخص يعتبر لدغة الثّعبان شرًّا ، فاللّدغة بالنّسبة للإنسان شرّ ، ولكنّ الثّعبان يريد أن يدافع عن نفسه ، فتكون اللّدغة بالنّسبة للثّعبان خير ، فصار الشّرّ والخير أمرًا نسبيًّا ، أي بالنّسبة لهذا أو لذاك ، فيكون شرًّا بالنّسبة إلى الشّيء الأوّل ، ويكون خيرًا بالنّسبة للشّيء الثّاني ، وهكذا نرى النّسبيّة في الشّرّ والخير .

الإنسان يرى الأمراض شرًّا ، ولكن من خلال الأمراض يكتشف الأطبّاء لقاحات لهذه الأمراض ، وينجحون في اكتشاف اللّقاح .

وبالنّسبة للزّلازل يبنون بيوتًا بحيث يمكنهم مقاومة الزّلازل ، فصار

عند الإنسان التّطوّر في البنيان ، هو شرّ ، ولكن أعطى خيرًا .

وتقول براكين وفيضانات تقتل آلاف النّاس ، ابحث هل هناك خير فيه أو لا ؟

الله سبحانه خلق الشّرّ ، ولكنّه شرّ ظاهريّ ، وفي الواقع يوجد فيه الخير .

إذن :

من يريد أن يثبت وجود الإله أو يريد أن ينفي وجود الإله فأوّل سؤال يُوَجَّهُ إليه : ما هو هذا الإله الّذي تريد أن تثبته أو تنفيه ؟

الملحد يقول : أنا لا أعتقد بوجود الإله .

اسأله : أيّ إله لا تعتقد به ؟ ما هو تصوّرك عن هذا الإله ؟ ما هي صفات هذا الإله الّذي تريد أن تنفي وجوده ؟

وهذا مهمّ ؛ لكي يمكنك أن تناقشه في هذا الإله المتصوَّر .

وأنت تريد أن تثبت وجود الله ، فعندك تصوّر عن الله ، وذاك الّذي لا يعتقد أنّ الله جسم يريد أن يثبت لك الإله الّذي له جسم ، وأنت لا تعتقد بأنّ الله جسم فتريد أن تثبت وجود الله الّذي ليس له جسم .

فما هو تصوّرك عن الإله الّذي تريد أن تثبت وجوده ؟

وضمن مذاهب المسلمين كلّ مسلم عنده تصوّر عن الله ، وقد يكون تصوّر الله عند كلّ شخص مسلم يختلف عن تصوّر الله عند المسلم الآخر ، فراجع ما هو تصوّرك عن الله تعالى ؟

تقول هو الّذي يرفع البلاء ، فصار عندك تصوّر ، أو تقول هو الّذي يجيب الدّعوات ، فصار عندك تصوّر آخر .

وإذا وقع في مشكلة يرفع يديه بالدّعاء ، كما إذا أصيب بمرض خبيث ، ويشفيه الله من هذا المرض .

فلو سئل : ما هو تصوّرك عن الله تعالى ؟

فيقول : هو مجيب الدّعوات وشافي المرضى .

فعنده تصوّر معيّن عن الإله ، يتصوّره بصفة معيّنة من صفات الله عزّ وجلّ .

والإنسان العامّيّ عنده تصوّر معيّن ، والإنسان العالم عنده تصوّر آخر مبنيّ على دراسته للعقائد .

والطفل اسأله : ما هو الله ؟

عنده تصوّر عن الله ، فما هو تصوّر الطفل عن الله ؟

أبوه ماذا علّمه ؟

الأب لا يُعَلِّمُ طفله أنّ الله مجرّد عن المادّة وفوق الزّمان والمكان ، بل يقول له ترى الطّعام في الثّلّاجة ، الله رزقنا هذا الطّعام ، فالطّفل يتصور الله بمقدار عقله .

ولو سألت الطّفل : ما هو الله ؟

يقول : هو الّذي أعطانا الطّعام الموجود في الثّلّاجة .

إنّ تصوّر كلّ شخص عن الإله يختلف عن تصوّر الشخص الآخر ، فقد تتصوّر جزءًا عن الإله أو الله ، فيكون عندك تصوّر جزئيّ عن الله

أو عن الإله ، والتّصوّر الكامل عن الله سبحانه لا يمكن ؛ لأنّ ذات الله غير معروفة ، وإنّما تتصوّر الله عن طريق صفاته ، والصّفات الّتي تتصوّرها عن الله صفات مختلفة ، مثلًا تتصوّر العلم ، ومن طريق العلم تقول هو عالم ، أو من طريق القدرة فتقول هو قادر ، أو هو حكيم ، أو هو سميع ، فتتصوّر الله من خلال صفاته .

إذن :

في النّقاشات في إثبات وجود الإله ونفي وجود الإله قبل البدء بالبحث وإثبات هذا الإله وجودًا أو نفيًا أوّل سؤال هو : ما هو تصوّرك عن هذا الإله ؟

النّتيجة :

عندما نريد أن ندخل في بحث أدلّة إثبات وجود الإله – أي التّصديق المنطقيّ – لا بدّ أن نذكر التّصوّر الذّهنيّ عن هذا الإله الّذي نريد إثبات وجوده ، وكذلك نذكر صفاته الّتي نريد إثباتها ، أي نذكر تصوّرًا كاملًا وتعريفًا كاملًا عن هذا الإله الّذي نريد أن نثبت وجوده ، وكذلك النّافين لوجود الإله لا بدّ أن يذكروا التّصوّر الكامل والتّعريف الكامل عن الإله الّذي يريدون نفي وجوده .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٥٨)

مقدّمات إثبات وجود الإله

هل يمكن تصوّر الإله ؟ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

خلاصة المحاضرة السّابقة :

كان الكلام في مقدّمات إثبات وجود الإله ، وقلنا في المقدّمة الأولى بأنه توجد أربعة أمور :

الأمر الأوّل : العمل المبنيّ على الإيمان القلبيّ بالإله .

الأمر الثّاني : الإيمان القلبيّ بالإله .

الأمر الثّالث : التّصديق بوجود الإله ، ونحتاج إلى إقامة الدّليل لإثبات وجود الإله ، ويكون عندنا الدّليل الّذي يثبت وجود الإله ، وعند المسلمين الإله هو الله عزّ وجلّ ، فلا بدّ أن يكون عندهم

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٤ ربيع الأوّل ١٤٤١ هـ ، الموافق ٢٠١٩/١١/٢٢ م .

الدّليل الّذي يثبت وجود الله تعالى .

الأمر الرّابع : تصوّر الإله ، ونحتاج إلى التّصوّر قبل التّصديق .

ونضيف على المحاضرة السّابقة بعض النّقاط ، وهي :

النّقطة الأولى : الفرق بين العلم والإيمان :

بحث العلم والإيمان سيأتي تفصيلًا فيما بعد إن شاء الله ، وهنا نأخذ مختصر الكلام لوجود علاقة بين هذا البحث وموضوعنا ، وموضوعنا هو "الإيمان بوجود الإله" .

يأتي السّؤال التّالي :

ما هو الفرق بين العلم والإيمان ؟ هل الإيمان هو العلم ؟ هل يوجد ترادف بينهما ؟ وهل نقول عن المؤمن هو العالم وعن العالم هو المؤمن ؟

الجواب :

الإيمان ليس هو العلم ، فيوجد فرق بينهما ، والدّليل على ذلك هو وقوع الانفكاك بينهما ، فيحصل العلم ولا يحصل الإيمان ، شخص يعلم بوجود الله ، ولكنّه لا يؤمن ، فيقع الانفكاك بين العلم والإيمان .

ويوجد بين العلم والإيمان فرقان أساسيّان :

الفرق الأوّل :

العلم ليس اختياريًّا بخلاف الإيمان ، فالإيمان أمر اختياريّ ، والإنسان باختياره يؤمن أو لا يؤمن ، فيختار بنفسه أن يكون مؤمنًا أو لا يكون مؤمنًا ، والعلم على قسمين : إمّا تصوّر وإمّا تصديق .

وبالنّسبة للعلم من حيث التّصوّر فإنّك بمجرّد ما تقع عيناك على شيء وكان البصر سليمًا فإنّه تحصل عندك صورة ذهنيّة عنه ، والعلم التّصوّري أمر غير اختياريّ ، فلا يمكن أن تفتح عينيك وتقول لا يحصل عندي تصوّرات ، وبمجرّد ما تفتح عينيك ترى الأشياء المحيطة بك وتحصل لها صور في ذهنك فتعلم بها ، وهذا أمر غير اختياريّ .

وأمّا بالنّسبة للعلم من حيث التّصديق فإنّه إذا قام عندك الدّليل على مطابقة الواقع أو عدم مطابقة الواقع فإنّ التّصديق يحدث عندك ، والعلم التّصديقيّ أمر غير اختياريّ ، فحينما نقول ٢+٢ ، فإنّه يحصل لك تصوّر عنه ، ويحصل عندك التّصديق بأنّه يساوي ٤ ، وتعلم أنّ هذا مطابق للواقع .

إذن :

العلم التّصوّريّ والعلم التّصديقيّ أمران غير اختياريّين ، فيكون العلم غير اختياريّ .

وأمّا الإيمان القلبيّ فهو أمر اختياريّ ، فالإنسان يختار أن يكون مؤمنًا أو يختار أن لا يكون مؤمنًا ، لذلك يقع الحساب على إيمان الشّخص ، ولو كان أمرًا غير اختياريّ فلا يمكن أن يحاسب الله الإنسان ، والجبريّون يقولون بأنّ الإنسان مجبر على إيمانه وأفعاله ، لذلك يأتي الإشكال بأنّه لماذا يحاسب الله الإنسان إذا كان مجبرًا على إيمانه وأفعاله ؟!

فما دام أنّه يوجد حساب للإنسان فلازمه أنّه يوجد اختيار عند

الإنسان ، والحساب يقع على الأمر الاختياريّ ، فما دام أنّ الله يحاسب الإنسان على أعماله فلازمه أنّ الإنسان مختار في أداء هذه الأعمال .

النّتيجة :

الفرق الأول بين العلم والإيمان هو أنّ العلم تصوّرًا وتصديقًا أمر غير اختياريّ ، والإيمان أمر اختياريّ .

الفرق الثّاني :

العلم بشيء لا يترتّب عليه عمل خارجيّ ، فإذا علمت بشيء هل يجب عليك أن تأتي بآثار هذا العلم ؟

الجواب :

لا ، فقد يعلم الإنسان بشيء ، ولكنّه لا يرتّب الأثر على علمه ، فهو يعلم ولا يعمل ، فيقوم بالعمل وكأنّه جاهل ، هو يعلم بوجوب الصّلاة ، ولكنّه لا يصلّي ، فعنده علم ، ولكنّه لا يرتّب الأثر على علمه ، فالعلم ليس بالضّرورة أن يترتّب عليه العمل الخارجيّ .

وأمّا الإيمان فإنّه يترتّب عليه الأثر الخارجيّ ، فإذا آمن الإنسان إيمانًا حقيقيًّا فإنّه يأتي بالعبادات بشكل طبيعيّ بلا تكلّف ولا تصنّع ، فهو يعتقد بالله تعالى ، والآثار ستترتّب على إيمانه واعتقاده .

النّتيجة :

الفرق الثّاني بين العلم والإيمان هو أنّ العلم بشيء لا يترتّب عليه العمل ، وأمّا الإيمان بشيء فالعمل يترتّب عليه .

النّقطة الثّانية : محور الكلام بين المؤمنين والملحدين :

محور الكلام بين المؤمنين والملحدين هو الإله العالم القادر الحكيم الرّحيم الخيّر .

يقول د. رمسيس عوض في كتابه "ملحدون محدَثون ومعاصِرون" : فمع انتشار الحروب ونزول الكوارث الطّبيعيّة ، ومع الانفجار السّكّانيّ وأعمال العنف بين الأجناس المختلفة لا يصدّق الإنسان الحديث وجود إله قادر على كلّ شيء ، وتسع رحمته كلّ شيء ، كما زعم اللّاهوتيّون في الماضي ، ولهذا اقتنع الحسّاسون من البشر أنّ الله (الإله) لا يعبأ بآلام البشر ، ثمّ تطوّر تفكيرهم إلى أن انتهوا إلى عدم وجود الله (الإله) [١] .

تكلّم المؤلّف عن الإله القادر الرّحيم ، وأضف إلى ذلك العالم الحكيم الخيّر .

وبعض الملحدين حاولوا أن يثبتوا عدم وجود الإله بالدّليل العقليّ ، فكما أنّ المؤمنين يقدّمون أدلّة عقليّة على وجود الإله ، كذلك بعض الملحدين عندهم محاولات لإقامة الدّليل العقليّ على عدم وجود الإله .

يقول مايكل مارتن Michael Martin في كتابه "الإلحاد تعليل فلسفيّ" : ليس هدف هذا الكتاب جعل الإلحاد اعتقادًا ذا شعبيّة . . إنّ الهدف هو مجرّد تقديم أسباب وجيهة للاعتقاد بالإلحاد ، إنّ

---

[١] ملحدون محدَثون ومعاصِرون ص٢٦ .

الإلحاد لديه دفاعات وتعليلات . . . لأثبت أنّ هدفي هو البرهنة على أنّ الإلحاد موقف عقلانيّ وأنّ الاعتقاد في الإله ليس كذلك . . . لقد قصرت جهودي على البرهنة على انعدام العقلانيّة في الاعتقاد بوجود الإله العبرانيّ المسيحيّ [الإسلاميّ كذلك [1]] ، وهو كائن مشخصن يتّسم بأنّه كلّيّ العلم والقدرة وخيّر بالكامل ، والّذي خلق السّماء والأرض ، لقد قمت بهذا لسبب واضح وهو أنّ الجدالات بين الملحدين والمؤمنين في مجتمعنا في معظمه يدور حول ما إذا كان يوجد كائن كهذا [2] .

الإلحاد لديه دفاعات وتعليلات : أي عنده أدلّة .

البرهنة على أنّ الإلحاد موقف عقلانيّ وأنّ الاعتقاد في الإله ليس كذلك : أي أنّ الإلحاد لديه أدلّة عقليّة على عدم وجود الإله ، وأنّ عدم وجود الإله يتناسب مع العقل ، وأنّ الاعتقاد بالإله ليس موقفًا عقلانيًّا ، أي لا يوجد عند المؤمنين أدلّة عقليّة على وجود الإله .

الجدالات بين الملحدين والمؤمنين في مجتمعنا في معظمه يدور حول ما إذا كان يوجد كائن كهذا : أي إله عالم قادر خيّر خالق السّماء والأرض .

ويقول مايكل مارتن أيضًا في كتابه تحت عنوان "خلاصة الكتاب" : في الفصول من ١ إلى ١٠ جادلت بأنّ الاعتقادَ في كائن

---

[1] يبدو أنّ هذه الإضافة من قِبَلِ المترجم .

[2] الإلحاد تعليل فلسفيّ ص٤٨ .

عالم بكلّ شيء قادر على كلّ شيء وكلّيّ الخيريّة والّذي يكون قد خلق الكون – غَيْرُ مُبَرَّرٍ [1] .

إذن :

النّقاش بين المؤمنين والملحدين عن هذا الإله الّذي يكون بهذه الصّفات : عالم قادر حكيم خيّر خالق السّماء والأرض .

إنّ العلم والقدرة والحكمة من الصّفاتّ الذّاتيّة لا من الصّفات الفعليّة ، ونفي صفة ذاتيّة لازمه نفي الذّات ، فوجود الشّرور لازمه نفي العلم والقدرة والحكمة الإلهيّة ، فمع وجود الشّرور في العالم يسألون : هل الإله يعلم بوجود الشّرور أو لا يعلم ؟

الجواب الأوّل هو أنّ الإله يعلم بوجود الشّرور فلماذا لا يقضي عليها ؟!

هو عالم بالشّرور ، ولكنّه غير قادر على القضاء عليها ، فيكون عالمًا عاجزًا .

والجواب الثّاني هو أنّه لا يعلم بوجود الشّرور فيكون جاهلًا .

إذن الجواب الأوّل أنّه عاجز ، والجواب الثّاني أنّه جاهل ، والعاجز والجاهل لا يكون إلهًا ، فكلا الجوابين يؤدّيان إلى عدم وجود الإله .

تقول نعم أو تقول لا فالنّتيجة واحدة وهي عدم وجود الإله .

ويسألون : هل هذا الإله قادر على القضاء على الشّرور أو غير

---

[1] الإلحاد تعليل فلسفيّ ص ٧٤٥ .

قادر ؟

الجواب الأوّل هو أنّه قادر على القضاء على الشّرور ، فلماذا لا يقضي عليها والمفروض أن قدرته تكون مُفَعَّلَة ؟!

إنّ عدم قضائه على الشّرور لازمه عجزه وعدم قدرته .

والجواب الثّاني هو أنّه غير قادر على القضاء على الشّرور فيكون عاجزًا .

وكلا الجوابين يؤدّيان إلى عجزه ، وهذا دليل على عدم وجوده ؛ لأنّ الإله لا يكون عاجزًا .

تقول نعم أو تقول لا فالنّتيجة واحدة وهي عدم وجود الإله .

ويسألون : هل هذا الإله حكيم أو غير حكيم ؟

الجواب الأوّل هو أنّه حكيم ، فالمفروض أن لا توجد شرور في العالم ، ومع وجود الشّرور في العالم فهو ليس حكيمًا .

والجواب الثّاني هو أنّه غير حكيم ، فالنتيجة أنّه ليس إلهًا .

وكلا الجوابين يؤدّيان إلى عدم حكمته ، والإله لا بدّ أن يكون حكيما ، وعدم حكمته دليل على عدم وجوده .

تقول نعم أو تقول لا فالنّتيجة واحدة وهي عدم وجود الإله .

والعلم والقدرة والحكمة من الصّفات الذّاتية للإله ، ونفي الصفات الذّاتيّة لازمه نفي الذّات ؛ لأنّ الذّات تنتفي مع نفي صفاتها الذّاتيّة ، فنفي العلم والقدرة والحكمة الإلهيّة لازمه نفي الذّات الإلهيّة ، فالإله لا بدّ أن يكون عالمًا وقادرًا وحكيمًا ، فإذا لم يكن عالمًا ولا قادرًا

ولا حكيمًا فهو ليس بإله ، أي إذا كان جاهلًا وعاجزًا وغير حكيم فهو ليس بإله ، فلا يوجد إله جاهل عاجز وغير حكيم ، ومع نفي العلم والقدرة والحكمة فلا يوجد إله للكون .

وإشكال الشّرور سيأتي تفصيلًا في محلّه المناسب مع الأجوبة في الرّدّ على هذا الإشكال إن شاء الله تعالى .

النّقطة الثّالثة :

قبل الدّخول في بحث إثبات وجود الإله أو نفي وجوده توجد أربعة أمور ، وهي :

الأمر الأوّل : تصوّر الإله .

الأمر الثّاني : التّصديق المنطقيّ بوجود الإله : وهو إقامة الدّليل على وجود الإله .

الأمر الثّالث : التّصديق القلبيّ : وهو الإيمان أو عدم الإيمان ، والإيمان فرع العلم ، ولا يقصد من العلم التّصوّر ، وإنّما قيام الدّليل على مضمون القضيّة ، وهو التّصديق ، فالعلم يقوم على التّصديق المنطقيّ ، فإذا قام الدّليل على وجود الإله فينشأ عنده التّصديق المنطقيّ ، والإيمان مبنيّ على التّصديق المنطقيّ بوجود الإله أي على العلم التّصديقيّ لا على العلم التّصوّري ، والإيمان أمر اختياريّ ، فقد يقوم الدّليل على وجود الإله ، ولكنّه لا يؤمن إيمانًا قلبيًّا .

الأمر الرّابع : العمل المبنيّ على الإيمان القلبيّ : وفي الإسلام يُقْصَدُ من العمل نوعان : العمل الظّاهريّ الخارجيّ ، والعمل الباطنيّ

القلبيّ ، ولا يُقْصَدُ العمل الخارجيّ فقط ، وحينما نقول العمل يتبادر إلى الذّهن العمل الخارجيّ فقط .

نقول يصلّي أي يأتي في الصّلاة بالأفعال والأقوال ، ولكن مع هذا العمل الخارجيّ لا بدّ أن يسير العمل الباطنيّ القلبيّ ، فهو حينما يصلّي لا بدّ أن يصلّي باطنيًّا وظاهريًّا ، والأصل هو العمل الباطنيّ الّذي ينشأ منه العمل الخارجيّ ، ولكنّ المسلمين يركّزون على العمل الخارجي فقط ، فإذا صلّي بحسب الظّاهر نقول ما شاء الله هو من المؤمنين المصلّين ، ولكنّه صلّى ولم يُقِمِ الصّلاة ، وإقامة الصّلاة تختلف عن أداء الصّلاة ، إقامة الصّلاة مرتبطة بالعمل الباطنيّ ، وأداء الصّلاة مرتبط بالعمل الظاهريّ .

الإنسان في أفعال وأقوال الصّلاة لا بدّ أن يكون صادقًا في فعله وكلامه ، والصّدق مرتبط بباطن الإنسان ، فحينما يقول : "**الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**" [1] – فلا بدّ أن يكون صادقًا في قوله ، وحينما يقول : "**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**" [2] – فلا بدّ أن يكون صادقا في كلامه ، فإذا وقع في مشكلة وهو لا يستعين بالله فمعناه أنّه غير صادق في قوله "**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**" ، فلا يكون صادقًا أثناء صلاته ، فلا يكون مقيمًا للصّلاة المطلوبة ، نعم هو أتى بالصّلاة الظاهريّة ، ولكنّه لم يَأْتِ بالصّلاة الباطنيّة ، وقبول الأعمال مرتبط بالباطن والظّاهر لا

---

[1] الفاتحة : ٢ .

[2] السّورة السابقة : ٥ .

بالظّاهر فقط .

وحينما يسجد في الصّلاة هل يكون صادقًا في سجوده وأنّه خاضع لله تمامًا ، فهو يسجد لله ظاهرًا ، ولكنّه في حياته لا يوجد عنده خضوع لله ولا يلتزم بأحكام الله ، فهذا عمل ظاهريّ ، ويحتاج الإنسان حين أداء أيّ عمل إلى أن يكون عنده في نفس الوقت عمل باطنيّ مع العمل الظّاهريّ ؛ لكي تكون أعماله مقبولة عند الله .

وكما يهتمّ الإسلام بسلوك الإنسان أمام النّاس ، كذلك يهتمّ بسلوك الإنسان في خلواته حينما لا يراه النّاس بحيث يكون مراقبًا لله في سرّه وعلانيته ، والقانون الإلهيّ يهتمّ بسلوك الإنسان الباطنيّ والظّاهريّ ، والسّلوك المخفيّ في الخلوات والسّلوك العلنيّ أمام النّاس .

وأمّا في القوانين الوضعيّة فإنّ العمل يُقْصَدُ منه السّلوك الخارجيّ فقط ، ولا تهتمّ القوانين الوضعيّة بقلب الإنسان وباطنه ، ولا تهتمّ بسلوكه في السّر والخفاء ، فالمهم أن لا يرتكب عملًا ظاهرًا يخالف به القانون ، وفي بيته يمكنه مخالفة القانون ، وإذا تهرّب من القانون فإنّ القانون لا يمكنه محاسبته .

مثلًا من يشرب الخمر عليه عقوبة ، وهو يشرب الخمر في بيته ، فالقانون الوضعيّ لا يحاسبه ؛ لأنّه شرب الخمر في بيته ، والقانون الوضعيّ يقول لا تشرب الخمر أمام النّاس خارج البيت ، فإذا شرب أمام النّاس خارج البيت فالقانون يحاسبه ، والقانون الوضعيّ لا يهتمّ بباطن الإنسان ، ولا يهتمّ بسلوك الإنسان في السّرّ والخفاء ، فالمهمّ

أن لا يرتكب عملًا يخالف القانون بحيث يمكن أن يعتقله مُنَفِّذو القانون ، فإذا استطاع أن يهرب ولا يراه منفِّذو القانون فالقانون لا يحاسبه ، فإذا استطاع أن يدخل واسطة شخص له نفوذ فالقانون يسقط ولا يحاسبه ولا تُطَبَّقُ العقوبة عليه .

وأمّا الإسلام فإنّه يهتمّ بباطن الإنسان وظاهره ، فيهتمّ بالسّرّ والعلن ، وما دام أنّ شرب الخمر محرّم ففي بيته يكون محرّمًا أيضًا حتّى لو لم يره أحد ، فلا يشرب الخمر لأنّه تحت الرّقابة الإلهيّة ، ولا يمكنه الهروب من القانون الإلهيّ لأنّه تحت المراقبة الدّائمة ، والرّقابة الإلهيّة مستمرّة طوال حياة الإنسان .

القانون الوضعيّ لا يضع كاميرات في بيوت النّاس ، نعم يضع كاميرات خارج البيوت ، ولكنّ الكاميرات الإلهيّة تسير مع الإنسان في كلّ خطوة يخطوها ، وفي كلّ فعل يقوم به ، وفي كلّ كلمة ينطق بها ، بل وفي كلّ فكرة تخطر في ذهنه .

ومخالفة الأحكام الإلهيّة تعني الإثم والذّنب ، وآثار الذّنب قد تكون دنيويّة وأخرويّة معًا ، وقد تكون آثار الذّنوب أخرويّة فقط ، فمخالفة الأحكام يخالف عليها القانون الإلهيّ في الدّنيا أو في الآخرة .

مثلًا إذا قطع الرّحم يكون قد ارتكب ذنبًا ، وفي الآخرة له حساب على قطع رحمه ، وقطع الرّحم له آثار دنيويّة كما أن له آثارًا أخرويّة ، فمن يقطع الرّحم فإنّ رزقه يقلّ وعمره يقصر ، وإذا وصل الرّحم يزيد رزقه ويزداد عمره ، فتوجد آثار دنيويّة مترتّبة على بعض الذّنوب ،

وهـي الآثار التّكوينيّـة الدّنيويّـة المترتّبـة علـى الأعمـال الّـتي يقـوم بهـا الإنسان أو الأقوال الّتي ينطق بها ، وهناك آثار تكوينيّة أخرويّة مترتّبة على الأفعال والأقوال بل وحتّى الأفكار .

آيات صلة الرّحم وقطعه :

نذكر بعض الآيات القرآنيّة التي تبيّن أهمّيّة صلة الأرحام ، ونرى أنّ القرآن الكريم يحتوي على كثير من المبادئ الإنسانيّة العامّة ، وهي مهمّة لجميع النّاس لا لخصوص المسلمين فقط .

"وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمِا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا" [(١)] .

". . . واتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" [(٢)] .

"فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ" [(٣)] .

"وَءَاتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ . . ." [(٤)] .

[(١)] الإسراء : ٢٣-٢٤ .

[(٢)] النّساء : ١ .

[(٣)] محمّد : ٢٢ .

[(٤)] الإسراء : ٢٦ .

"والَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ" [١] .

روايات صلة الرّحم وقطعه :

نذكر الرّوايات التّالية من كنوز النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السّلام عن آثار صلة الأرحام وقطعها .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "ثلاثة لا يدخلون الجنّة : مُدْمِنُ خَمْرٍ ، وَمُدْمِنُ سِحْرٍ ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ" [٢] .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "أخبرني جبرئيل عليه السّلام أنّ ريح الجنّة توجد من مسيرة ألف عام ، ما يجدها عاقّ ولا قاطع رحم . . ." [٣] .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "من أعظم النّاس أجرًا من سَعَى في حاجة أهله ، ومن ضَيَّعَ أهله وقطع رحمه حرمه الله تعالى حسن الجزاء يوم يجزي المحسنين وَضَيَّعَهُ ، ومن يُضَيِّعُهُ الله تعالى في الآخرة فهو يَرِدُ مع الهالكين . . . [٤] .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "قطيعة الرّحم تحجب الدّعاء" [٥] .

---

[١] الرّعد : ٢١ .

[٢] بحار الأنوار ج٧١ ص٩٠ .

[٣] المصدر السّابق ج٦٩ ص١٩١ ح٥ . عاقّ : أي عاقّ الوالدين .

[٤] ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للشّيخ الصّدوق ص٢٨٩ .

[٥] مستدرك الوسائل الشيخ النوري ج١٥ ص١٨٥ ح١٤.

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : ". . . وصلة الرّحم تزيد في العمر وتنفي الفقر . . ." [١] .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "من سَرَّهُ أن يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ له في أَجَلِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" [٢] .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : في كتاب عليّ عليه السّلام : "ثَلاثُ خِصَالٍ لا يموت صاحبهنّ أبدًا حتّى يَرَى وَبَالَهُنَّ : البغي ، وقطيعة الرّحم ، واليمين الكاذبة يبادر الله بها" [٣] .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : "صلة الأرحام تُزَكِّي الأعمال ، وَتُنَمِّي الأموال ، وَتَدْفَعُ البَلْوَى ، وَتُيَسِّرُ الحساب ، وَتُنْسِئُ في الأَجَلِ" [٤] .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "إنّ الرّحم معلّقة بالعرش ينادي يوم القيامة : اللّهم صِلْ مَنْ وَصَلَنِي ، وَاقْطَعْ مَنْ قَطَعَنِي . . . [٥] .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "الذّنوب الّتي تُعَجِّلُ الفَنَاءَ قطيعة الرّحم" [٦] .

---

[١] بحار الأنوار ج٧١ ص٨٨ ح٢ .

[٢] المصدر السّابق ج٧١ ص٨٩ ح٥ . يُنْسَأُ : يُزادُ .

[٣] ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ص٢٢٠ . الوبال : سوء العاقبة .

[٤] بحار الأنوار ج٧١ ص١١١ ح٧١ . تُنْسِئُ : تَزِيدُ .

[٥] المصدر السّابق ج٧ ص١٢١ .

[٦] المصدر السّابق ج٧١ ص٩٤ ح٢٣.

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "صِلْ رحمك ولو بشربة من ماء ، وأفضل ما يوصل به الرّحم كفّ الأذى عنها" [١] .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "إنّ الرّجل يصل رحمه وما بَقِيَ من عمره إلّا ثلاث سنين ، فيزيد الله تبارك وتعالى في عمره ثلاثين سنة ، إنّ الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ، وإنّ الرّجل ليقطع رحمه وقد بَقِيَ من عمره ثلاثون سنة ، فيجعلها الله ثلاث سنين ، إنّ الله يفعل ما يشاء" [٢] .

إذن :

مخالفة القانون الإلهيّ والحكم الإلهيّ له آثار دنيويّة وآثار أخرويّة ، وأمّا القانون الوضعيّ فيتكفّل بالعقاب الدّنيويّ فقط ، ولا شأن له بالآخرة ، من يخالف القانون الوضعيّ يعاقب في الدّنيا ، وأمّا ما يحدث بعد الموت فالقانون الوضعيّ لا يتعرّض له ، وتوجد فروق بين القانون الإلهيّ والقانون االوضعيّ ، فالقانون الإلهيّ يهتمّ بالعمل الباطنيّ والعمل الظاهريّ ، ويهتمّ بالعمل السّرّي والعمل العلنيّ ، وأمّا القانون الوضعيّ فيهتمّ بالعمل الظّاهريّ العلنيّ فقط .

تابع مقدّمات إثبات وجود الإله :

أخذنا في المحاضرة السّابقة المقدّمة الأولى ، وهي الكلام عن الأمور الأربعة : العمل والإيمان والتّصديق والتّصوّر .

---

[١] بحار الأنوار ج٧١ ص٨٨ ح١ .

[٢] قرب الإسناد للحِمْيَرِي ص٣٥٥ ح١٢٧١ .

نأتي الآن إلى المقدّمة الثّانية .

المقدّمة الثّانية : تصوّر الإله :

قلنا بأنّه لا بدّ أوّلًا أن يوجد عندك تصوّر عن الشّيء ، وبعد ذلك يتحقّق التّصديق المنطقيّ ، ثمّ يحصل الإيمان القلبيّ ، ثمّ يترتّب العمل المبنيّ على الإيمان القلبيّ .

نأتي الآن إلى تصوّر الإله ، ونسأل السّؤال التّالي :

هل يمكن للإنسان أن يتصوّر الإله أو لا يمكن ؟ ولماذا نحتاج إلى أن نتصوّر الإله ؟

وعند المسلمين :

هل يمكن للمسلم أن يتصوّر الله أو لا يمكن ؟

قد يقال بأنّ الإله مطلق ، والإنسان محدود ، ويستحيل للمحدود أن يتصوّر المطلق ، وإذا كان تصوّر الإله مستحيلًا فلا ننتقل إلى التّصديق المنطقيّ ؛ لأنّ التّصديق المنطقيّ مترتّب على التّصوّر ، وبالتّالي لا ننتقل إلى الإيمان القلبيّ ولا إلى العمل .

وقبل الجواب عن هذا السّؤال نذكر تمهيدًا ، وهذا التّمهيد يعرفه من درس علم المنطق ، ونبسّط الموضوع هنا ، وبعد ذلك ندخل في الجواب عن السّؤال السّابق .

تمهيد :

نبدأ بالسّؤال التّالي :

هل يوجد واقع خارجيّ أو أنّ ما نراه مجرّد أوهام وخيالات ؟

الجواب :

يوجد واقع خارجيّ ، وكلّ ما هو حولك ليس عبارة عن أوهام وخيالات ، ولا توجد عندك صور ذهنيّة بدون واقع خارجيّ ، والصّور الذّهنيّة عبارة عن انعكاس للواقع الموجود في الخارج .

ونأتي إلى السّؤال الثّاني :

حينما تتعامل مع الموجودات حولك من الواقع الخارجيّ هل تعلم بها بأنفسها أو عن طريق تصوّرك الذّهنيّ عنها ؟ فهل هذا الشّيء الخارجيّ يدخل إلى ذهنك أو توجد صورة عنه في ذهنك ؟

الجواب :

تعامل الإنسان مع الأشياء حوله يكون بواسطة الصّور الذّهنيّة ، والموجود في الواقع الخارجيّ لا يدخل إلى ذهنك ، وإنّما تحدث لك صورة ذهنيّة عن هذا الشّيء الخارجيّ .

والدّليل على ذلك أنّك ترى النّار ، ولكن ذهنك لا يحترق ، ولو كانت النّار تنتقل إلى الذّهن لاحترق الذّهن ، فالنّار الخارجيّة يحدث لها صورة في ذهن الإنسان ، فأنت ترى الشّيء فتحدث لك صورة ذهنيّة عنه فتعلم بوجوده .

ونرى بأنّ الإنسان يمكنه التّمييز بين الأشياء ، مثلًا تسمّي هذا الشّيء نارًا ؛ لأنّه توجد عندك صورة ذهنيّة عن النّار ، وحينما ترى شيئًا جديدًا لا تعرف ما هو ، تقول لا أعرف هذا الشّيء ؛ لأنّه لا توجد عندك صورة ذهنيّة مسبقة عن هذا الشّيء .

مثلًا شخص يرى حيوانًا جديدًا لم يره من قبل ، فيرجع إلى ذهنه ويبحث عن صورة مخزّنة لهذا الشّيء الجديد ، فلا يرى صورة في ذهنه لهذا الحيوان ، فيسأل : ما هو هذا الحيوان ؟ ما اسمه ؟ وهو من أيّ الأنواع ؟

ويسأل عنه بسبب عدم وجود صورة ذهنيّة مسبقة عنه ، وهذا بالنّسبة للبصر ، أو تشمّ رائحة الشّيء ، فهذه الرّائحة لا تدخل إلى الذّهن ، وإنّما تحصل صورة في ذهنك عنها فتعلم برائحته ، ونرى بأنّ الإنسان يمكنه التّمييز بين الرّوائح المختلفة .

وكذلك عن طريق اللّمس ، فالإنسان يلمس سطح الشّيء فيقول إنّ هذا خشن ، وهذا ناعم ، وهذا ليّن ، استطاع أن يميّز بين الخشن واللّيّن ؛ لأنّه توجد صورة ذهنيّة مسبقة عن الخشن ، وصورة ذهنيّة مسبقة عن اللّيّن ، وإذا لمس شيئًا جديدًا لأوّل مرّة ولا توجد صورة ذهنيّة مسبقة عنه ، فيسأل : ما هذا الملمس ؟

وكذلك عن أيّ طريق آخر من الحواسّ .

ولولا وجود الصّور الذّهنيّة لما حصل عندك علم بالموجودات الخارجيّة ، كالأعمى الّذي لا يرى ، فإنّه لا تحصل له صور ذهنيّة عن الموجودات الخارجيّة عن طريق البصر ، فهو لا يرى الموجودات الخارجيّة فلا تحصل عنده الصّور عنها ، أو الأصمّ الّذي لا تحدث عنده صور ذهنيّة عن أصوات الموجودات الخارجيّة عن طريق الأذن .

ويقال : "مَنْ فَقَدَ حِسًّا فَقَدَ عِلْمًا" ، فمن يفقد حِسًّا من الحواسّ

فالعلم عن طريق هذا الحسّ يكون مفقودًا ، ولا تحصل عنده صور ذهنيّة بواسطة هذا الحسّ .

إذن :

تعامل الإنسان مع الأشياء في الواقع الخارجيّ يكون بواسطة الصّور الذّهنيّة لهذه الأشياء .

والسّؤال الثّالث هو :

حينما تحكم على الشّيء بحكم فهل تحكم عليه مباشرةً أو تحكم أوّلًا على صورته في ذهنك ثمّ بواسطة الصّورة الذهنيّة تنتقل إلى الموجود الخارجيّ ؟

الجواب :

بعد أن تحدث صورة ذهنيّة للشّيء الخارجيّ تحكم على هذا الشّيء بواسطة الصّورة الذّهنيّة ، فحكمك أوّلًا يكون على الصّورة الذّهنيّة ؛ لأنّ اتّصالك بالأشياء في الواقع الخارجيّ يكون عن طريق صورها في الذّهن ، ولولا وجود الصّور الذّهنيّة لما استطعنا أن نعلم بالموجودات الخارجيّة ، وبالتّالي لا يمكننا أن نحكم على هذه الموجودات الخارجيّة ، وبعد أن نحكم على الصّورة الذّهنيّة للشّيء الخارجيّ ننتقل بهذا الحكم إلى هذا الشّيء الخارجيّ .

إذن :

هناك واقع خارجيّ حقيقي ، وليس عبارة عن أوهام وخيالات ، والموجودات في الواقع الخارجيّ نعلم بها بواسطة الصّور الذّهنيّة ،

فنحكم على الصّورة الذّهنيّة ، ثمّ ننتقل بهذا الحكم إلى الموجود الخارجيّ .

حيثيّات النّظر إلى الصّورة الذّهنيّة :

ننظر إلى الصّور الذّهنيّة من حيثيّتين أو من جهتين ، وهما :

الحيثيّة الأولى :

النّظر إلى نفس الصّورة الذّهنيّة ، ونحكم بحكم على نفس الصّورة الذّهنيّة بما هي صورة ذهنيّة لا بما هي عاكسة للخارج ، فنظرنا يكون إلى نفس الصّورة الذّهنيّة .

الحيثيّة الثّانية :

النّظر إلى الصّورة الذّهنيّة بما تعكسه عن الخارج ، فنحكم على الخارج بواسطة الصّورة الذّهنيّة ، فالحكم يكون على الشّيء الخارجيّ ، والصّورة الذّهنيّة تكون واسطةً وجسرًا للانتقال إلى الشّيء الخارجيّ .

مثال :

إذا رأيت نارًا خارجيّةً فإنّه تحدث لك صورة في ذهنك عن هذه النّار الخارجيّة ، فيوجد شيئان : النّار الخارجيّة ، والصّورة الذّهنيّة للنّار الخارجيّة ، وأنت تحكم بحكمين : تارةً تحكم بأنّ النّار حارّة ، وتارةً أخرى تحكم بأنّ النّار ليست حارة .

هل يوجد خطأ في أحد هذين الحكمين أو أنّ هذين الحكمين صحيحان ؟

نقول بأنّ الحكمين صحيحان ، فحينما نحكم بأنّ النّار حارّة فنحن نتحدّث عن النّار الخارجيّة ، فالنّار الخارجيّة حارّة ، ونحكم على النّار الخارجيّة بواسطة حكمنا على الصّورة الذّهنيّة بما هي عاكسة للخارج ، واتّصالنا بالخارج يكون عن طريق الصّور الذّهنيّة ، ولكن ننظر إلى هذه الصّورة الذّهنيّة من حيث عكسها للواقع الخارجيّ ، فنقول إنّ النّار حارّة ، وكلامنا يكون عن النّار الخارجيّة ، فالنّار الخارجيّة حارّة ، وحينما نقول بأنّ النّار ليست حارّة فقصدنا أنّ الصّورة الذّهنيّة للنّار ليست حارّة ، فالنّار الذّهنيّة ليست حارّة .

لذلك فالصّور الذّهنيّة يمكن النّظر إليها من حيثيّتين : من حيثيّة نفس الصّورة الذّهنيّة ، فنعطي أحكامًا لنفس الصّورة الذّهنيّة ، ومن حيثيّة عكسها للشّيء الخارجيّ ، فنعطي أحكامًا للصّورة الذّهنيّة بما هي عاكسة للشّيء الخارجيّ ، فيكون الحكم على الشّيء الخارجيّ بواسطة الصّورة الذّهنيّة ، وحينما نحكم بحكم على شيء فلا بدّ أن نحدّد الحيثيّة والجهة الّتي نريدها ، وبعد ذلك نحكم بالحكم المناسب لهذه الحيثيّة .

إذن :

اتّصالنا بالواقع الخارجيّ يكون عن طريق الصّور الذّهنيّة ، والصّورة الذّهنيّة ينظر إليها من حيثيّتين : بما هي صورة ذهنيّة ، وبما هي عاكسة للشّيء الخارجيّ .

الفرق بين التّصوّر التّفصيليّ والتّصوّر الإجماليّ :

توجد نار أمامك ، وتحدث لها صورة في ذهنك ، وحينما تتصوّر هذه النّار فأنت تصوّرت نفس وذات النّار ، والتّصوّر هنا تصوّر تفصيليّ عن ذات الشّيء ، والحكم يكون على ذات الشّيء ، وتصوّر ذات الشّيء تصوّر تفصيليّ ، هذا بالنّسبة للإنسان المبصر .

نأتي إلى الإنسان الأعمى ، هو لا يرى النّار ، ولكنّه يقرّب يده إلى النّار فيحسّ بالحرارة ، ويتصوّر الحرارة ، ثمّ يتصوّر وجود مصدر للحرارة ، وهي صورة ذهنيّة عن مصدر الحرارة مع أنّه لم يَرَ النّار أو أيّ مصدر آخر ، فعند الأعمى صورة عن صفة من صفات هذا المصدر أو أثر من آثاره ، فهو مصدر ينبعث منه الحرارة ، وهنا لم يتصوّر الشيء مباشرةً ، فلا يوجد عنده تصوّر عن ذات المصدر ، وإنّما تصوّره بصفة من صفات المصدر أو أثر من آثاره ، والتّصوّر الذّهنيّ عن الشّيء هنا لا يكون تصوّرًا تفصيليًّا ؛ لأنّه لم يتصوّر ذات الشّيء ، وإنّما هو تصوّر إجماليّ للشّيء ؛ لأنّه تصوّر لصفة الشّيء أو أثره ، وإذا أراد الأعمى أن يحكم على الشّيء فإنّه يحكم عليه بواسطة صفته أو أثره ، فيقول إنّ هذا الشّيء حارّ ، فلا يعرف الأعمى ذات الشّيء ، وإنّما يعرف صفة الشّيء أو أثره .

إذن :

إذا أراد الإنسان أن يحكم بحكم على شيء فلا بدّ أن يوجد عنده تصوّر عن ذات الشّيء ، وهذا هو التّصوّر التّفصيليّ للشّيء ، أو

يوجد عنده تصوّر لصفة من صفات الشّيء أو أثر من آثاره ، وهذا هو التّصوّر الإجماليّ للشّيء ، فيتصوّر الشّيء بذاته أو بصفاته وآثاره ، فيتصوّر الشّيء تصوّرًا تفصيليًّا أو تصوّرًا إجماليًّا ، وإذا تصوّر الشّيء تفصيلًا أو إجمالًا فيمكنه إصدار الحكم على هذا الشّيء ، فيتصوّر ذات الشّيء ويحكم على ذات الشّيء ، أو يتصوّر صفة الشّيء أو أثره ويحكم على الشّيء بواسطة الصّفة والأثر .

نسأل السّؤال التّالي :

إذا لم يتصوّر الإنسان ذات الشّيء ولا صفة من صفات الشّيء أو أثرًا من آثاره فهل يمكنه إصدار حكم على هذا الشّيء ؟

الجواب :

إذا لم يتصوّر الإنسان الشّيء لا تصوّرًا تفصيليًّا ولا تصوّرًا إجماليًّا فلا يمكنه الحكم على الشّيء بأيّ حكم ؛ لأنّ هذا الشّيء يكون مجهولًا عنده ، ولا توجد له أيّ صورة في ذهنه عنه لا تفصيلًا ولا إجمالًا ، فيكون في الذّهن صفحة بيضاء ، والشّيء المجهول تمامًا لا يمكن إصدار أيّ حكم عليه .

الخلاصة :

النّقطة الأولى : يوجد واقع خارجيّ .

النّقطة الثّانية : توجد عندنا تصوّرات ذهنيّة عن الموجودات الخارجيّة ، ونتعامل مع الأشياء الخارجيّة عن طريق الصّور الذّهنيّة .

النّقطة الثّالثة : ننظر إلى الصّورة الذّهنيّة من حيث هي هي أو من

حيث هي عاكسة للخارج .

النّقطة الرّابعة : يوجد عندنا تصوّر تفصيليّ وهو تصوّر ذات الشّيء ، وتصوّر إجماليّ وهو تصوّر صفة الشّيء أو أثر الشّيء .

النّقطة الخامسة : الشّيء المجهول تمامًا لا يمكنه إصدار أيّ حكم عليه .

ونأتي إلى السّؤال الّذي طرحناه في أوّل المحاضرة :

هل يمكن تصوّر الإله أو لا يمكن ؟

وبعد التّمهيد الّذي ذكرناه نأتي إلى الجواب في المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى .

فهل يمكن تصوّر الإله تصوّرًا تفصيليًّا أو تصوّرًا إجماليًّا أو يستحيل تصوّر الإله ؟

وإذا كان الإله مجهولًا تمامًا فلا يمكن إصدار أيّ حكم عليه ، كأن نقول : "الإله موجود" ، لأنّه حكم بالوجود على هذا الإله المجهول تمامًا .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٥٩)

مقدّمات إثبات وجود الإله

كيف نتصوّر الإله ؟ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ذكرنا في المحاضرة السّابقة تمهيدًا ، وبعض المستمعين استصعبوا التّمهيد السّابق ، وقالوا بأنّ الموضوع كان معقّدًا ، مع أنّنا نتكلّم عن أشياء موجودة عند كلّ إنسان .

وهنا أضيف إلى التّمهيد السّابق بعض الكلام عن الصّورة الذّهنيّة لكي يتّضح المطلب .

الصّور الذّهنيّة موجودة عند جميع النّاس ، لا أنّه بحث منطقيّ بحت ، في ذهنك صور ذهنيّة ، أنت تراني فتحدث عندك صورة في ذهنك ، وهذا أمر موجود عند جميع النّاس ، فنحن لا نتكلّم عن

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢ ربيع الآخر ١٤٤١ هـ ، الموافق ٢٠١٩/١١/٢٩ م .

موضوع علميّ بحت ، أنت لم تفكر بأنّه توجد عندك صور ذهنيّة ، البعض يرى ، ولكنّه لا يحلّل ما يرى ، فعندك صورة ذهنيّة ، وهذه الصّورة الذّهنيّة تارةً تكون عاكسةً للخارج وتتطابق مع الخارج ١٠٠% ، فحينما تراني فالصّورة الموجودة في ذهنك هي صورتي ، وهذه الصّورة تكون مطابقةً لي تمامًا ، فهي عاكسة لي تمامًا ، وهي صورة ذهنيّة عاكسة للخارج ومتطابقة مع الخارج تمامًا .

مثلًا إذا كان زيد واقفًا أمامك ، فتحدث لزيد صورة في ذهنك ، وهذه الصّورة تعكس الواقع تمامًا ، وتطابقه تمامًا .

إنّ الصّورة الذّهنيّة تارةً تكون عاكسةً للخارج وتطابق الخارج تمامًا ، وتارةً تكون عاكسةً للخارج ، ولكن تتطابق مع الخارج بنسبة معيّنة ، كنسبة ٩٠% أو ١٠% أو ١% .

مثلًا تسمع جملة : "زيد طالب مجتهد" ، فتحدث في ذهنك صورة عن هذه الجملة ، وتسأل الطّلبة : هل زيد طالب مجتهد فعلا ؟

وتصل إلى وجود شخص اسمه "زيد" وهو طالب أيضًا ، ولكنّه ليس مجتهدًا ، فصار عندك تصوّر عن نسبة معيّنة من هذه الجملة ، صورة عن زيد وهو طالب ، ولكنّه ليس مجتهدا ، فطابقت الخارج بنسبة ٦٦% تقريبًا .

وتسمع عن ملك من الملوك ، وأنّه يمتاز ببعض الصّفات ، هو كريم ، وعادل ، ولكن حينما تسأل عنه وترى الواقع ، تعرف أنّ فيه بعض الصّفات الّتي قيلت عنه ، وهناك بعض الصفات غير الموجودة

فيه ، ولنفرض أنّ ١٠% من هذه الصّفات تتطابق مع الخارج ، فحدثت عندك صورة عاكسة للخارج ، ولكنّها متطابقة مع الخارج بنسبة ١٠% ، والآن الحكّام يعطونهم كثيرًا من الأوصاف ، ولكن كم من هذه الصّفات تكون متطابقةً مع الواقع ؟

إذن في المرّة الأولى عندنا صورة ذهنيّة عاكسة للخارج ومتطابقة مع الخارج تمامًا ، وفي المرّة الثّانية عندنا صورة ذهنيّة عاكسة للخارج ، ولكنّها غير متطابقة مع الخارج تمامًا ، وإنّما متطابقة بنسبة معيّنة من التّطابق .

ومرّة ثالثة هذه الصّورة الذّهنيّة ليس لها واقع خارجيّ ، وإنّما هي صورة ذهنية فقط بدون واقع خارجيّ .

مثلًا حينما نقول اجتماع النّقيضين تحدث في ذهنك صورة عن اجتماع النّقيضين ، ولكن في الواقع الخارجيّ لا يوجد أيّ اجتماع للنّقيضين ، فتحدث عندك صورة ذهنيّة ولا وجود خارجيّ لهذه الصّورة الذّهنيّة .

ومثالنا العرفيّ هو : زيد طالب مجتهد ، وتكتشف بعد ذلك أنّ زيدًا ليس طالبًا ولا مجتهدًا ، فهذه الصّورة الذّهنيّة ليس لها واقع خارجيّ ، لا هو طالب ولا مجتهد .

إذن :

تارةً الصّورة الذّهنيّة عاكسة للخارج ومطابقة للخارج ١٠٠% ، وتارةً ثانيةً هي عاكسة للخارج ومطابقة للخارج بنسبة معيّنة ، وتارةً

ثالثةً هي ليست عاكسة للخارج وليس لها واقع خارجيّ فلا تكون مطابقةً للخارج أصلًا .

طبعا في بحث الإنسان عن الحقيقة يريد أن تكون الصّورة الذّهنيّة متطابقة مع الواقع الخارجيّ ١٠٠% ؛ لكي يصل إلى الحقيقة المطلقة الكاملة ، ولكنّ الإنسان لا يمكن أن يصل إلى هذه الحقيقة تمامًا ، وإنّما يصل بنسبة معيّنة .

أنت تعرف نفسك ، فصورتك الذّهنيّة عن نفسك متطابقة مع الواقع ١٠٠% ، وأمّا الصّور الذّهنيّة عن الأشخاص فلا تكون متطابقة مع الخارج تمامًا ؛ لأنّك لا تعرف الآخرين ١٠٠% ، ولا توجد صورة ذهنيّة متطابقة مع الواقع الخارجيّ ١٠٠% ، وحتّى أنّ بعض الأشخاص يقول : أنا لا أعرف نفسي ، وحتّى معرفته لنفسه لا تكون متطابقةً ١٠٠% ، فلا يعرف نفسه تمام المعرفة ، فالبعض لا يستطيع أن يعرف نفسه .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ" [١] .

من عرف نفسه بأنّها فقيرة محتاجة فقد عرف بأنّ له رَبًّا غنيًّا غير محتاج ، وهذا الرّبّ الغنيّ يمدّه بحاجاته ، ومن عرف نفسه بأنّها تغفل فقد عرف بأنّ له رَبًّا لا يغفل ، ومن عرف نفسه بأنّها محدودة فقد عرف أنّ له رَبًّا مطلقًا غير محدود ، ومن عرف نفسه بأنّها ضعيفة فقد عرف أنّ له رَبًّا قويًّا ، ومن عرف نفسه بأنّها جاهلة فقد عرف أنّ له

---

[١] بحار الأنوار ج٢ ص٣٢ ح٢٢ .

رَبًّا عَالِمًا ، ومن عرف نفسه بأنّها عاجزة فقد عرف أنّ له رَبًّا قادرًا ، ومن عرف نفسه بأنّها مخلوقة فقد عرف أنّ له رَبًّا خالقًا .

ونذكر في مواضيعنا الأمثلة العرفيّة ؛ لأنّها أقرب إلى ذهن السّامعين والقارئين ، فالأمثلة العرفيّة تقرّب الصّورة إلى الذّهن أكثر .

ومثالنا العرفيّ هو : طالب في الرّابع الثّانويّ تسأله : بعد الانتهاء من الثّانويّة ما هو مجال التّخصّص الّذي ستختاره ؟ ما هي رغبتك ؟

يقول لك : لا أدري .

جواب "لا أدري" معناه أنّه لا يعرف نفسه ، فالإنسان عنده رغبات دائمًا ، وهو لا يعرف ما هي رغبته ، ومعنى ذلك أنّه لا يعرف نفسه ، والمفروض أنّ الإنسان يعرف نفسه ويعرف رغباتها .

يقول القرآن الكريم :

"**بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ** . . ." [1] .

هو يبصر نفسه ، فكيف يقول : لا أعرف ؟

يقول ذلك لأنّه لا يعرف نفسه ورغباتها .

إذن :

الإنسان يبحث دائمًا عن الحقائق ، وفطرة الإنسان تدفعه إلى البحث عن الحقيقة ، وفي الواقع الخارجيّ توجد حقيقة مطلقة ، وهو يريد أن يصل إلى هذه الحقيقة المطلقة ، ولكن قد لا يصل إليها ، وإنّما يصل بنسبة من النّسب .

---

[1] القيامة : ١٤ .

وفي موضوعنا يوجد عندك تصوّر عن الإله أو عن الله ، ولكن كم النّسبة الّتي وصلت إليها ؟

ولا يمكنك الوصول إلى معرفة الله ١٠٠% ؛ لأنّ ذات الله غير معروفة ، نعم يمكنك أن تعرف صفات الله وآثاره ، ومن خلال الصّفات والآثار تعرف الله تعالى .

وتصوّر الصّفات يتفاوت بين النّاس ، فالشّخص العاديّ حينما تقول له : الله كريم – يتصوّر في ذهنه شيء مثل الإنسان الكريم ، مرّة يعطي ومرّة لا يعطي ، ولا يستطيع أن يتصوّر الكرم المطلق وأنّ الله يعطي دائمًا ، وأنّه لا يمنع إلّا لمصالح ، وقد يكون المنع بسبب الإنسان ، فهو الّذي منع من وصول هذا الفيض الإلهيّ إليه ، فمن يقطع الرّحم يقلّ رزقه ويقصر عمره ، هو صار سببًا في منع الفيض ، وإلّا فإنّ الله رزّاق دائمًا ، ومنع الرّزق يكون من الإنسان لا من الله .

وبعد هذا التّمهيد نأتي إلى الجواب عن السّؤال السّابق ، وهو :

هل يمكن تصوّر الإله أو الله أو لا يمكن ؟

وإذا كان يمكن تصوّره فكيف نتصوّر الإله أو الله سبحانه ؟

وحينما نقول : الإله أو الله – فإنّ كلّ شخص منّا عنده صورة ذهنيّة عن الإله أو الله ، وإذا لا توجد عندك صورة ذهنيّة فلا يمكنك الكلام عن الإله أو عن الله عزّ وجلّ .

وإذا قلنا بأنّ تصوّر الإله مستحيل غير ممكن فينغلق الباب على أيّ بحث عن الإله ؛ لأنّه لا يمكن تصوّره ، ويكون مجهولًا تمامًا .

وإذا قلنا إنّ الإنسان إمكاناته محدودة والإله مطلق ، والمحدود يستحيل أن يتصوّر المطلق – فالباب يكون مغلقًا ، ولا يمكن البحث عن أيّ شيء يتعلّق بالإله ، فلا يمكن البحث عن وجود الإله وعدم وجوده ؛ لأنّ تصوّر الإله مستحيل ، ولا يوجد عندنا تصوّر عن الإله ، وإذا لا يوجد عندنا تصوّر عن الإله فالذّهن عبارة عن صفحة بيضاء ، ويكون الإله مجهولًا تمامًا ، ولا توجد في الذّهن صورة عن الإله لا تفصيلًا ولا إجمالًا ، فماذا نريد أن نثبت أو ننفي ؟

فإذا قلنا : الإله – فتقول : لا يوجد عندي أيّ تصوّر عن الإله ، وإذا أردنا أن نقول إنّ الإله موجود – فإنّ "الإله" هو الموضوع أو المبتدأ ، و"موجود" هو المحمول أو خبر المبتدأ ، فإذا لا يوجد عندك تصوّر عن الموضوع والمبتدأ فلا يمكن أن تجعل له محمولًا وتثبت له المحمول وتحمل عليه الخبر ، فلا يمكنك أن تخبر عنه بشيء .

وحينما نقول : الإله – يحدث عندك تصوّر ذهنيّ عن الإله ، لذلك تعرف ما أتحدّث عنه ، لذلك حينما نقول : الإله موجود – فإنّك تفهم ما نقول ، وإذا لم يحدث عندك تصوّر عن الإله فلا يمكنك أن تفهم قولي ، فالكلمات الّتي أنطق بها تحدث لها في أذهانكم صور ، وبعد ذلك تفهم كلامي ، ولا ينتقل الإنسان من الألفاظ إلى الفهم مباشرةً ، وإنّما ينتقل من الألفاظ إلى الصّور الذّهنيّة ، وينتقل من الصّور الذّهنيّة إلى الفهم ، ولا يوجد انتقال مباشر من الألفاظ إلى الفهم .

إنّ إثبات وجود الإله يتوقّف على تصوّرنا للإله ، فالتّصديق المنطقيّ بشيء ومطابقته مع الواقع الخارجيّ يتوقّف على تصوّر هذا الشّيء ، وإذا لم تتصوّر الإله فلا يمكنك أن تصدر أيّ حكم عليه ؛ لأنّه يكون مجهولًا لديك ، ولا يمكن إصدار أيّ حكم على شيء مجهول تمامًا .

وإذا أردت أن تقول بأنّ الإله موجود – فلا بدّ أن يكون عندك تصوّر ذهنيّ عن الإله ، وإذا كان الإله مجهولًا ١٠٠% فلا يمكن أن تثبت له أيّ صفة ، ولا يمكن أن تصدر عليه أيّ حكم .

فكيف نقول بأنّ الإله موجود ونحكم بوجود الإله إذا كان الإله مجهولًا عندنا جهلًا تامًّا بحيث لا يوجد له أيّ تصوّر ذهنيّ عنه ؟

وتقول بأنّ ذات الإله أو ذات الله لا يمكن معرفتها ، فلا يوجد عندي تصوّر عن ذات الإله ، وإذا قلنا : الإله – فتقول : تستحيل معرفة ذات الإله وكنهه وحقيقته ، ومعنى ذلك أنّه لا يوجد تصوّر ذهنيّ عن هذا الإله ، وإذا لا يوجد تصوّر عن الإله فلا يمكن إقامة الدّليل على وجود هذا الإله ، ونحن لا نعرف ذات الإله ، فذاته مجهولة لنا فكيف يمكن أن نصدر حكمًا على الإله المجهول ؟!

نسأل : هل جميع الحقائق المادّيّة وصلنا إلى معرفتها ؟

والجواب على ذلك هو أنّه ليس بالضّرورة أن يوجد دائمًا تصوّر عن نفس وذات الشّيء ؛ لكي نقيم دليلًا على وجود هذا الشّيء ، فكثير من الحقائق المادّيّة لا يمكن تصوّرها تصورًا كاملًا .

مثلًا الجاذبيّة ما هي حقيقتها ؟

لا نعرف ما هي حقيقة الجاذبيّة ، ولكن يمكن معرفتها من خلال صفاتها وآثارها ، فعرفنا صفة من صفاتها أو أثرًا من آثارها ، ونعرف أنّ الجسم يجذب الجسم الآخر ، فالأرض تجذب أجسامنا باتّجاهها ، فنعرف الجاذبيّة من خلال آثارها ، ولا نعرف حقيقتها وكنهها وذاتها ، فتكوّنت عندنا صورة ذهنيّة عن الجاذبية ، ولكن لا ذات الجاذبيّة وحقيقتها ، وإنّما بأثر من آثارها ، فتكوّنت عندنا صورة ذهنيّة بوجه من الوجوه ، وتعرّفنا عليها بجهة من الجهات ، فتكوّنت عندنا تصوّر ذهنيّ عن الجاذبيّة ، ونبدأ بإصدار حكم على الجاذبيّة مع عدم معرفتنا بحقيقتها وذاتها وكنهها .

وتقول بأنّ ذات الإله وحقيقته وكنهه لا يمكن معرفتها ، فلا يمكن أن نعطي تعريفًا كاملًا للإله ، ولا يمكن تصوّر الإله تصوّرًا كاملًا ، ولكن مع ذلك يمكن لنا أن نثبت وجوده ، فحتّى لو لم يمكن تعريف الإله تعريفًا كاملًا وتصوّره تصوّرًا كاملًا قبل التّصديق به وإثبات وجوده فإنّنا نرى هذا الكون فنسأل : من هو خالق الكون ؟ ومن هو مبدأ الكون ؟

إنّ كل ما يوجد في هذا الكون هو من آثار هذا الإله الخالق ، والخالقيّة صفة من صفات هذا الإله ، والكون أثر من آثار هذا الإله ، ووجود الأثر يدلّ على وجود المُؤَثِّر ، ولم نستطع أن نعرف ذات الخالق ، وإنّما عرفنا الخالق من خلال خلقه .

تقول : اعْطِنِي تعريفًا لهذا الإله ؟

نجيب : هو خالق الكون .

لم نُقَدِّمْ تعريفًا للذّات ، وإنّما عرّفناه من خلال الصّفات والآثار .

إذن :

التّصوّر التّفصيليّ عن الإله مستحيل ، ولكن يمكن لنا أن نتصوّر الإله تصوّرًا إجماليًّا بتصوّر بعض صفاته وآثاره وإن كان لا يمكن تصوّر ذاته وحقيقته وكنهه ، فيمكن تصوّر الإله بوجه من الوجوه عن طريق الصّفات والآثار .

وذكرنا الفرق بين التّصوّر التّفصيليّ والتّصوّر الإجماليّ ، فإذا عرفنا حقيقة الشّيء وذاته وكنهه فهذا تصوّر تفصيليّ ، وإذا عرفنا الشّيء بصفة أو أثر فهذا تصوّر إجمالي ، والتّصوّر التّفصيليّ يكون في مقابل التّصوّر الإجماليّ .

ونأتي إلى مثال عرفيّ :

أمامنا سائل ، فإذا عرفنا أنّ هذا السّائل ماء فهذا تصوّر تفصيليّ ؛ لأنّه حصل تصوّر لذات الماء وحقيقته ، وإذا عرفنا صفة من صفات هذا السّائل ، مثل السّائل الّذي لا لون له ولا طعم ولا رائحة ، وتصوّرت الماء من خلال صفاته – فهذا تصوّر إجماليّ ، ويمكن أن نتكلّم عن الماء الّذي عرفنا عدّة صفات له ، وهو السّائل الّذي لا لون ولا طعم ولا رائحة له ، فنقول إنّ السّائل الّذي يكون بهذه الصّفات موجود أمامي أو موجود في مكان آخر ، وتعرّفنا على هذا

السّائل من خلال صفاته ، أي تصوّرناه بوجه من الوجوه ، والتّصوّر هنا تصوّر إجماليّ .

إذن :

تارةً يكون عندنا تصوّر تفصيليّ عن الشّيء ونتكلّم عنه ، وتارةً أخرى يكون عندنا تصوّر إجماليّ عن الشّيء ونتحدّث عنه ، ويكفي أن يكون عندنا تصوّر إجمالي عن الشّيء لكي يمكن أن نبحث فيه ونتحدّث عنه .

وإذا كان عندنا تصوّر عن الإله ولو تصوّرًا إجماليًّا فإنّه يمكننا البحث عن إثبات وجود الإله المتصوَّر تصوّرًا إجماليًّا من خلال بعض صفاته ، ويمكننا معرفة هذه الصّفات من خلال آثار هذا الإله ، ومن آثاره هذا الكون البديع ، والكون البديع يدلّ على الإله البديع .

يقول القرآن الكريم :

"بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" [1] .

يقول الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السّلام في الصّحيفة السّجّاديّة في الدّعاء الأوّل :

الحمد لله الأوّل بلا أوّل كان قبله ، والآخِر بلا آخِر يكون بعده ، الّذي قَصُرَتْ عن رؤيته أبصار النّاظرين ، وَعَجَزَتْ عن نعته أوهام الواصفين ، ابْتَدَعَ بقدرته الخَلْقَ ابْتِدَاعًا ، وَاخْتَرَعَهُمْ على مشيّته

---

[1] البقرة : ١١٧ .

اخْتِرَاعًا ، ثمّ سلك بهم طريق إرادته ، وبعثهم في سبيل محبّته ، لا يملكون تأخيرًا عمّا قدّمهم إليه ، ولا يستطيعون تقدّمًا إلى ما أخّرهم عنه ، وجعل لكلّ روح منهم قوتًا معلومًا . . . .

البديع من أَبْدَعَ ، وأَبْدَعَ وابْتَدَعَ بمعنى أنّه خلقه بصورة ومثال لا سابق له ، فأتى بشيء جديد ، والابتداع نستعمله ونقول الإبداع أيضًا ، والإبداع هو الإتيان بشيء جديد .

ونقول بأنّ المجتهد لا بدّ أن يكون مُبْدِعًا ، أي لا بدّ أن يأتي بآراء جديدة لم تكن موجودة من السّابق ، فيأخذ المعلومات السّابقة ويعطيك معلومات جديدة ، والإبداع موجود أيضًا في العلوم الطّبيعيّة ، فعلماء الطّبيعة استفادوا من الإرث العلميّ الهائل السّابق ، وأعطونا معلومات جديدة ، من قوانين نيوتن إلى النّظريّة النّسبيّة لأينشتاين إلى فيزياء الكمّ ونظريّة الكوانتم ،استفادوا من المعلومات السّابقة لأجل استنتاج معلومات جديدة ، وحتّى في العلوم الدّينيّة نفس الشّيء ، لا بدّ أن نأخذ المعلومات السّابقة ونأتي بمعلومات جديدة ، ولا نكون مقلِّدين ونكرّر المعلومات السّابقة فقط .

طبعًا هناك معلومات ثابتة لا تتغيّر حتّى في العلوم الطبيعيّة ، فقانون السّببيّة في العلوم الطّبيعيّة قانون ثابت لا يتغيّر ، فلا يوجد شيء بلا سبب ، ووجود الشّيء بلا سبب أطلقنا عليه "الصّدفة المطلقة" ، والصّدفة المطلقة مستحيلة ، وكذلك في العلوم الدّينيّة توجد أمور ثابتة ، فتوحيد الله شيء ثابت لا يتغيّر ، ووجود النّبيّ صلّى الله

عليه وآله شيء ثابت ، ولكن يأتي البحث في صفات الله ، فنأتي إلى الأسماء الحسنى ، وكلّ عالم يطرح رأيه عن معاني الأسماء الحسنى ، ونأتي إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله ويبحث العلماء أنّه صلّى الله عليه وآله ينسى أو لا ينسى ، يشتبه أو لا يشتبه ، وتأتي بحوث أخرى في هذه المواضيع ، هل الأنبياء معصومون أو غير معصومين ؟

وتنفتح أبواب البحوث في مختلف المواضيع ، وهذه البحوث بحوث نظريّة ، والبحث النّظريّ يحتاج إلى أدلّة ، وهو ليس أمرًا بديهيًّا ، تقول : عندي دليل عقليّ على عصمة الأنبياء عليهم السّلام ، ولكن يأتي عالم آخر ولا يقبل هذا الدّليل ويقول بعدم عصمة الأنبياء عليهم السّلام ، ويأتي بإثباتات كآية قرآنيّة أو رواية ، ويقول : رأينا في بعض الموارد أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان ينسى ، وهذه الرّواية صحيحة عنده ، ولكنّها ضعيفة عند عالم آخر .

ونبحث في الإمامة ، فنسأل : ما هو الدّليل على الإمامة ؟

وما دام أنّنا نسأل عن الدّليل فيكون البحث بحثًا نظريًّا ، فالبعض يعتقد بالإمامة ، والبعض الآخر لا يعتقد بالإمامة .

تقول : أنا أعتقد بالإمامة ، واعتقادي هو الصّحيح .

والطّرف الآخر يقول : أنا لا أعتقد بالإمامة ، واعتقادي هو الصّحيح .

ومدارنا يكون مدار الدّليل ، والدّليل الّذي تأخذ به لا يأخذ به الطّرف الآخر ، والدّليل الّذي يأخذه لا تأخذ به ، والبحوث بحوث

نظريّة ، وليس جميع النّاس مغرضين ، فهو يعتقد بصحّة دليله ، وأنت تعتقد بصحّة دليلك ، أنت تقول : إمامة ، وهو يقول : صحابة ، وعنده أدلّة على صحّة رأيه ، وأدلّة على حسن إسلامهم ، وأنّهم كانوا محيطين بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وأنّه يمكن لهم أن يأخذوا آراءهم ، لذلك عندهم سنّة الصّحابيّ حجة ، هم يعتقدون بهذا ، وعمل الصّحابيّ حجّة ، وأنت تقول عمل المعصوم حجّة ، وتقول عمل أصحاب الأئمّة عليهم السّلام حجّة ، فإذا قام أحد أصحاب الإمام عليه السّلام بعمل فأنت تقول بأنّه قطعًا أخذ هذا العمل من الإمام عليه السّلام ، وهم يقولون نفس الكلام ، فالصّحابيّ أخذ هذا العمل من النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

والبحث بحث نظريّ ، ونحن نعتقد بأنّ الجميع مسلمون ، ولكن توجد مدارس ضمن خطّ الإسلام ، فكما أنّ الشّيعيّ مسلم ، فالسّنيّ مسلم أيضًا ، والإسماعيليّ مسلم ، والزّيديّ مسلم ، وكذلك بقيّة الفرق ، وكلّ فرقة تمتاز بآرائها ، وعندها الأدلّة ، ولو تناقشهم وتسألهم عن الدّليل يبيّنون لك الدّليل الّذي يعتقدون بصحته ، نعم يقع البحث في هذه الأدلّة .

وأنت تعتقد بمدرسة أهل البيت عليهم السّلام ضمن الأئمّة الاثني عشر ، وذاك يعتقد ضمن سبعة أئمّة ، والطّرف الآخر يعتقد ضمن ثلاثة أو أربعة أئمّة ، هذه وجهات نظر موجودة ضمن الإسلام ، وليست خارجة عن الإسلام ، وكلّ فرقة لها آراؤها ، ويقع الاختلاف

بينك وبينه على هذه الآراء ، والاختلاف في الآراء أمر طبيعيّ ، ولا تكفّر المسلمين ، ولا يجوز أن تقول لمن تشهّد الشّهادتين لست مسلمًا ، فهو ليس كافرًا ؛ لأنّه يعتقد بالله وبالنّبوّة وبالمعاد ، ولكن لا بناءً على قواعد مدرستك ، بل بناء على قواعد مدرسة أخرى .

إذن من يتشهّد الشّهادتين فهو مسلم ، وجميع الفرق تقع ضمن خطّ الإسلام ، ولكن تختلف الآراء بينهم ، فينفتح باب البحث والنّقاش العلميّ بين المسلمين ، لا أنّه بمجرّد ما يخالفك في رأي واحد تعتبره خارج الإسلام ، وتقول عنه كافر ، واختلاف الآراء موجود أيضًا ضمن المدرسة الواحدة ، وآراء العلماء تختلف في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، وحتّى في العقائد يوجد اختلاف في الآراء .

هل النّبيّ صلّى الله عليه وآله ينسى أو لا ينسى ؟

تجد أحد العلماء ضمن مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يقول بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله ينسى ، نعم قد يسمّيه إنساء من الله ، كما يقول الشّيخ الصّدوق رضوان الله عليه ، وهو عالم جليل ، وأتى برأي خالف به كثير من العلماء ، ولا يخرج خارج المدرسة ، بل يظلّ ضمن المدرسة ، وباقي العلماء يخالفونه الرّأي ، ومخالفة رأي من آراء المذهب والمدرسة والدّين لا يخرج الإنسان خارج المذهب وخارج المدرسة وخارج الدّين .

وإذا كانت هناك آراء مسلَّمة وجاء عالم برأي جديد فلا يخرج خارج المدرسة .

والسّؤال المهمّ : ما هو دليلك على هذ الرّأي الجديد ؟ هل يوجد عندك دليل أو لا يوجد ؟

شخص يقول : هذا رأيي ، ولا أريد أن يسألني أحد عن الدّليل ، ويقول : هذا مزاجي .

فنقول له إنّ هذا ليس بحثًا علميًّا ، المزاج لا يكون هو الدّليل ، وإذا سألناه عن الدّليل لا بدّ أن يذكره ، ويتمّ النّقاش على هذا الدّليل ، فإمّا أن نثبّت دليله وإمّا أن نذكر أدلّة تخالف هذا الدّليل ، وينفتح باب النّقاش العلميّ ، لا مباشرةً يقال عنه إنّه خارج المذهب وخارج الدّين ، بل يتمّ النّقاش في الأدلّة ، وخاصّة إذا كان يوجد عنده دليل ، وفي البحث العلميّ ندور مدار الدّليل .

شخص يأتي برأي جديد لا نقول عنه مباشرةً إنّه خارج المذهب ، نسأله : ما هو دليلك ؟

ونحن ندور مع الدّليل ، والدّليل هو المهمّ في البحث العلميّ ، والبحث ليس بحثًا استحسانيًّا ، بمعني أنّني أستحسن هذا الرّأي ، والاستحسان ليس دليلًا مقبولًا ، ومسائل الدّين لا تقوم على الاستحسانات ، بل تقوم على الأدلّة ، فإذا كان هناك رأي فاسأل دائمًا عن الدّليل على هذا الرّأي قبل أن ترفض الرّأي .

نعم توجد عندك مسلَّمات ، وكلّ شخص عنده قوالب فكريّة ، تسمع معلومة من الصّغر ، فتصير هذه المعلومة ثابتةً ، وينشأ عندك قالب فكريّ ، وبمجرّد ما تسمع رأيًا مخالفًا ترفض هذا الرّأي بدون ما

تسأل عن الدّليل .

مثلًا لو قلنا إنّ جميع النّاس طاهرون ، ولا يوجد إنسان نجس ، والأكثر عنده قالب فكريّ أنّ غير أهل الكتاب نجسون ، وهذا قالب موجود في الأذهان نتيجة الأحكام الفقهيّة العمليّة عبر الزّمان ، مع أنّه لو رجعنا إلى ما قبل مائة سنة سنجد بأنّ الحكم الفقهيّ العمليّ هو أنّ أهل الكتاب نجسون ، والآن الفتوى الجديدة هي أنّ أهل الكتاب طاهرون ، وكانت النّجاسة من المسلَّمات سابقًا ، فأوّل عالم طرح أنّ أهل الكتاب طاهرون حتمًا لقي معارضة حتّى من النّاس العاديّين ؛ لأنّه يوجد قالب فكري عند النّاس بأنّ أهل الكتاب نجسون ، وكم من القوالب الفكريّة موجودة عند النّاس ، ولكن نرى بأنّ هذه القوالب الفكريّة تتغيّر عبر الزّمان ، وليست جميع الأشياء ثابتة ، وهذه القوالب الفكريّة تتغيّر مع تغيّر آراء العلماء ، الآن قد يعتبر رأيًا مخالفا للمشهور ، ولكن بعد مرور مائة سنة يصير من المسلَّمات ، فأوّل من طرح طهارة أهل الكتاب كان رأيا شاذًّا ، والآن نجاسة أهل الكتاب هو الرّأي الشّاذّ ، وطهارة أهل الكتاب هي المسلَّمة .

والآن طهارة الكافر ليست من المسلَّمات ، ونجاستهم هي المسلَّمة ، وقد تأتي بعد خمسين سنة وترى أنّ مسألة طهارة الكافر مسألة عاديّة ومن المسلَّمات ، تسلِّم عليه مع الرّطوبة فلا تنجس يدك .

وتوجد الآن نجاسات ثابتة كنجاسة الكلب والخنزير ، ولا نعلم أنّه بعد مائة سنة يأتي أحد العلماء ويجد دليلًا على طهارة الكلب والخنزير ، ولكن إلى الآن نجاسة الكلب والخنزير نجاسة ثابتة ، ولكن نحن ندور مدار الدّليل ، فقد يجد أحد العلماء بعض الكتب المفقودة ويرى فيه رواية تقول بطهارة الكلب والخنزير ، من يعلم ؟!

نعم الآن القالب الفكريّ عندنا هو نجاسة الكلب والخنزير ، والمسائل الفقهيّة العمليّة قد تتغيّر مع الزّمان ، ولكن أهمّ شيء هو وجود الدّليل ، وأكرّر دائمًا "الدّليل" ؛ لكي لا يظنّ المستمعون أنّه نريد مجرّد الرأي بدون الدّليل ، لا بدّ من وجود الدّليل على أيّ رأي ، وقد نصل إلى أدلّة جديدة ، والآن هو الرّأي المسلَّم بسبب وجود الدّليل ، وقد يأتي دليل ويتغيّر هذا الرّأي المسلَّم إلى رأي مسلَّم آخر .

ونرجع إلى ما قبل مائة سنة ونرى بأنّ عين النّجاسة هي الكلب والخنزير والكافر ، وهذه المسألة موجودة في الرّسائل العمليّة ، وإذا طرحنا هذه المسألة في العالم فتأتي الإشكالات عليها ، ويقولون بأنّ المسلمين يجعلون الإنسان في مصافّ الكلب والخنزير ، فذاك الكافر الّذي يريد أن يدخل إلى الإسلام لا يقبل الإسلام ، ويقول لك : تجعلني مع الكلب والخنزير .

وقد تقول : لا دخل لنا في العالم ، ولا نهتمّ بما يقولون .

فنقول : بل نحن لنا شغل بالعالم ؛ لأنّنا نريد أن نطرح الإسلام كدين عالميّ حيث نقول بـ "عالميّة الإسلام" ، وأحكام الدّين لا بدّ

أن تكون أحكامًا عالميّةً .

والبعض يقول : لا شغل لنا بهم .

نقول : لا ، بل أنت لك شغل بهم ؛ لأنّك تريد أن تهدي النّاس في العالم .

تقول : ليذهبوا إلى نار جهنّم .

نقول : كما أنّك تريد أن تدخل إلى الجنّة فلا بدّ أن تسحب جميع النّاس معك إلى الجنّة ، وهذه مسئوليّتك كمسلم ، لا أنّك تقتله ليذهب إلى جهنّم ، وإنّما تريد أن تهديه ؛ لكي يدخل إلى الجنّة ، هذه مهمّتك ووظيفتك ؛ لأنّك تتبنّى رسالة عالميّة ، وأنت تقول إنّ الإسلام دين عالميّ ، وأنّه صالح لكلّ زمان ومكان ، وأنّ دور القرآن هو الهداية ، وهو كتاب هداية ، فإذا كان دور القرآن هو الهداية فأنت كمسلم لا بدّ أن تكون فيك الهداية أيضًا ، وتريد أن تهدي جميع النّاس ، فإذا قلت إنّ الكافر في مصافّ الكلب والخنزير فلا يتقبل الإسلام .

الرّجوع إلى الموضوع :

إذا قلنا بأنّه لا يمكن تصوّر الإله لا تصوّر ذاته تصوّرًا تفصيليًّا ولا تصوّر صفاته ولا تصوّر آثاره ولا تصوّره بأيّ وجه من الوجوه ولا بأيّ جهة من الجهات تصوّرًا إجماليًّا فإنّ باب التّصديق يكون مغلقًا أمامنا ، ولا يمكن إثبات وجود إله مجهول من جميع الجهات بحيث لا يمكن تصوّر أيّ شيء عنه ، أي الإله المجهول تمامًا ، والتّصديقُ فَرْعُ

التّصوّر ، ومبنيّ على التّصوّر ، وأساسه التّصوّر ، وإذا لم يوجد تصوّر للشّيء ولو بوجه من الوجوه فلا يوجد مجال للتّصديق بهذا الشّيء المجهول تمامًا ، فإذا أردنا أن نثبت وجود الإله فلا بدّ أن يكون عندنا تصوّر ما عن الإله ، تصوّر بوجه من الوجوه ، تصوّر بصفة من صفاته ، تصوّر بأثر من آثاره ، تصوّره بشيء ما .

ضرورة تصوّر الإله :

إذن البحث الأوّل لا بدّ أن يكون عن التّصوّرات الموجودة عن الإله ، فأنت عندك تصوّر عن الإله وتريد أن تثبت هذا الإله المتصوَّر عندك ، وذاك الملحد عنده تصوّر عن الإله ويريد أن ينفي هذا الإله المتصوَّر عنده ، وقد يكون الإله المتصوَّر عندك يختلف عن الإله المتصوَّر عنده ، فأنت تثبت شيئًا ، وهو ينفي شيئًا آخر ، فأنتما لا تتكلّمان عن نفس الموضوع ، فأوّل بحث بين المؤمن والملحد هو : ما هو الإله الّذي تريد أن تثبته أو تريد أن تنفيه ؟

وكثير من الملاحدة عندهم إشكالات على إله المسيحيّين لا إله المسلمين ، والبعض عنده إشكالات على إله المسلمين ، ولكن لا توجد عنده مشكلة مع الإله الخالق للكون .

يقول : أنا أعتقد بوجود إله خالق للكون ، ولكن لا أعتقد أنّه إله اليهود ولا إله المسيحيّين ولا إله المسلمين .

مشكلته مع الإله المتصوَّر عند الأديان والفرق ، ولا توجد عنده مشكلة مع الإله الخالق للكون ، فهو يؤمن بوجوده ، ولكنّه كافر في

نظر هذه الدّيانات ؛ لأنّه لا يعتقد بالإله المطروح عند أصحاب هذه الأديان ، وهو في الواقع مؤمن يعتقد بوجود إله خالق للكون ، وهو ينفي الآلهة المتصوَّرة عند الأديان ، ولكنه يثبِّت إلهًا خالقًا للكون ، فنسأل : هل هذا الشّخص مؤمن أو غير مؤمن ؟!

هذا مؤمن بوجود إله خالق للكون ، ولكنّه كافر في نظر أصحاب الأديان .

وقد يعتقد بوجود إله خالق للكون ، ولكنّه لا يعتقد بوجود الأنبياء ، فعنده إيمان بشيء وعدم إيمان بشيء آخر .

وقد يعتقد بالإله ويعتقد بالنّبوّة ، ولكنّه لا يعتقد بالإمامة ، فهو مؤمن من جهة وغير مؤمن من جهة أخرى ، ولا أقول كافر من جهة أخرى ، بل أقول غير مؤمن من جهة أخرى .

وحينما نريد أن نصنّف النّاس فلا بدّ أن يكون عندنا تصنيف دقيق ، فالتّعريف الّذي يقول بأنّ كلّ غير مسلم هو كافر – يعتبر من يعتقد بوجود الإله الخالق كافرًا مع أنّه يؤمن بوجود الإله الخالق ، والمسيحيّ يعتقد بوجود الإله الخالق للكون ، والمسلم لا يعتقد بنفس الإله الّذي يقول به المسيحيّون ، فيكون المسلم كافرًا في نظر المسيحيّين ، والمسيحيّ يُعْتَبَرُ كافرًا عند المسلم ، لذلك يقال في التّقسيم : كافر كتابيّ وكافر غير كتابيّ ، واليهوديّ يعتقد بإله واحد ، ولكنّه لا يعتقد بإله المسلمين ، فهل اليهوديّ مؤمن أو كافر ؟! وهل المسيحيّ مؤمن أو كافر ؟!

اليهوديّ والمسيحيّ يعتقدان بوجود إله خالق للكون ، ولكنّهما يختلفان مع المسلمين في بعض صفات الإله ، فهما يعتقدان بإله واحد ، وبعض المسيحيّين يعتقدون بوجود إله واحد وأنّ عيسى عليه السّلام نبيّ وليس ابن الله ، فهل هؤلاء المسيحيّون مؤمنون أو كفّار مع أنّهم يعتقدون بإله واحد وبنبوّة عيسى عليه السّلام ؟!

هذه تساؤلات تحتاج إلى إجابة ، وتصنيفاتنا لا بدّ أن تكون تصنيفات دقيقة ، فمن الّذي يدخل في دائرة الإيمان ؟

لا بدّ أن يكون عندنا تعريف دقيق عن الإيمان والمؤمن ، وإذا قيل بأنّ المؤمن هو الشّيعيّ فقط فجميع غير الشّيعة لا يكونون مؤمنين أي يكونون كفّارًا بناءً على هذا التعريف ، أو يقال إنّ المؤمن هو المسلم من أيّ فرقة من الفرق ، فمعنى ذلك أنّ كلّ من يكون خارج هذه الدّائرة يكونون كفّارًا حتّى اليهوديّ والمسيحيّ ، وحتّى من يعتقد بوجود إله خالق للكون ، فأوّلًا حدّد التّعريف بدقّة ، من هو المؤمن ؟ ومن هو المسلم ؟ ومن هو الكافر ؟

وبعد تحديد التّعريف بدقّة يمكنك أن تقول إنّ هذا مؤمن وذاك غير مؤمن ، وهذا مسلم أو ليس بمسلم ، وذاك كافر أو ليس بكافر .

نسأل :

هل نبيّ الله نوح عليه السّلام كان مسلمًا أو لا ؟

هل نبيّ الله إبراهيم عليه السّلام كان مسلمًا أو لا ؟

هل نبيّ الله موسى عليه السّلام كان مسلمًا أو لا ؟

هل نبيّ الله عيسى عليه السّلام كان مسلمًا أو لا ؟

إذا قيل في تعريف المسلم بأنّه من يعتقد بالنّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ، والنّاس في زمان الأنبياء السّابقين عليهم السّلام كانوا يعتقدون بنوح أو إبراهيم أو موسى أو عيسى عليهم السّلام وكانوا لا يعرفون نبيّنا صلّى الله عليه وآله – فالنّاس في زمان الأنبياء السّابقين بناءً على هذا التعريف لا يكونون من المسلمين ؛ لأنّهم لم يكونوا يعرفون نبيّنا صلّى الله عليه وآله ، فليس كلّ النّاس في تلك الأزمنة كانوا يعرفون أنّه بعد مئات أو آلاف السّنين سوف يأتي نبيّ اسمه محمّد أو أحمد صلّى الله عليه وآله .

وهذا مثل الشّيعة في عهد أمير المؤمنين هل جميع الشّيعة كانوا يعرفون بوجود أئمّة اثني عشر مع معرفة أسمائهم ؟

لم يكن عند جميعهم هذا الاطّلاع ، نعم الآن أسماء الأئمّة عليهم السّلام عندنا أمر بديهيّ ، ولكن في زمان الإمام الصّادق عليه السلام لو سألنا بعض الشّيعة : من يأتي بعد الإمام الصّادق عليه السّلام ؟

الكثير يقولون : لا نعرف .

يعرفون عدد الأئمّة عليهم السلام ، ولكنّهم لا يعرفون أسماءهم ، هل هؤلاء شيعة أو ليسو بشيعة ؟

تقول : شيعيّ ولا يعرف أسماء الأئمّة ؟!!

نقول : نعم شيعة ولا يعرفون أسماء الأئمّة عليهم السّلام تفصيلًا .

لا بدّ من تحديد التّعاريف بدقّة ، والتّعاريف المشهورة تعاريف غير دقيقة ، فإذا حدّدنا التّعاريف بدقّة فبعد ذلك يمكننا تحديد مصاديق التّعاريف .

وبذلك يمكننا أن نقول إنّ اليهوديّ الّذي يعتقد بوجود إله واحد خالق للكون هل هو مؤمن أو مسلم أو كافر ؟

والمسيحيّ الّذي يعتقد بوجود إله خالق هل هو مؤمن أو مسلم أو كافر ؟

ومع التّعريف الدّقيق يمكنك أن تطبّق التّعريف على مصاديقه .

إذن :

إذا لم يتمّ تحديد التّصوّر عن الإله بدقّة فلا يمكن الدّخول في بحث إثبات وجود الإله أو نفي وجود الإله ، فلا بدّ أن نتصوّر الإله الّذي نريد إثبات وجوده أو إثبات نفيه .

فيكون البحث أوّلًا عن التّصوّرات الموجودة عن الإله ، فقد يكون ما يثبته المؤمن ليس ما يتصوّره الملحد عن الإله ، وما ينفيه الملحد ليس ما يتصوره المؤمن عن الإله .

وحينما نقول : هو مؤمن – فلا بدّ أن نعرف الإله الّذي يتصوّره ويؤمن به ، وهذا الإله المحدّد هو الّذي يريد أن يثبته ، وحينما نقول : هذا ملحد أو كافر – فلا بدّ أن نعرف الإله الّذي يتصوّره ، وهذا الإله المعيَّن هو الّذي يريد أن ينفيه .

وكثير من الملحدين عندهم إشكالات على الإله الّذي يُصَوِّرُهُ

المؤمنـون لا مـع الإلـه الخـالق للكـون ، فهـم مؤمنـون بالإلـه الخـالق ، وملحدون بالإله الّذي يصوِّره المؤمنون .

والحمـد لله ربّ العـالمين وصـلّى الله علـى سيّدنا أبي القاسـم محمّـد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٦٠)

مقدّمات إثبات وجود الإله

هل تصوّر الإله مستحيل ؟ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

بعض الإخوة الأعزّاء طرحوا هذا الإشكال ، وهو أنّ الإنسان محدود ، والإله مطلق ، ويستحيل للمحدود أن يتصوّر المطلق ، فحينما تقول : "الإله" أو "الله" – فلا ينشأ أيّ تصوّر في الذّهن ، وتكون صفحة الذّهن خالية عن أيّ صورة .

أبدأ بمثال عرفيّ لبيان إمكانيّة تصوّر "الإله" وتصوّر "الله" ، والمثال هو : لو قال لك شخص اذهب إلى المكان الفلانيّ وعندي أمانة لأطول شخص موجود في ذلك المكان ، هل يحدث عندك تصوّر عن هذا الشّخص ؟

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٩ ربيع الآخر ١٤٤١ هـ ، الموافق ٢٠١٩/١٢/٦ م .

نعم يحصل عندك تصوّر قبل أن ترى هذا الشخص .

هل استطعت أن تتصوّر ذات هذا الشخص أو تصوّرت هذا الشّخص من خلال صفته ، وهي أنّه أطول شخص موجود في هذا المكان ؟

ويمكنك أن تعطي هذه الأمانة لصديقك ، وتقول له اذهب إلى المكان الفلانيّ وأعط هذه الأمانة لأطول شخص موجود في ذلك المكان ، مع أنّك لا تعرف اسمه ، وإنّما تعرف صفته ، وتوصي عليه من خلال صفته .

أنت لا تعرف ذات الشّخص ولا اسمه ، وإنّما تعرفه من خلال صفة واحدة فقط من صفاته ، وهي الطّول ، وتذهب إلى ذاك المكان وتقول للموجودين قفوا ، وترى أطول شخص ، فيقفون وترى أطول شخص ، وتعرف أنّ هذا هو الشّخص المطلوب ، وتعطيه الأمانة ، وبعد ذلك تسأل عن اسمه ، فتعرف أنّه فلان بن فلان .

إذن :

من البداية صار عندك تصوّر عن هذا الشّخص من خلال صفة واحدة فقط ، لذلك يمكن للمحدود أن يتصوّر المطلق ولو من خلال صفة واحدة فقط من صفاته ، وليس بالضّرروة أن يعرف ذاته وحقيقته وكنهه ، بل يكفي لتصوّر الشّيء صفة واحدة فقط .

وقلنا بأنّه حينما يقع النّقاش فأنت تقول : الإله ، وعندك تصوّر معيّن عنه ، والملحد حينما يقول : الإله – فعنده تصوّر معيّن عنه ،

وأنت تريد أن تثبت أنّ الإله موجود ، تقول : الإله موجود ، فلا بدّ أن يكون عندك تصوّر عن هذا الإله ؛ لكي تثبت وجود هذا الإله المتصوَّر عندك .

وكذلك الملحد حينما يقول : الإله غير موجود ، فعنده تصوّر عن الإله ، ويريد أن ينفي وجود هذا الإله المتصوَّر عنده .

فكلّ من المؤمن والملحد عنده تصوّر معيّن عن الإله ، والمؤمن يريد أن يثبت وجوده ، والملحد يريد أن ينفي وجوده ، والإله الّذي يريد أن يثبته المؤمن قد يختلف عن الإله الّذي يريد أن ينفيه الملحد ، فالملحد يريد أن ينفي إلهًا آخر غير الإله المتصوَّر عند المؤمن لأنّ لديه إلهًا متصوّرًا آخر ، فلا بدّ من البداية أن يتمّ تحديد هذا الإله قبل الدّخول في النقاش ، وقبل الدّخول في الإثبات والنّفي .

إذن :

أوّلًا في عالم التّصوّرات لا بدّ أن يحدّد المؤمن الإله الّذي يريد أن يثبت وجوده ، ويحدّد الملحد الإله الّذي يريد أن ينفي وجوده .

يقول مايكل مارتن Michael Martin في كتابه "الإلحاد تعليل فلسفيّ" : لا أسعى هنا إلى تعريف عام لله (للإله) ، لكن سيكون مفيدًا تمييزُ التّصوّرات المختلفة عن الله (الإله) الّتي تلعب دورًا في الجدالات والنّقاشات التّقليديّة في العصور الحديثة [١] .

تمييز التّصوّرات المختلفة عن الإله : لا بدّ أن نميّز التّصوّرات

---

[١] الإلحاد تعليل فلسفيّ ص٧٥٦ .

المختلفة عن الإله ؛ لأنّ له دورًا في الجدال والنّقاش ، فتحدّد أوّلًا تصوّرك عن الإله الّذي تريد أن تثبته ، وبعد ذلك تطرح أدلّتك الّتي تثبت وجود هذا الإله .

وفي الغرب حينما يثبّتون وجود الإله لا يقصدون الله عزّ وجلّ ، وإنّما الإله المتصوَّر عند الكاتب أو المتحدِّث ، قد يكون إله اليهود أو إله المسيحيّين أو تصوّرًا خاصًّا للكاتب أو المتحدِّث ، وهم لا يتحدّثون عن الله تعالى ، ففي البداية قبل أن يدخل أيّ نقاش لا بدّ أن يحدّد الإله الّذي يريد أن يثبت وجوده أو ينفي وجوده .

ونحن في محاضراتنا كلامنا عن الإله بشكل عامّ لا عن الله تعالى ، لذلك نقول الإله ، أوّلًا نريد أن نثبت وجود إله خالق للكون ، وبعد ذلك نريد أن نثبت أنّ هذا الإله هو الله إله المسلمين بل هو إله كلّ الكون ، وكلامنا الآن كلّه عن الإله بشكل عامّ ، نعم أحيانًا نأتي ببعض الآيات والروايات وفيها كلمة "الله" ، وهذه الآيات والرّوايات لا يهتمّ بها الملحد ؛ لأنّه لا يعتقد بالله ولا بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله ولا بالأئمّة عليهم السّلام ، نعم نحاول أن نثبّت العقيدة عند المؤمنين الّذين يعتقدون بالله عزّ وجلّ ، ونثبت للملحد عالميّة القرآن .

إذن :

أوّلًا لا بدّ من تحديد التّصوّر عن الإله .

وفي المثال العرفيّ الّذي ذكرناه عن الشّخص الأطول إذا قلنا إنّ هذا الشّخص الطّويل موجود في المكان الفلانيّ ، فأنت تذهب إلى

هـذا المكـان وتريـد أن تثبـت أنّ هـذا الشّـخص موجـود في المكـان المذكـور ، إثبـات وجـود هـذا الشّـخص في المكـان يطلـق عليـه "التّصديق" ، ونفي وجود هذا الشّخص في هذا المكان يسمّى أيضًا "التّصديق" ، فالتّصديق هو إثبات وجود الشّيء أو إثبات عدم وجود الشّيء ، لذلك يقال إثبات المطابقة مع الواقع أو إثبات عدم المطابقة مع الواقع ، وهذا هو التّصديق المنطقيّ .

أوّلًا يكـون عنـدنا تصـوّر ، وبعـد ذلـك نأتي إلى هـذا التّصـوّر ، ونحاول أن نطابقه مع الواقع ، فنجد أنّه مطابق للواقع أو غير مطابق للواقع ، لـذلك في تعريـف التّصـديق المنطقـيّ يقولـون هـو تصـوّر مـع حكـم ، فـأوّلًا لا بـدّ مـن وجـود التّصـوّر ؛ لكـي يمكـن بعـد ذلـك أن يثبت أنّه مطابق للواقع أو غير مطابق للواقع ، أي تحكم بأنّه مطابق للواقع أو تحكـم بأنّـه غـير مطـابق للواقـع ، فالتّصـديق هـو تصـور مـع حكم ، لذلك لا بدّ أن يكون التّصوّر قبل الحكم ، فيكون التّصوّر في رتبة سابقة ، وبعد ذلك ننظر إلى المطابقة وعدم المطابقة مع الواقع .

واسـتعملنا هنـا بعـض المصـطلحات المنطقيّـة ، والإنسـان عنـده الصّـور الذّهنيّـة ، ولكـنّ الإنسـان العـاديّ لا يحلّـل الصّـور الذّهنيّـة الموجودة عنده ، فيتعامل مع تصوّراته بشكل ساذج أي بدون تحليل .

وطبيعة النّاس بشكل عامّ أنّهم يريدون السّهولة في التّفكير ، ولا يحاولون تعميق تفكيرهم ، والإنسـان بطبعه منطقـيّ وفيلسـوف ، هـو منطقـيّ أي يطبّق القواعد المنطقيّة في عمليّة التّفكير ، وهـو فيلسـوف

أي يستعمل عقله ويطبّق القواعد العقليّة الموجودة عند كلّ إنسان على حياته العاديّة ، ولكنّه لا يتعمّق في هذه الأمور .

ولحدّ الآن لم نطرح شيئًا جديدًا خلاف الأشياء الموجودة عند كلّ إنسان ، فالإنسان يتصوّر الأشياء ، ويطابقها مع الواقع ، وهذه أشياء موجودة عند كلّ إنسان ، وكلّ إنسان يطبّق هذه المعلومات في حياته العاديّة ، ولكنّه لا يلتفت إلى أنّه يطبّقها .

مثلًا يذهب إلى مراجعة وزارة لأجل إنجاز معاملته ، ويذهب للسّؤال عن المسئول ، وهو لا يعرف المسئول ، وإنّما يعرف صفة واحدة من صفاته ، وهي أنّه مسئول ، فالإنسان في حياته العاديّة يطبّق القضايا المنطقيّة والفلسفيّة ، ولكنّه لا ينتبه إلى أنّه يقوم بعمليّة التّطبيق ، فالإنسان بطبعه منطقيّ وفيلسوف .

لذلك كلّ تصديق لا بدّ أن يكون قبله تصوّر ، فحينما يقول إنّ الإله موجود فأوّلًا هو يحكم على هذا الإله بأنّه موجود ، وثانيًا يحكم بأن وجود الإله مطابق للواقع ، فالإله موجود فعلًا في الواقع ، فلا بدّ أن يكون عنده تصوّرٌ مُسْبَقٌ عن الإله لكي يثبّت وجوده في الواقع .

وكذلك بالنّسبة للملحد ، عنده تصوّرٌ مُسْبَقٌ عن الإله ، ويريد أن ينفي وجود هذا الإله ، فالتّصوّر موجود دائمًا قبل التّصديق .

والآن بمجرّد ما أقول : "الله" – فإنّ السامع يفهم معنى "الله" ، وما دام أنّه يفهم معنى "الله" فلازم ذلك أنّه يوجد عنده تصوّر عن "الله" ، ولولا وجود التّصوّرات الذّهنيّة لما أمكن للإنسان أن يفهم أيّ

شيء ، فلا بدّ من وجود التّصوّر قبل التّصديق بمطابقة الواقع أو التّصديق بعدم مطابقة الواقع .

الآن لو أقول : "عصافيق موجود" ، هل يوجد عندك تصوّر عن عصافيق ؟

تقول : لا يوجد عندي أيّ تصور عن عصافيق .

نعم يوجد عندك تصوّر عن لفظ "عصافيق" أي العين والصّاد وبقيّة الحروف ، ولكن لا يوجد في ذهنك أيّ تصور عن معنى "عصافيق" ، فهذه الكلمة مجهولة المعنى تمامًا في ذهنك ؛ لأنّه لا يوجد لها تصوّر للمعنى بأيّ وجه من الوجوه ، فهي مجهولة تمامًا ، لذلك تقول : لا أدري أنّه موجود أو غير موجود ؛ لأنّي لا أعرف معنى "عصافيق" .

أي لا يوجد عندك أيّ تصوّر ذهنيّ له ، والمعنى المجهول تمامًا لا يمكن إصدار أيّ حكم عليه ، وهذا دليل على أنّك تحتاج إلى التّصوّر قبل التّصديق ، وقبل الحكم بالمطابقة أو الحكم بعدم المطابقة ، وقبل الحكم بالإثبات أو الحكم بالنّفي .

إذن :

من يقول بأنّ الإنسان محدود والإله مطلق ، ولا يمكن للمحدود أن يتصوّر المطلق – نقول له إنّه بمجرد ما يسمع المحدود باسم "المطلق" ويفهم معنى هذا المطلق فيكون عنده تصوّر عنه ولو بوجه من الوجوه وبجهة من الجهات ، فيمكن للمحدود أن يتصوّر المطلق ، هذا في

عالم التّصوّرات الذّهنيّة .

والإنسان يمكن له أن يتصوّر جميع الأشياء ، فيمكن أن يتصوّر المادّيّات ، ويمكن له أن يتصوّر المجرّدات عن المادة .

حينما نقول "الرّوح" – يحدث عندك تصوّر عن "الرّوح" ، فأنت فهمت معنى "الرّوح" ، وهذا الفهم دليل على وجود تصوّر عندك ، فعندك تصوّر وصورة ذهنيّة عن "الرّوح" مع أنّ الرّوح شيء مجرّد عن المادّة .

تسأل : وكيف أتصوّر الرّوح ؟

الجواب :

ترجع إلى نفسك وترى أنّك كيف تتصوّر الأشياء المجرّدة ، فالبعض قد يُحَوِّلُ الشّيء المجرّد إلى مادّيّ لكي يفهمه ، مثلًا الطّفل تقول له : الله – فيتصوّر شخصًا عجوزًا جالسًا على السّحاب ، وبالنّسبة للإنسان الكبير في العمر تصوّراته أحيانًا تكون تصوّرات طفوليّة ، تقول له : الله – فيتصور شخصًا كبيرًا يملأ الكون ، وهذا التّصوّر الطّفوليّ يسير معه منذ صغره ، ولا يحاول أن يتصوّر المجرّدات ، فيظلّ على التّفكير والتّصوّر الطّفوليّ .

الله عزّ وجلّ أعطى الإنسان عقلًا لكي يستعمله ، ولكن كثيرًا من النّاس يجمّدون عقولهم ولا يفكّرون في الأشياء ، والعقل هِبَةٌ من الله تعالى ، وما يفرّق بين الإنسان والحيوان هو العقل ، فالإنسان لا بدّ أن يستعمل عقله ، وهذا العقل شيء عجيب ، فحينما يفكّر

الإنسان يصل إلى بعض النّتائج ، ويتعجّب من وصوله إليها ، وهذا نتاج عقليّ موجود عند الإنسان ، لذلك ترى العباقرة يصلون إلى اكتشافات لا يصل إليها الإنسان العاديّ ؛ لأنّ العبقريّ يفكّر بأقصى طاقة العقل ، والإنسان العاديّ قليل التّفكير .

إينشتاين وصل إلى نظرية النّسبيّة ؛ لأنّه يفكّر ليل نهار في هذه الأمور ، والإنسان حينما يفكّر يمكنه أن يصل إلى نتائج لا يصل إليها الآخرون ، وتجد أنّ هذا العالم وصل إلى شيء جديد ، وأبدع شيئًا جديدًا ، سواء في العلوم الطّبيعيّة أم العلوم الدّينيّة ، مثل إينشتاين في العلوم الطّبيعيّة ، ومثل السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر في العلوم الدّينيّة .

والسّيّد الشّهيد الصّدر عنده إنتاج ، ولكنّ المسلمين لا يعرفون قيمة السّيّد الشّهيد ، وفي روسيا في المتحف صنعوا تمثالًا للسّيّد الشهيد ، ونحن الشيعة لا نعرف قيمته ، فما بالك بأتباع المذاهب الأخرى ، والسّيّد الشّهيد طرح أشياءً جديدةً ، ومن يدرس في الحوزة حينما يدرس حلقات السّيّد الشّهيد في علم أصول الفقه يجد المعلومات الجديدة الّتي لم يصل إليها العلماء السّابقون ، وفي كلّ صفحة يوجد شيء جديد ، وتوجد عنده آراء جديدة ، وعنده كتاب الأسس المنطقيّة للاستقراء ، وتوجد أمور جديدة طرحها في هذا الكتاب ، وكتاب فلسفتنا وكتاب اقتصادنا ، ولكن هذه الكتب مهملة حتّى عند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

النّتيجة :

يمكن للمحدود أن يتصوّر المطلق ولو بوجه من الوجوه ، بصفة من صفاته أو أثر من آثاره .

وكلّ إنسان عنده تصوّر ذهنيّ عن الإله ، فاليهوديّ عنده تصوّر ، والمسيحيّ عنده تصوّر ، والمسلم عنده تصوّر ، وكلّ فرقة من فرق اليهوديّة وفرق المسيحيّة عندهم تصوّر ، وكذلك كلّ فرقة من فرق المسلمين عندهم تصوّر عن الله سبحانه يختلف عن تصوّر الفرقة الأخرى ، وترى المذاهب عندهم تصوّرات مختلفة عن الله ، بل كلّ إنسان عنده تصوّر يختلف عن تصوّر الإنسان الآخر عن الإله أو عن الله ، وحينما نقول : الله – فكلّ من يسمع يكون عنده تصوّر معيّن يختلف عن تصوّر الآخر على حسب سعة المنظومة الفكريّة له .

لذلك من الضّروري أنّ كلّ فرقة وكلّ مدرسة وكلّ مذهب من المسلمين لا يقول للطّرف الآخر من المسلمين أنتم لستم على شيء .

يقول القرآن الكريم :

"وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ كَذَلَكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" [(١)] .

إنّ اليهود والمسيحيّين لهم نفس الإله ، ومع ذلك كلّ طائفة تقول عن الطّائفة الأخرى بأنّها ليست على شيء ولا يوجد عندها شيء .

[(١)] البقرة : ١١٣ .

وفي الآية الكريمة اليهود والنّصارى من باب المثال والمصداق ، والآية ليست مختصّة باليهود والنّصارى ، فكلّ شريعة تقول عن الشّريعة الأخرى ليست على شيء ، ولا أقول كلّ دين ؛ لأنّ الدّين واحد عند الشّرائع الثّلاثة من اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام .

والآية الكريمة أعطت قاعدةً عامّةً فقالت : "**كَذَلَكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ**" ، فنستنتج أنّ الّذين يقولون بأنّ الفرقة الأخرى أو الطّائفة الأخرى أو الطّرف الآخر ليس على شيء قولهم منشؤه الجهل وعدم العلم .

وهذه القاعدة العامّة تجري على جميع الأديان المختلفة والشّرائع المختلفة ، وتجري أيضًا على مذاهب المسلمين ومدارسهم وفرقهم ، فأتباع كلّ مذهب يقولون عن أتباع المذهب الآخر إنّهم ليسوا على شيء ، وكلّ مدرسة تقول عن المدرسة الأخرى إنّها ليست على شيء أي أنّها على باطل تامّ ١٠٠% ، ولا يوجد عندها شيء من الحقيقة ، فنقول بأنّ كلّ فرقة تعتقد بأنّها هي الوحيدة على الحقّ ، وجميع ما عداها من الفرق الأخرى من المسلمين ومن الأديان الأخرى على باطل .

وهذا غير صحيح ؛ لأنّ كلّ دين وكلّ فرقة وكلّ طائفة لها نسبة من الحقيقة ، وحتّى البوذيّة لها نسبة من الحقيقة ، ولا يمكن أن يكون كلّ ما عند الأديان الأخرى والفرق الأخرى باطلًا .

مثلًا إذا قرأنا أقوالَ بوذا وَحِكَمَهُ نجد فيها نسبة من الحقيقة ، فلا

تستطيع أن تقول إنّ البوذيّين ليسوا على شيء ؛ لأنّ عندهم شيئًا من الحقّ ، أنت تعتقد أنّ الحقّ كلّه عندك ، والبوذيّ يعتقد أيضًا هذا الاعتقاد أيضًا ، هو يعتقد أنّه على حقّ ، حتّى الّذي يعبد البقرة أو يقدّسها يعتقد أنّه على حق ، ويتمنّى أنّ دينه ينتشر في العالم ، وبعض الكتّاب يكتبون عن "عالميّة السّيخيّة" ، لا فقط نحن نقول "عالميّة الإسلام" ، فالبوذيّون يقولون "عالميّة البوذيّة" .

والآن في الغرب يشتكون من الفراغ الرّوحيّ ، وعندهم المادّيّات ، ولكنّهم اكتفوا من الأمور المادّيّة ، وبعضهم اتّجهوا إلى الإسلام ، ولكن بعضهم اتّجهوا إلى البوذيّة ، فيصير بوذيًّا لأنّ الفراغ الروحيّ عنده يملأه بروحانيّات البوذية ، والأمر المميَّز عند البوذيّة هي الرّوحانيّة ، مع أنّ الرّوحانيّات موجودة أيضًا في الإسلام ، ولكنّ المسلمين مقصِّرون في بيان هذه الرّوحانيّات ، وما يطرحه المسلمون اليوم هو الفقه العمليّ فقط ، تصلّي وتصوم وتحجّ ، والقضايا الرّوحانية والأخلاقيّة لا يطرحها المسلمون ، وكذلك القضايا العقائديّة قليلة الطّرح .

وتوجد روحانيّات كثيرة في الإسلام ، ففي كلّ عبادة يوجد معها أمر روحانيّ قلبيّ باطنيّ ، ولكنّ المسلمين ركّزوا على الأفعال والأقوال الظّاهريّة في العبادة ، وغفلوا عن طرح الجانب الرّوحانيّ الأخلاقيّ الباطنيّ القلبيّ مع هذه العبادة ، مع أنّ المنهج القرآني هو بيان جوانب مختلفة للحكم ، فيربط بين العمل الخارجيّ والعمل الباطنيّ القلبيّ .

يقول القرآن الكريم :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [1] .

في آية الصّيام يوجد **"لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"** ، والمسلمون يبيّنون أحكام الصّيام من ناحية الفقه العمليّ ، ولكن لا يبيّنون معها النّاحية الرّوحانية القلبيّة من ناحية الفقه الأخلاقيّ ، ودائمًا ندرس الأحكام العمليّة للصّيام ، ولكن لا ندرس معها الرّوحانيّات ، ونرى في الآية الكريمة أنّ الهدف من الصّيام هو تحصيل التّقوى .

يقول القرآن الكريم :

"الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ" [2] .

من يريد أن يذهب إلى الحجّ يتعلّم مناسك الحجّ وأعماله ، ولكن لا يتعلّم الجوانب الروحانيّة في الحجّ ، ونرى في الآية أنّ الهدف من الحجّ هو تحصيل التّقوى ، والتّقوى من صفات أصحاب العقول .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "الحجّاج يَصْدُرُونَ على ثلاثة أصناف : صنف يُعْتَقُ من النّار ، وصنف يخرج من ذنوبه كهيئةِ يومِ ولدته أُمُّهُ ، وصنف يُحْفَظُ في أهله وماله ، فذاك أدنى ما يرجع به

---

[1] البقرة : ١٨٣ .

[2] السّورة السّابقة : ١٩٧ .

الحاجّ" [1] .

في الرّواية حينما يقال من يذهب إلى الحجّ يرجع كما ولدته أمه ، أي يرجع صافيًا نظيفًا ، وهذا الجانب لا يركّز عليه المسلمون ، يركّزون دائمًا على الأحكام الفقهيّة العمليّة للعبادة ، ولا يتعرّضون للأحكام الفقهيّة العقائديّة والأخلاقيّة للعبادة مع أنّ الأحكام العمليّة توجد أحكام عقائديّة وأخلاقيّة تسير معها جنبًا إلى جنب ، والمفروض أنّ الأحكام العقائديّة والأخلاقيّة والعمليّة تُبَيَّنُ مع بعضها كمنظومة دينيّة كاملة ، ولا يطرح الجانب العمليّ فقط ، ركّز المسلمون على الفقه العمليّ ١٠٠% ، وصار عندهم إهمال للجانب العقائديّ والجانب الرّوحانيّ ، لذلك يأتي السّؤال من النّاس دائمًا عن الأحكام الفقهيّة العمليّة أي يجوز ولا يجوز ، ولكن نادرًا ما يسألك أحد : كيف يمكن لي أن أستفيد من الصّلاة من ناحية روحيّة ؟ وما هي الجوانب العقائديّة والأخلاقيّة المرتبطة بالصّلاة والصّيام والحجّ وغيرها من العبادات والأعمال ؟

إنّ الرّسالة العمليّة من أوّلها إلى آخرها تتناول الفقه العمليّ فقط ، ولا بد أن يكون إلى جانبه فقه عقائديّ وفقه أخلاقيّ ، فنحتاج إلى الرّسالة العقائديّة والرّسالة الأخلاقيّة ، وجميع أنواع الفقه تأتي في كتاب واحد تحت عنوان "الرّسالة الدّينيّة الفقهيّة" ، انطلاقًا من قوله تعالى في القرآن الكريم :

---

[1] الكافي ج٤ ص٢٥٣ ح٦ .

". . . **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"** [١] .

"**لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**" : الفقه الدّينيّ هو المطلوب ، وهو شامل للفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ .

تنوي في أوّل الصلاة فتقول : "أُصَلِّي قربةً إلى الله تعالى" ، "أُصَلِّي" هذا هو الفقه العمليّ ، و"قربةً" هو الفقه الأخلاقيّ ، و"إلى الله" هو الفقه العقائديّ ، وهذه الأقسام الثلاثة من الفقه موجودة من بداية الصّلاة إلى آخرها ، ولكنّ المسلمين غافلون عن ذلك ، فهو يدخل إلى الصّلاة وهدفه أن يلتزم بالأقوال والأفعال فقط دون النّظر إلى الاستفادة الرّوحيّة الأخلاقيّة من الصّلاة .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**" [٢] .

نرى في الآية الكريمة ارتباط الصّلاة بالتّقوى أيضًا ، فغاية الصّلاة هي تحصيل التّقوى كما هو الحال في العبادات الأخرى .

". . . **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**" [٣] .

---

[١] التّوبة : ١٢٢ .

[٢] طه : ١٣٢ .

[٣] العنكبوت : ٤٥ .

إنّ غاية الصّلاة هي التّقوى ، والتّقوى تدعو الإنسان للانتهاء عن الفحشاء والمنكر ، وهناك شيء أكبر من الصّلاة ، وهو ذكر الله عزّ وجلّ ، والتّقوى صفة نفسانيّة قلبيّة تدعو الإنسان إلى فعل الأعمال الصّالحة وتمنع الإنسان من ارتكاب الأعمال الطّالحة .

نسأل :

لماذا يصير الشّخص وسواسيًّا في الصّلاة ؟

الجواب :

لأنّه يظنّ بأنّ الصّلاة عبارة عن أقوال وأفعال فقط ، فيحاول أن يخرج الحروف بشكل صحيح ، فيكرّر البسملة ، مع أنّه من أوّل مرّة قراءته صحيحة ، ولكنّه يشكّ ؛ لأنّه يظنّ بأنّ الصّلاة مدارها مدار الكلمات فقط ، وفي الوضوء يسرف بالماء ويتوضّأ عدّة مرات ؛ لأنّه يظّن بأنّ هذه هي الأمور المطلوبة فقط ، ولا يخطر في ذهنه أنّ الصّلاة عبارة عن واسطة ووسيلة ، والصّيام عبارة عن واسطة ، فالصّيام واسطة إلى هدف وغاية وهو **"لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"** ، ولا يعرف غايات الأحكام ويركّز على الوسائل والوسائط فقط ، ويظنّ أنّ الوسيلة هي الغاية ، فيقف عند الوسيلة ولا يتعدّاها إلى الغاية ، والصّلاة غايتها التّقوى والانتهاء عن الفحشاء والمنكر ، فيغفل عن الهدف والغاية ويرتبط بالوسيلة فقط .

ونذكر مثالًا عرفيًّا :

شخص يريد أن يشتري سيّارة ، وغاية السّيّارة هي الانتقال من

مكـان إلى آخـر ، فنسـأل كـم مـن المـال تـحتاجه لكـي تقضـي هـذه الغاية ؟

مـثلًا تكفيـه لتحقيـق الغايـة سيّارة بسـتّة أو سـبعة آلاف دينـار ، فيشـتري سيارة بثلاثين أو خمسين ألفًا ، فيجعل أموالًا زائدة لتحقيق الغايـة ، هـو ركّـز علـى الوسـيلة وأعطاهـا قيمـةً مـع أنّهـا مجـرّد وسـيلة ، والغايـة هـي الانتقـال مـن مكـان إلى آخـر ، وهـذا الغـرض لا بـدّ أن يقضيه الإنسان بأقلّ سعر ممكن ، ولكنّ أكثر النّاس يعطون الوسيلة قيمةً ، هو يريد أن يتفـاخر أمـام الآخـرين بهذه الوسيلة ، فيدفع أموالًا زائدة .

لا بـدّ أن يـرى الإنسـان حاجتـه الحقيقيّـة ، إنسـان أعـزب وآخـر متـزوّج وعنـده عشـرة أولاد ، نـرى أنّ الأعـزب يشـتري سيّارة كبـيرة ، وهـذه السّـيّارة الكبـيرة يحتاجهـا المتـزوّج أبـو العائلـة الكبـيرة ، ولكـن مشكلة النّاس هي التّفاخر والتّباهي ، يريد أن يتفـاخر أمـام الآخـرين ، ويدفع لتحقيق التّفاخر أموالًا كثيرةً ، فإذا كانت الحاجة تُقْضَى بسبعة آلاف ، ودفع ثلاثين ألفًا ، فهناك ثلاثة وعشرون ألف دينار تكون مـن باب الإسـراف ؛ لأنّ الإسـراف هـو دفـع أمـوال أكثـر ممـا تكلّـف الحاجـة الحقيقيّـة ، والإسـراف محـرّم ، والمبـذّرون إخـوان الشّـياطين ، والتّبذير هو صرف أموال في أمور لا يحتاجها الإنسان .

". . . **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**" [1] .

---

[1] الأعراف : ٣١ .

"وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا" [1] .

هو ارتكب محرّمًا وهو الإسراف ، وكلّ شخص يظنّ بأنّه ما دام عنده أموال فهو حرّ بأمواله ، نقول أنت لست حرًّا في أموالك ، فالله يرزقك المال ويحدّد لك المصارف ، فتقضي حوائجك فقط ، وما تصرفه في مقابل حاجاتك الحقيقيّة يُعْتَبَرُ حقًّا لك فقط ، وأكثر من هذا ليس من حقّك .

عن أبان بن تغلب قال : قال أبو عبدالله عليه السّلام : "أترى الله أعطى من أعطى من كرامته عليه ومنع من منع من هوان به عليه ؟ ، لا ، ولكنّ المال مال الله يضعه عند الرّجل ودايع ، وجوّز لهم أن يأكلوا قَصْدًا ، ويشربوا قَصْدًا ، ويلبسوا قَصْدًا ، وينكحوا قَصْدًا ، ويركبوا قَصْدًا ، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين ، ويلمّوا به شعثهم ، فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالًا ، ويشرب حلالًا ، ويركب حلالًا ، وينكح حلالًا ، ومن عدا ذلك كان عليه حرامًا . ثم قال : **"وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"** ، أترى الله ائْتَمَنَ رجلًا على مال خَوَّلَ له أن يشتري فَرَسًا بعشرة آلاف درهم ويجزيه فَرَسٌ بعشرين درهمًا . . . ؟" [2] .

وفي بلدنا النّاس ظاهرًا عندهم أموال ، ولكنّهم يتعاملون دائمًا

---

[1] الإسراء : ٢٦-٢٧ .

[2] تفسير العيّاشيّ ج٢ ص١٣ ح٢٣ .

بالأقساط ، من يشتري سيّارة بثلاثين ألفا يدفع بالأقساط ، كم يدفع بالشّهر ؟

خمسمائة أو ستّمائة دينار شهريًّا ، هو يدفع مالًا زائدًا عن حاجته الحقيقيّة .

الفخفخة عبارة عن مظهر عند النّاس ، ولكن في الواقع لا يوجد بأيدي النّاس أموال ملك لهم ، والشّخص إلى آخر الشّهر لا يبقى له شيء ، والبعض إلى نصف الشّهر لا يبقى عنده شيء ، فتجد أنّه هو وزوجته يعملان ، ومع ذلك فالمعاش لا يكفيهما لأنّهما يصرفان أكثر من حاجتهم ، تدخل إلى بعض البيوت تراها بيوتًا فخمةً ، وضعوا فيها أموالًا أكثر من الحاجة ، وكأنّك داخل إلى الجنّة ، وفي الواقع هذا البيت ليس جنّةً ، فكلّ الدنيا لا يمكن أن تكون جنّةً للإنسان .

كم عدد السّنوات التي سيعيشها في هذا البيت ؟

هناك أشخاص بنوا بيوتًا ولم يسكنوا فيها ، ماتوا قبل أن ينتقلوا إليها ، والبعض سكن في البيت شهرًا أو شهرين أو سنة ، والبعض قد يعيش عشر سنوات أو عشرين سنة ، ولكن بعد ذلك سيتركه ، فإذا صرف أموالًا كثيرةً أكثر من حاجته الحقيقيّة فإنّه يحاسب عليها ، لذلك يسمّى يوم القيامة بيوم الحسرة ، فهذا الشّخص يرى أنّه دفع أموالًا كثيرةً في الدّنيا وكان المفروض أن يدفعها في طريق آخر ، ويجعلها في شيء آخر بحيث يكون له الثّواب في الآخرة ، وكلّ إنسان

سيتحسّر يوم القيامة ؛ لأنّ هناك بعض الأمور صرف فيها أموالًا وكان المفروض أن لا يضع هذه الأموال في هذه الأشياء ، لذلك على الإنسان أن يراجع نفسه ليرى ما هي الأشياء الزّائدة الّتي اشتراها بلا حاجة .

أحد الإخوة يقول أردت أن أفرّغ البيت من الأشياء الّتي لا أحتاجها ، يقول ملأت سيّارة نقل كاملة ، أشياء زائدة لا أحتاجها ، اشتريت أشياء وضعتها في البيت ، وفي الواقع لا أحتاجها ، وهذه الأشياء لم أستعملها مدّة سنة ، وبعضها لم أستعملها مدة سنوات .

تدخل إلى المطبخ وترى أنّ الزوجة اشترت أطباقًا زائدة للطّعام ، عدة أطقم من الأطباق ، ولم تستعملها عدّة سنوات ، هذا بالنّسبة للمطبخ فقط ، وادخل إلى غرف البيت وسترى أنّ هناك أشياء كثيرة لا يحتاجها النّاس ويضعونها في بيوتهم .

أحد الإخوة يقول أنا وزوجتي فقط ولا يوجد عندنا أولاد ، أخذ قسيمةً وبنى بيتًا فيه سرداب وطابقين ، يقول نحن نستعمل الطّابق الأرضي فقط ، والسّرداب والطّابق الثّاني لا نستعملهما ، من البداية المفروض أن يبني له طابقًا واحدًا فقط ، هذا يُعْتَبَرُ بالنّسبة له إسرافًا لأنّه زائد عن حاجته ، نعم شخص عنده عائلة كبيرة كعشرة أولاد حينما يبني طابقين وسردابًا فهو سيستعملها ، هذا يُعْتَبَرُ حاجة حقيقيّة بالنّسبة له ، ومن البداية يحدّد الإنسان حاجاته ، وبعد ذلك يتحرّك لقضاء هذه الحاجات بدون إسراف لأجل تحقيق الغرض .

الرّجوع إلى الموضوع :

كلّ فرقة تقول عن الفرقة الأخرى أنتم لستم على شيء ، ومنشأ هذا القول هو الجهل وعدم العلم ، وكلّ فرقة وكلّ دين وكلّ مدرسة وكلّ مذهب عنده نسبة من الحقيقة ، والحقيقة واحدة مطلقة ، الحقيقة في الواقع شيء واحد ، وأنت تريد أن تصل إلى هذه الحقيقة ، والشّخص الآخر يريد أن يصل إليها أيضًا ، أنت تصل بنسبة ، وهو يصل بنسبة أخرى ، أنت قد تصل بنسبة ٩٠% ، وهو يصل إلى ١٠% ، هو يعتقد أنّه وصل إلى ٩٠% ، وأنت تعتقد أنك وصلت إلى ٩٠% ، ولكن في الواقع قد يكون ما وصلت إليه هو ١٠% ، وما تصل إليه ليس هو الحقيقة المطلقة ، فأنت عندك نسبة من الحقيقة ، وهو عنده نسبة من الحقيقة .

نسأل :

إذا كانت الحقيقة موجودة فكيف يمكن أن نصل إليها ؟

الجواب :

إنّ محاولة الوصول إلى الحقائق تكون عن طريق الأدلّة ، وما يحتاج إلى الدّليل يكون أمرًا نظريًّا وليس بديهيًّا ، وأمّا الأمر البديهيّ فلا يحتاج فيه إلى إثبات ودليل ، ١+١=٢ ، لا تحتاج فيه إلى دليل وبرهان لأنّه أمر بديهيّ ، نعم مع الطّفل تحتاج إلى دليل لأنّ الطّفل لا يدرك ، فتأتي له بتفّاحة وتفّاحة ثانية ، وتقول له ١+١ ، وتقول إنّ مجموعهما اثنان .

والنّتيجة هي أنّ الأمور النّظريّة تحتاج فيها إلى برهان ودليل ، وكلّ بحث يحتاج فيه إلى دليل فهو بحث نظريّ ، والبحث النّظريّ في شيء يقع فيه الاختلاف في الآراء ووجهات النّظر ، فشخص يقبل هذا الدّليل ، وشخص آخر يرفض هذا الدّليل ، وهذا موجود في جميع العلوم سواء في العلوم الطّبيعيّة أم في العلوم الدّينيّة ، ففي العلوم الطّبيعيّة كان الفيزيائيّون يقبلون قوانين نيوتن ، وبعد ذلك جاءت نظريّة النّسبية ، وصارت قوانين نيوتن نسبيّة وليست حقيقة مطلقة ، نعم كانوا في زمانه يظنّون أن قوانين نيوتن تطبّق على الأرض وفي الفضاء ، ثمّ تبيّن أنّها تطبّق على الأرض لا في الفضاء ، وفي الفضاء جاءت نظريّات وقوانين أخرى ، وبعد ذلك جاء فيزياء الكمّ ونظريّة الكوانتم ، وهي نظريّات جديدة ، والجسم يكون مادّيًّا في حين ويكون موجات في حين آخر ، ويحاولون أن يثبتوا وجود الشّيء وعدم وجود الشّيء في نفس المكان ونفس الزمان ، أي اجتماع النّقيضين ممكن وليس مستحيلًا ، ومن الممكن وجود الشّيء في مكانين في نفس الوقت ، وقد تأتي نظريّات جديدة وتثبت هذه الأمور ، وطبعًا يمكن أن نستفيد من النّظريّات الجديدة في إثبات وجود الله تعالى ، والملحدون من خلال هذه النّظريّات يحاولون إثبات عدم وجود الإله وعدم وجود الله تعالى ، وأنّ القوانين هي الّتي تُسَيِّرُ الأمور المادّيّة في الكون ، ويمكن أن نستفيد من نفس النّظريّات في إثبات وجود الإله ووجود الله عزّ وجلّ .

أنت بواسطة الدّليل تصل إلى شيء ، وتقول بأنّ ما وصلت إليه هو الحقيقة ، والشّخص الثّاني يرفض دليلك وعنده دليل آخر ، وهو مقتنع بدليله كما أنّك مقتنع بدليلك .

أنت تقول : أنا وصلت إلى الحقيقة .

وهو يقول : أنا وصلت إلى الحقيقة .

كما تظنّ بأنّ هذه هي الحقيقة والواقع ، فالشّخص الآخر يظنّ بأنّ الحقيقة هي ما وصل إليه ، وكلّ منهما رأيه مبنيّ على الظّنّ ، وما دام أنّنا نقول : ظنّ – فمعنى ذلك أنّه توجد نسبة من الخطأ ، ولا يمكنه أن يتيقّن بأنّ ما وصل إليه هو الحقيقة المطلقة لأنّ الدّليل ظنّيّ ، ولكن أنت تأخذ بهذا الدّليل الظّنّيّ ، ولا يوجد أمامك طريق آخر .

وما دامت الآراء مبنيّة على الظّنون فمن الممكن أن تكون قد أصابت الواقع ، ومن الممكن أنّها قد أخطأت الواقع ، وأنت تظنّ بأنّ رأيك مطابق للواقع ، وهو يعتقد بأنّ رأيه مطابق للواقع ، واحتمال إصابة الواقع أو عدم إصابته يأتي في كلّ رأي مبنيّ على الظّنّ ، بل قد يأتي أيضًا في كلّ رأي مبنيّ على اليقين ، فما تتيقّن به اليوم قد ترى أنّه خطأ غدًا ، وما تراه خطأً اليوم قد تراه صحيحًا في اليوم التّالي ، فيتغير رأيك إلى رأي آخر ، فحتّى في الأمور اليقينيّة قد يتغيّر رأيه ، فهو يظنّ بأنّ هذا دليل يقينيّ يوصل إلى نتيجة يقينيّة ، شخص عنده الآن رأي مُتَيَقِّنٌ منه ، وفي اليوم التّالي يغيّر رأيه ، تقول له أمس كنت على يقين ، فيقول أمس كنت معتقدًا بأنّ هذا هو الحقّ ، والآن تبيّن

لي أنّ الحقّ شيء آخر ، وما أكثر ما يغيّر الإنسان آراءه من رأي إلى رأي مخالف ، والمهمّ هو أن يكون عنده الدّليل على الرّأي الّذي يتبنّاه ، فما تراه اليوم أنّه صحيح قد يتبيّن غدًا أنّه خاطئ ، وكذلك ما تعتقد اليوم أنّه خاطئ قد يتّضح لك في الغد أنّه صحيح ، ولكنّ المهمّ أنّه كان عندك الدّليل في الأمس لا فقط استحسان للرّأي ، وفي اليوم التّالي غيّرت رأيك بناء على دليل آخر وصلت إليه .

مثلًا الفقيه تراجع الطّبعة الأولى من رسالته العمليّة فتجد عنده فتوى معيّنة ، وتراجع الطّبعة الثّانية وترى بأنّ بعض الأحكام تغيّرت ، وهذا معناه أنّه وصل إلى دليل جديد ، وبناءً على هذا الدّليل الجديد تغيّرت الفتوى عنده ، فكان عنده دليل ثمّ تبيّن له خطأ هذا الدّليل ، وصار عنده دليل آخر .

وهذا موجود أيضًا في حياتك الاعتياديّة ، اليوم عندك رأي ، وغدًا عندك رأي آخر .

إذن تغيير الرّأي شيء من طبيعة الإنسان ، ودورك أن تبحث عن الدّليل .

مثلًا البوذي حينما يعتقد بالبوذيّة هو يرى بأنّ لديه الدّليل على صحة الدّيانة البوذيّة ، والّذي يقدّس البقرة يرى بأنّ عنده الدّليل على صحّة اعتقاده .

لذلك لا بدّ من فتح باب الحوار بين الأديان وبين المذاهب ، لا مباشرةً تقول لمن يقدّس البقرة أنت لست على شيء ، ومن يقدّس

البقرة يقول لك أنت لست على شيء ، وإنّما تسأله عن دليله على صحّة اعتقاده ، وتناقشه في دليله ، وهو يفعل معك نفس الشّيء لأجل أن يناقشك في دليلك ، اسأله ما هو دليلك ، وتأتي إلى دليله وتناقشه وتبيّن له خطأ دليله ، وتثبت له أنّ الإله لا بدّ أن يكون غير مادّيّ على فرض أنّه يعبد البقرة لا أنّه يقدّسها فقط ، وتقديس البقرة نوع من العبادة ، تقول له بأنّ البقر مخلوق ، ولم يكن موجودًا ثمّ وُجِدَ ، أي أنّه مخلوق ، فإذا كان مخلوقًا فيحتاج إلى خالق ، ولا بدّ أن نتوجّه بالعبادة إلى الخالق لا إلة المخلوق .

بين جميع الأديان وبين جميع المذاهب لا بدّ أن ينفتح باب الحوار والنّقاش العلميّ لا باب التّكفير والنّزاع ، مسلم يعتقد بأنّ الله له جسم ، وأنت تعتقد بأنّ الله ليس له جسم ، تقول له أنت لست على شيء ، وهو يقول لك أنت لست على شيء ، بدل ذلك اسأله عن دليله ، وهو يسألك عن دليلك ، هو سيأتي لك بآيات قرآنيّة ، يقول لك : "**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**" [1] ، فالله يقول بأنّ له يدًا ، وأنت تقول : "**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**" [2] ، فالله يقول ليس كمثله شيء ، فيقول لك : نعم جسم لا كالأجسام ويد لا كالأيدي .

ردّ عليك بهذا الرّدّ ، فكيف يمكن أن تردّ على كلامه ؟

ناقشه في الدّليل ، فالآية تقول : "**يَدُ اللهِ**" ، فكيف يمكن أن تثبت

---

[1] الفتح : ١٠ .

[2] الشّورى : ١١ .

أنّ الله سبحانه ليس له يد ؟ وكيف يمكن أن تثبت أن الله سبحانه ليس جسمًا ؟

هو مقتنع بأنّ هذا دليل عنده ، ويأتي لك بعدّة آيات قرآنيّة ، وكذلك توجد مجموعة من الرّوايات الدّالّة على ذلك ، وقد يأتي بروايات من كتبك تدلّ على أنّ الله له جسم مادّيّ ، مثلًا الله جالس على عرشه ، الله يقول عندي عرش وعندي كرسي ، والعرش يجلس عليه الملك ، وكذلك الكرسي يُسْتَعْمَلُ للجلوس ، وأنت تقول بأنّ الكرسيّ بمعنى العلم ، فما هو دليلك ؟

صرفت المعنى إلى معنى آخر فلا بدّ أن يكون عندك الدّليل ، لا مباشرةً يكون بين المسلمين التّكفير ، وكلّ فرقة تكفّر الفرقة الأخرى ، لا بدّ أن ينفتح باب الحوار العلميّ بين مذاهب المسلمين لأجل مناقشة الأدلّة ، ولا بدّ أن يكون الحوار والنّقاش العلميّ بين علماء مخلصين أمناء صادقين ، وإذا لم يكونوا بهذه الصّفات فإنّهم من المغرضين الّذين يريدون إثارة الفتنة بين المسلمين ، ولا توجد فائدة من حوارهم .

وبعض القنوات الفضائيّة قائمة على التّشويش والكذب والافتراء ، يقول بأنّ الفرقة الأخرى عندهم رواية ويذكر المصدر ، وتذهب إلى المصدر فلا تجد الرّواية الّتي ذكرها ، وبعض القنوات الفضائيّة عبارة عن تهريج ، ولا يمكن الاعتماد عليهم ولا تناقشهم في شيء .

ويكون الحوار والنّقاش بين العلماء المخلصين لنضمن قبول الحقّ

وعدم الكذب والافتراء .

وكذلك في الحوار مع الملحدين ، لا بدّ أن نرى ما هي أدلّتهم ، لا مباشرةً تقول عنه : كافر ، لا بدّ أن نرى دليلهم ، ومحاضراتنا لهذا الهدف ، لا بدّ أن نرى ما هي الأدلّة الّتي يطرحها الملحدون ، ونناقش هذه الأدلّة .

مثلًا حينما يقول بأنّ الكون يكفي أنّ القوانين تديره ، لا بدّ أن نناقش هذا الدّليل ، هل القوانين تكفي لإدارة الكون أو لا بدّ من وجود خالق يدير الكون وهو الّذي وضع هذه القوانين ؟

وحينما يأتي إلى نظريّة التّطوّر ويقول بأنّ التطور قام بدوره ضمن الانتخاب الطّبيعيّ ولا نحتاج إلى خالق – نناقشه في دليله ونرد عليه .

وسنأتي إلى نظريّة التّطوّر ، داروين قام بجهد كبير ، وبحث لعدّة سنوات ، ثمّ جاء بتفسير لما اكتشف ، فجاء بنظريّة التّطوّر ، وهو لم يطرح نظريّته لأجل الاستدلال على عدم وجود الإله ، هو لم يكن ينظر إلى هذا الأمر ، داروين كان إنسانًا مؤمنًا في بداية حياته ، وفي أواخر حياته صار لاأدريًّا ، فلمّا طرح النّظريّة كان إنسانًا مؤمنًا يعتقد بإله المسيحيّين ، ولم يكن هدفه من نظريّة التّطوّر إثبات عدم وجود الإله ، ولكن بعد ذلك استفاد الملحدون من هذه النّظريّة في إثبات عدم وجود الإله ، فصاحب النّظريّة لم يطرح نظريّته لهذا الغرض ، فهو طرح تفسيرًا ، أنت خذ هذه المعلومات الّتي وصل إليها داروين ، فهو ذهب إلى أمريكا ، وظلّ هناك خمس سنوات وهو يبحث في الأحافير

وبذل جهدًا كبيرًا ، وهذا الجهد يُشْكَرُ عليه ، عنده همّة وإرادة ، هو أعطانا تفسيرًا بأنّه يوجد تطوّر ضمن الكائنات ، وأنت لا بدّ أن تأخذ المعلومات الّتي وصل إليها وتعطي تفسيرًا جديدًا ، وتأتي بإشكالات على نظريّته ، ولا بدّ أن تكون عندك إشكالات قويّة ، فإذا لم يستطع أصحاب نظريّة التّطوّر أن يجيبوا على إشكالاتك فمعنى ذلك أنّ نظريّة التّطوّر نظريّة غير صحيحة .

إذن يوجد تطوّر في الكائنات بناءً على نظريّة داروين ، فإذا استطعت من خلال الأحافير أن تثبت أنّه في زمان واحد كانت جميع الكائنات موجودة ولم يحصل تطوّر لنوع من نوع آخر فهذا إشكال قويّ يَرِدُ على نظريّته ، وهذا كان موجودا في العصر الكامبريّ حيث بعض الكائنات الحيّة كانت موجودة ولم يوجد تطوّر ، وهذا إشكال قويّ يَرِدُ على نظريّة التّطوّر ، فما هو جواب أصحاب نظريّة التّطوّر ؟

فإذا لم يستطيعوا إعطاء الجواب فمعنى ذلك أنّ نظريّته غير صحيحة .

وسيأتي بحث تفصيليّ عن "نظريّة التّطوّر" إن شاء الله تعالى .

إذن :

أهمّ شيء في البحوث النّظريّة أن يكون عندك الدّليل ، وهذا الدّليل أنت مقتنع به ، ولكنّ الطّرف الآخر قد لا يكون مقتنعًا بدليلك ، فتأتي بإشكالات على دليله ، ولا بدّ أن تجيب على جميع الإشكالات الّتي تَرِدُ على دليلك ؛ لكي تثبت صحّة دليلك .

عندك أدلّة تثبت وجود الإله ، والطّرف الآخر غير ساكت ، وهو يعطي أدلّة على عدم وجود الإله ، ولا بدّ أن تناقش الأدلّة الّتي يطرحها ، ولا يكفي أن تقول : هو كافر ملحد .

هذا القول لا يقنع الطّرف الآخر ولا الأطراف الأخرى .

يقول لك : أنت ضعيف ، وهذا سلاح الضّعفاء .

لا بدّ أن تكون عندك أدلة قويّة مقنعة ، وتردّ على الإشكالات الّتي تطرح على أدلّتك ، وتشكل على أدلّة الآخرين ؛ لكي تكون إنسانًا قويّ الحجّة ، ولا يكفي أن تقول هو كافر ملحد .

حينما صار هذا المسلم ملحدًا – لا بدّ أن تعرف السّبب الّذي جعله ملحدًا ، قد يكون السّبب هو طرح المسلمين للدّين ، فطرح المسلمين ناقص ، والمسلمون لم يستطيعوا أن يبيّنوا الأدلّة الّتي تقنع الإنسان المسلم فضلًا عن الآخرين .

تقول : الله موجود ، ويجب عليك أن تؤمن به رغمًا عن أنفك .

نقول : اذْهَبْ إلى القرآن وانظر كيف يناقش الكفّار والمشركين ، واسْتَفِدْ من طريقة النّقاش القرآنيّ .

كان القرآن يفتح باب الحوار مع الأطراف الأخرى ، لذلك تجد في القرآن الكثير من الحوارات ، حتّى بالنّسبة للأنبياء عليهم السّلام حيث كانوا يحاورون أقوامهم ، لا أنّهم مباشرةً يقولون هم كفّار ، وتنتهي القضيّة .

ترى أنّ الإلحاد ينتشر لأنّ المسلمين لم يردّوا على أدلّة الملحدين ،

وترى هذا المسلم قد نشأ في بيئة مسلمة ، ولكن مناهج التّعليم لم تثبّت عنده الله ، وداخل البيت لا يتكلّمون عن الله ، يتكلّمون عن الفقه العمليّ فقط من الصّلاة والصّيام والحجّ ، فداخل البيت لا يوجد من يتكلّم في العقائد ، والطّفل ينشأ ضمن هذه البيئة ، وتقول له : لا تفكّر في الله ؛ لأنّك لا تصل إلى نتيجة .

والشّخص الآخر الّذي يتكلّم عن الإله ويقيم الأدلّة على عدم وجود الإله – سينقله من الإسلام إلى الكفر والإلحاد .

وأنت تقول له : لا تفكّر في الله .

والمفروض أنّ المسلم يفكّر في الله وفي الأدلّة الّتي تدلّ على وجود الله ، لا أن تدعوه إلى عدم التّفكير في الله ، والبعض يقول بأنّ التّفكير في الله حرام ، ويقول بأنّ الله خطّ أحمر .

نقول إنّ التّفكير في الله ليس محرَّمًا ، ولا بدّ أن توضّح بأنّ ذات الله مجهولة ، ولا يمكن الوصول إلى معرفتها ، فلا تفكّر في الله أي لا تفكّر في الذّات الإلهيّة ؛ لأنّك لن تصل إلى نتيجة في أمر مجهول تمامًا ، ولكن يمكنك أن تصل إلى معرفة الله من خلال صفاته وآثاره ، كما في مثال الشّخص الطّويل الّذي عرفته من خلال الصّفة ، وكذلك تعرف الله من خلال صفاته وآثاره ، الله عالم علمًا مطلقًا ، وقادر قدرة مطلقة ، حكيم سميع بصير ، وكذلك بقيّة الأسماء الحسنى المذكورة في القرآن ، وكذلك الصّفات المذكورة في القرآن والرّوايات والأدعية .

قل له بأنّه يمكن لنا أن نعرف الله من خلال صفاته وآثاره ، ولا تغلق باب التّفكير بأن تقول بأنّه يستحيل الوصول إلى معرفة الله ، نعم يستحيل معرفة ذات الله وكنهه وحقيقته ؛ لأنّها مجهولة تمامًا ، حتّى النّبيّ ص لا يعرف ذات الله ، ولكن يمكن معرفة صفاته وآثاره ، وحتّى النّبيّ صلّى الله عليه وآله يعرف الله من خلال الصّفات والآثار ، ولكن معرفته صلّى الله عليه وآله بالصّفات أكثر من معرفة جميع النّاس .

وحينما نقول : الله عالم – فأنت عندك تصوّر ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله عنده تصوّر ، ولكن تصوّر النّبيّ صلّى الله عليه وآله يكون تصوّرًا عاليًا راقيًا ، لا مثل تصوّراتنا ، فتصوّراتنا ناقصة .

وحينما يسمع الإنسان أنّ الله قادر على كلّ شيء – ففي بعض الأوقات لا يعتقد بقدرة الله المطلقة .

مثلًا الشّخص الّذي يصاب بمرض خبيث أوّل ما يخطر في باله هو أفضل طبيب ، لذلك يسأل عن الطّبيب الأفضل في علاج هذا المرض ، هو يغفل عن الله ، وأفضل طبيب هو الله ، هو الشّافي المعافي ، والطبيب هو واسطة في الشّفاء .

وقد يقول : دعوت الله كثيرًا ، ولم يَسْتَجِبْ لي ، وسأتوقّف عن الدّعاء .

يعتقد أنّ الله ليس شافيًا معافيًا ، وهذا هو اعتقاده الحقيقيّ ، وما كان يعتقده سابقًا من أنّ الله يشفي الأمراض كان اعتقادًا زائفًا .

نعتقد أنّ الله قادر على كلّ شيء ، ولكن أحيانًا نغفل عن ذلك ، ولا نطبّق هذه الصّفة ، ونعتقد أنّ الله شافٍ معافٍ ، ولكن أحيانًا لا ننظر إلى هذه الصّفة .

وقد يصل الإنسان أحيانًا إلى حدّ الكفر بالله تعالى .

يقول : يا ربّي ، ماذا فَعَلْتُ في الدّنيا حتّى تصيبني بهذا المرض ؟

هذا معناه أنّه لا يعتقد بحكمة الله ، فالله حكيم ، يُمْرِضُ هذا الشّخص ولا يُمْرِضُ الشّخص الآخر لحكمة وابتلاء وامتحان .

وأحيانًا لا يُفَعِّلُ الإنسان صفات الله تعالى ، ومعنى ذلك أنّ اعتقاده بأنّ الله قادر على كلّ شيء – ينمحي من قلبه ، وأنّ الله شافٍ – يزول من قلبه ، وأنّ الله حكيم – ينمحي من قلبه ، فهذه الصّفات يعتقد بها ، ومع ذلك يغفل عنها .

إذا كانت سيّارته تحتاج إلى تصليح فيأخذها إلى الميكانيكيّ ، ولكنّه يغفل عن وجود الله ، فهل الميكانيكيّ يمكنه أن يصلح السّيّارة بدون مشيئة الله تعالى ؟

يستحيل ذلك ، فيغفل عن مشيئة الله وإرادته وإذنه .

يمدح الطّبيب ويقول بأنّه أفضل طبيب في العالم ، ويغفل عن أنّ الله موجود خلف هذا الطّبيب ، وهذه الغفلة قد تحصل للجميع ، ولكن لا بدّ أن يُذَكِّرَ الإنسان نفسَه دائمًا بوجود الله ، تَذَكُّرِ الله في كلّ شيء من أبسط الأشياء إلى أعقدها ، وَادْعُ اللهَ في جميع حوائجك الدّنيويّة والأخرويّة .

يقول القرآن الكريم :

"**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** . . ." [١] .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "الدّعاء يَرُدُّ القضاءَ بعد ما أُبْرِمَ إِبْرَامًا ، فَأَكْثِرْ من الدّعاء ؛ فإنّه مفتاح كلّ رحمة ، ونجاح كلّ حاجة ، ولا يُنَالُ ما عند الله إلّا بالدّعاء ، وليس بَابٌ يَكْثُرُ قَرْعُهُ إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه" [٢] .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "سَلُوا اللهَ عزّ وجلّ ما بدا لكم من حوائجكم حتّى شِسْعِ النّعل ، فإنّه إن لم يُيَسِّرْهُ اللهُ لم يَتَيَسَّرْ" [٣] .

تَذْكُرُ اللهَ حتّى حينما ينقطع خيط النّعال أو الحذاء ، أي تذكره تعالى في أقلّ الأشياء ، بمشيئة الله أنت تصلح هذا الحذاء ، وبمشيئة الله أنت تتحرّك ، وبمشيئة الله أنت تتكلّم ، لو أنّ الله سبحانه في لحظة يغفل عن الكون فكلّ الكون يتدمّر ، لحظة واحدة ، لذلك لا نعتقد بالتّفويض وأنّ الله فوّض هذا الكون إلى أحد من عباده أو إلى الملائكة تفويضًا كاملًا ، الملائكة تدير الكون ، ولكنّ الله لم يرفع يده عن الكون ، "لم يرفع يده" بالمعنى المجازيّ أي تدبيره وإدارته للكون ، ولم يرفع قدرته ومشيئته وإرادته وتدبيره ، ولكنّنا نغفل عن ذلك ، لو أنّ الله سبحانه لا يلتفت إلى أيّ إنسان للحظة واحدة فإنّ هذا

---

[١] غافر : ٦٠ .

[٢] بحار الأنوار ج٩٠ ص٢٩٥ . أُبْرِمَ : أُحْكِمَ .

[٣] المصدر السّابق .

الإنسان يفنى وينتهي ، فأنت تتحرّك بمشيئة الله عزّ وجلّ ، وترفع يدك بمشيئة الله تعالى .

يقول القرآن الكريم :

"وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا" [1] .

الإنسان يتكلّم بمشيئة الله ، وفي كلّ خطوة يخطوها لا بدّ أن يحمد الله ويشكره ، يأكل الطّعام ، وفي كلّ لقمة لا بدّ أن يقول الحمد لله ربّ العالمين ؛ لأنّ الله جعل فيه القدرة على بلع الطّعام ، وبعض النّاس يفقدون هذه القدرة ، فيعطونهم التّغذية عن طريق توصيل الطعام بالوريد ، أو عن طريق أنبوب يدخلونه إلى المعدة ، في كلّ شيء يحتاج الإنسان أن يحمد الله ، كلّ إنسان لا فقط المسلم ، حتّى غير المسلم لا بدّ أن يشكر الإله الّذي يعتقد به ، لم يصل إلى إله المسلمين بسبب تشويه المسلمين لصورة الله أمام العالم ، فنحتاج إلى أن نحمد الله في كلّ خطوة نخطوها ، هذا بالنّسبة للإنسان المسلم ، ولغير المسلم أيضًا .

وتقول الآية الكريمة :

"قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ . . ." [2] .

الآية الكريمة تريد أن تقول إن وجود الله أمر بديهيّ عند كلّ إنسان ، وهذا الأمر لا بدّ أن نثبت بديهيّته .

---

[1] الإنسان : ٣٠ .

[2] إبراهيم : ١٠ .

كيف يمكن لنا أن نثبت أن وجود الله أمر بديهيّ لا يحتاج إلى برهان ؟

تارةً نأتي إلى الدّليل ، ونقول إنّ وجود السّماوات والأرض دالّ على وجود الله ، وهذا دليل خارجي .

نسأل :

هل يمكن إثبات وجود الله من غير الدّليل الخارجيّ ؟

الجواب :

نعم عن طريق الدّليل الفطريّ ، ولكن أوّلًا لا بدّ أن نثبت وجود شيء اسمه "الفطرة" ، وأنّ الإنسان عنده فطرة ، والمفروض أنّه في فطرة الإنسان توجد بعض القواعد الّتي تدلّ على وجود الله ، ولا بدّ أن يكون الأمر بديهيًّا لا نظريًّا ، ولا يحتاج إلى بحث طويل ، وحينما نبحث في الأدلّة الفطريّة فالهدف من البحث هو تنبيه كلّ إنسان إلى وجود هذه القواعد مُنْدَكَّةً في وجوده ، لا أنّه دليل نظريّ .

وسنأتي إلى هذا البحث في الدّليل الفطريّ الدّالّ على وجود الإله ووجود الله تعالى .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٦١)

مقدّمات إثبات وجود الإله

النّتيجة النّهائيّة لتصوّر الإله [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في التّصوّر عن الإله ، نأتي إلى تصوّرين يطرحهما المسلمون ، فيأتي البحث التّالي :

تصوّر الإله عند المسلمين :

الرّأي الأوّل :

الإله لا يَشْبَهُ شَيْئًا ولا يَشْبَهُهُ شَيْءٌ ، وهو ما يقول به علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، ويستندون إلى الآية الكريمة :

"لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" [٢] .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٦ ربيع الآخر ١٤٤١ هـ ، الموافق ٢٠١٩/١٢/١٣ م .

[٢] الشّورى : ١١ .

فالإله لا يوجد شيء مثله .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال : "مَنْ شَبَّهَ اللهَ بخلقه فهو مشرك ، إنّ الله تبارك وتعالى لا يَشْبَهُ شيئًا ولا يَشْبَهُهُ شَيْءٌ ، وكلّ ما وقع في الوهم فهو بخلافه" [1] .

أي تصوّر عن الإله يأتي إلى الذّهن يكون بخلاف الواقع ، وسنذكر بعض الرّوايات بعد ذلك ، فأيّ تصوّر يتصوّره الإنسان عن الله يكون تصوّرًا ناقصًا ، وكلّ شخص يتصوّر الله بطريقة ما ، وقلنا بأنّ الإنسان يتصوّر الإله بطريقة إجماليّة أي بوجه من الوجوه عن طريق تصوّر صفة من صفاته أو أثر من آثاره .

الرّأي الثّاني :

الإله يشبه الإنسان ، ودليلهم الآيات القرآنيّة الّتي فيها التّشبيه ، وأن الله له وجه ويد ، وكذلك دليلهم الرّوايات الّتي فيها تشبيه ، فالله سبحانه له جسم وأعضاء ، وهو رأي يتبنّاه بعض فرق المسلمين .

وتصوّرات المسلمين عن الله تصوّرات مختلفة ، والبعض يوصلها إلى عشرة تصوّرات ، مثلًا الصّفات عين الذّات أو الصّفات زائدة على الذّات ، وهذان تصوّران آخران .

إنّ فرق ومدارس المسلمين عندهم آراء مختلفة عن الله سبحانه ، وهذه الآراء المختلفة مبنيّة على النّصوص الدّينيّة ، فكلّ فرقة تأتي بآيات وروايات ، فعندهم الدّليل وهو النّصّ الدّينيّ ، ولكن تختلف

---

[1] التّوحيد للشّيخ الصّدوق ص٨٠ .

القراءات ، وهذا ما يسمّى بـ "قراءة النّصّ الدّينيّ" ، فقراءات المسلمين للنّصوص الدّينيّة قراءات مختلفة ، وأفهام العلماء للنّصوص الدّينيّة أفهام مختلفة حتّى ضمن المدرسة الواحدة ، فالنّظريّات الّتي تتبنّاها الفرق أو العلماء نظريّات مختلفة .

وعلماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يعتمدون على الأدلّة العقليّة والنّصوص الدّينيّة ، فيعتمدون على العقل والنّقل ، وبعض فرق المسلمين يرفضون الأدلّة العقليّة ويعتمدون على النّصوص الدّينيّة فقط ، فيعتمدون على النّقل دون العقل ، وأمّا مدرسة أهل البيت عليهم السّلام فيعتمدون على العقل والنّقل ، بل إنّ العقل حاكم على النّصّ ، فإذا وُجِدَ دليل عقليّ قطعيّ فهذا الدّليل يكون حاكمًا على النّصّ الدّينيّ .

ويوجد دليل عقليّ قطعيّ دالّ على أنّ الله ليس بجسم ، فحينما نأتي إلى الآية الكريمة :

"يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" [1] .

نؤوّل اليد لأنّ العقل هو الحاكم ، ولولا العقل لأخذنا بظواهر الآيات وقلنا بأنّ الله له يد ، فما دام أنّ الآية تقول بأنّ لله يدًا – فنقول بظاهر الآية وأنّ لله جسمًا ويدًا ، ولكنّ العقل ينفي الجسميّة وكون الله له أعضاء ، فنؤوّل الآية بمعنى قدرة الله وقوّته ، فاليد كناية عن القدرة والقوّة كما ورد في علم البلاغة من علوم اللّغة العربيّة .

---

[1] الفتح : ١٠ .

ونسألهم : كيف تكون يد الله سبحانه ؟

فيقولون : لا نعلم الكيفيّة ، فهو جسم لا كالأجسام ، ويد لا كالأيدي ، فالنّصّ يقول بأنّ الله له يد ، فنقول بأنّ له يدًا ، وتقول الآية بأنّ له وجهًا ، فنقول بأنّ له وجهًا ، ولكن لا نعرف الكيفيّة .

وأمّا مدرسة أهل البيت عليهم السّلام فتعتمد على العقل والنّقل ، والعقل هو الحاكم ، لذلك من أوّل القرآن إلى آخره ومن أوّل باب في الرّوايات إلى آخر باب يكون العقل حاكمًا على جميع الآيات والرّوايات ، وفي أيّ موضع نحتاج إلى الدّليل العقليّ فالدّليل العقليّ يكون حاكمًا ، طبعًا الدّليل العقليّ القطعيّ .

إذن :

قراءة النّصّ الدّينيّ وفهم النّصّ الدّينيّ مختلفان بين المدارس ، وبين العلماء في ضمن المدرسة الواحدة ، حتّى في المدرسة الواحدة تختلف آراء العلماء ، لذلك في الفقه العمليّ يوجد اختلاف الفتاوى بين العلماء بناءً على قراءة النّصّ الدّينيّ وفهمه عند كلّ عالم .

وعند علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يوجد من يعتمد على العقل ، وبعض العلماء يقولون بعدم الاعتماد على العقل ، فلا يأخذون بالدّليل العقليّ .

وبعض العلماء يقولون بأنّ القرآن يمكن أن نفهمه ، وبعض العلماء يقولون بأنّ القرآن لا يفهمه إلّا من خوطب به ، وهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام ، فهم وحدهم يفهمون القرآن ،

ولا أحد من النّاس يمكنه فهم القرآن .

ويأتي إشكال على هذا الرّأي ، وهو أنّ القرآن في بعض آياته يخاطب النّاس ، فيقول : **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** .

فيقولون لا نفهم شيئًا إلّا أن يأتي المعصوم عليه السّلام ويفسّر لنا هذه الآية الكريمة .

وهذان الرّأيان موجودان ضمن آراء علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .

إذن :

قراءات النّصّ الدّينيّ وأفهام العلماء عن النّصّ الدّينيّ قراءات وأفهام مختلفة حتّى ضمن المدرسة الواحدة .

وهذا الاختلاف ينشأ من المقدّمات الّتي يستند إليها العلماء والقواعد الّتي يتبنّاها كل واحد منهم ، وبناءً على هذه المقدّمات والقواعد والمباني تختلف آراء العلماء ، لذلك جميع الآراء تُعْتَبَرُ ضمن دائرة الإسلام ؛ لأنّ جميع الآراء تعتمد على النّصوص الدّينيّة ، وهذه الفرقة تعتمد على كتب معيّنة ، والفرقة الأخرى تعتمد على كتب أخرى .

أنت تقول : هذه نصوص أهل البيت عليهم السّلام .

وهو يقول : أنا عندي نصوص عن النّبيّ صلى الله عليه وسلّم .

أنت لا تقبل مصادره ، وهو لا يقبل مصادرك ، ولكن هذا نصّ دينيّ موجود عنده ، فكما تعتقد بالنّصّ الموجود عندك هو يعتقد

بالنّص الموجود عنده ، لذلك جميع الآراء تُعْتَبَرُ ضمن نطاق الإسلام والمسلمين ، طبعًا الواقع واحد ، واختلاف الآراء ينشأ من اختلاف الأدلّة ، والإنسان يحاول أن يصل إلى معرفة الحقيقة عن طريق الأدلّة ، ولا يوجد طريق آخر إلى الحقيقة ؛ لأنّ الحقيقة غير مكشوفة عند الإنسان ، فيعتمد على الدّليل ، فيقول بأنّ هذا النّصّ يدلّ على أنّ الله له جسم ، والشّخص الآخر يقول بأنّ هذا النّصّ يدلّ على أنّ الله ليس له جسم ، وهذا المقدار من الاختلاف في الآراء مسموح به ، ولكنّ الخطورة تنشأ حينما تأتي فتاوى التّكفير وفتاوى القتل بين فرق المسلمين .

إنّ جميع آراء علماء المسلمين تكون ضمن دائرة الإسلام ؛ لأنّها مبنيّة على النّصوص الدّينيّة ، ولو أنّنا نرى أنّ الجميع مسلمون ، ولكن بينهم اختلاف الآراء كما أنّه في المدرسة الواحدة يوجد اختلاف الآراء – لما نشأ التّكفير بين فرق المسلمين ، فأنت ترى أنّ هذا رأيه ، وأنت عندك رأي آخر مختلف عن رأيه ، وكما أنّه في المذهب الواحد يوجد اختلاف الآراء ، ونتقبّل اختلاف الآراء ضمن المذهب الواحد ، كذلك نتقبّل اختلاف الآراء ضمن فرق المسلمين ، وكما أنّك مخلص ، هو أيضًا مخلص ، ويعتقد أنّ هذا هو الإسلام ، وأنت تعتقد أنّ هذا هو الإسلام ، ولا نتكلّم عن المغرضين ، وكلّ طرف لا يمكنه اعتبار جميع العلماء من الأطراف الأخرى مغرضين ، نعم هناك البعض يحاولون أن يحدثوا الفرقة بين المسلمين ، كان من

هذا الاتّجاه أو من الاتّجاه الآخر ، لذلك أيّ شخص من أيّ اتّجاه كان إذا أراد أن يحدث الفرقة بين المسلمين أو بين النّاس بشكل عامّ فإنّ أمره مريب .

لا بدّ أن نتقبّل اختلاف الآراء بين المسلمين ، هذا رأيك ، وذاك رأيه ، واختلاف الآراء أمر طبيعيّ بين النّاس ، حتّى في داخل البيت الواحد ، أنت عندك رأي ، وزوجتك عندها رأي آخر ، وولدك له رأي ثالث ، وليس بالضّرورة أنّ أولادك يتبنّون نفس آرائك دائمًا ، وتجد اختلاف الآراء بين الأولاد ، فالبعض يتّفق مع رأيك ، والبعض لا يتّفق معك ، فلا بدّ أن نتقبّل اختلاف الآراء ، وهذا أمر مهمّ ، ولكنّ المشكلة أنّ تربية النّاس تكون على الرّأي الواحد دائمًا ، ففي البيت يريد الأب أن يكون رأيه هو المسيطر ، ولا يريد مخالِفًا لرأيه ، والحاكم يريد جميع الشّعب على رأيه ، ومن يخالفه وينتقده إمّا أن يُقْتَلَ وإمّا أن يُسْجَنَ ، فيكون من شهداء الرّأي أو سجناء الرّأي ، وجريمته العظمى هي أنّه أعطى رأيًا مخالِفًا لرأي الحاكم .

إنّ اختلاف الآراء أمر طبيعيّ ، ولا بدّ أن نتقبّل هذا الأمر الطّبيعيّ ، ولا يمكن أن تطلب من جميع النّاس أن يكونوا نُسَخًا منك ، فالحاكم يريد هذا من الشّعب ، والأب يريد هذا من أولاده ، ومن عنده سلطة يريد ممّن يكونون تحت سلطته أن يتابعوه في جميع آرائه ، ويوافقوا على جميع مقترحاته ، وهذا خطأ ، فلا بدّ أن نتقبّل اختلاف الآراء بين النّاس .

إذن :

قراءة النّصّ الدّينيّ تكون مبنيّة على النّظريّات الّتي يتبنّاها العالم ، وضمن النّظريّة الواحدة والقراءة الواحدة توجد أفهام متعدّدة للعلماء ، فاختلاف الآراء ناشئ من اختلاف النّظريّات والقراءات واختلاف الأفهام .

الرّجوع إلى الموضوع :

نأتي إلى النّتيجة النّهائيّة في موضوع "تصوّر الإله" .

النّتيجة النّهائيّة :

إذا أراد أيّ شخص أن يقيم دليلًا على إثبات شيء أو على نفي شيء فأوّلًا لا بدّ أن يوجد عنده تصوّر عن هذا الشّيء الّذي يريد أن يثبته أو ينفيه .

وقلنا إنّ اتّصال الإنسان بالخارج يكون عن طريق التّصوّرات ، ولا يستطيع الإنسان أن يتعامل مع الخارج بشكل مباشر ، وإنّما يتعامل مع الخارج بواسطة التّصوّرات .

أوّلًا هذا الشّيء لا بدّ أن يكون مُتَصَوَّرًا لكي يُثْبِتَهُ أو يَنْفِيهِ ، ومن يريد أن يثبت وجود الإله ، وبالنّسبة للمسلم وجود الله ، أو يريد أن ينفي وجود الإله أو وجود الله فلا بدّ أن يوجد عنده تصوّر عن الإله الّذي يريد إثبات وجوده أو نفي وجوده .

والتّصوّرات عن الإله مختلفة من شخص إلى آخر ، فيثبت الشّيء المتصوَّر عنده أو ينفي الشّيء المتصوَّر عنده .

ويمكن تصوّر الإله بوجه من الوجوه عن طريق صفاته وآثاره ، أي تصوّر الإله تصوّرًا إجماليًّا ؛ لأنّ حقيقة الإله وذاته وكنهه يستحيل معرفتها ، ولا يمكن الوصول إلى معرفة ذات الإله ، وما دام أنّه يمكن تصوّر الإله تصوّرًا إجماليًّا فإنّه يمكن إصدار حكم عليه ، فنقول : الإله موجود ، فحكمنا بوجود الإله ، فلا بدّ أن يكون عندك تصوّر عن الإله وتصوّر عن الوجود ، وبعد ذلك تنسب الوجود إلى الإله ، وفي المنطق يقولون عندنا تصوّر عن الموضوع وهو الإله ، وتصوّر عن المحمول وهو الوجود ، وتصوّر عن النّسبة بين الموضوع والمحمول ، وهي العلاقة بين الموضوع والمحمول ، فتحكم بوجود الإله .

وبالنّسبة لمن يثبت وجود الإله نسأله : ما هو الدّليل على وجود الإله ؟

وبالنّسبة لمن ينفي وجود الإله نسأله : ما هو الدّليل على عدم وجود الإله ؟

والمؤمن والملحد يحتاجان إلى الدّليل لإثبات مدّعاهما ، فالمؤمن يدّعي أنّ الإله موجود ، والملحد يدّعي أنّ الإله غير موجود .

والبحث يكون عن الأدلّة الّتي تدلّ على وجود الإله أو الأدلّة الّتي تدلّ على نفي وجود الإله ، فيأتي بحث إثبات وجود الإله الخالق العالم القادر الحكيم الحيّ المريد المختار ، ومن خلال تصوّر هذه الصّفات يريد المؤمن أن يثبت وجود هذه الصّفات للإله المتصوَّر عنده ، ويقيم الأدلّة على إثبات وجوده ، والملحد يتصوّر الإله أيضًا ويحكم بأنّه غير

موجود ، ويقيم الأدلّة على إثبات عدم وجوده .

فأوّلًا نتصوّر الإله بواسطة صفاته وآثاره ، وبعد ذلك نصدر الحكم عليه ، فنحتاج إلى أن نتصوّر الإله أوّلًا لكي يمكننا إصدار الأحكام عليه ثانيًا ، فنقول إنّ الإله موجود أو الإله عالم أو الإله قادر ، وهذا كلّه يحتاج إلى إثبات .

والمسلم يحاول أن يثبت أنّ هذا الإله هو الإله الّذي يعتقد به وهو الله إله المسلمين بل إله العالم كما نعتقد ، والمقدار الّذي نثبته في الخطوة الأولى هو وجود إله خالق للكون ، وفي الخطوة الثّانية لا بدّ أن تثبت أنّ هذا الإله هو إله المسلمين ، وكذلك اليهوديّ لا بدّ أن يثبت أنّه إله اليهود ، والمسيحيّ لا بدّ أن يثبت أنّه إله المسيحيّين ، وكلّ دين أو فرقة لا بدّ أن يثبتوا أنّه الإله الّذي يعتقدون به ، والتّصوّر يكون قبل الحكم ، والتّصوّرات تختلف بين الأديان ، وبين الفرق في الدّين الواحد .

والمؤمن يتصوّر الإله في ذهنه أوّلًا لكي يثبت أنّه موجود في الخارج فعلًا ، والملحد يتصوّر الإله في ذهنه أوّلًا لكي يثبت أنّه غير موجود في الخارج فعلًا ، وكلّ شخص لا بدّ أن يقدّم تصوّره عن الإله قبل أن يثبت وجوده أو ينفي وجوده ، ومن الضّروري أن يحدّد الإله المتصوَّر عنده لأنّ الإثبات والنّفي يقعان على هذا الإله المتصوَّر .

ومن الممكن أنّ المؤمن يثبت ما لا ينفيه الملحد ، والملحد ينفي ما لا يثبته المؤمن ، فهما يتكلّمان عن إلهين مختلفين ، لذلك في البداية

قبل النّقاش والحوار لا بدّ أن يتّفق المؤمن والملحد على الإله الّذي يتكلّمان عنه ؛ لكي يكون الكلام عن إله واحد متّفق عليه بينهما .

وكلّ إنسان عنده تصوّر عن الإله مختلف عن تصوّر الإنسان الآخر ، حتّى بالنسبة للمسلمين ، الجميع مسلمون ، ولكن كلّ مسلم يتصوّر الإله بكيفيّة تختلف عن كيفيّة تصوّر المسلم الآخر ، ويقال بأنّ الطّريق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ، فأنت لك طريق إلى الله عزّ وجلّ ، وهو له طريق آخر إلى الله تعالى .

وكلّ إنسان يتصوّر الإله بطريقته الخاصّة ، فيعرف الإله من خلال صفاته الجماليّة وصفاته الجلاليّة بقدر طاقته وسعة منظومته المعرفيّة ، وبناء على الدّائرة المعرفيّة الموجودة عنده يتصوّر الإله ، وتصوّر الإله يكون بقدر الإنسان لا بقدر الإله .

يقول الآلوسيّ في تفسيره روح المعاني في تفسير سورة آل عمران : "فما عرفه العارفون من حيث هو ، وإنّما عرفوه من حيث هم" .

يتصوّر الإنسان الإله بناءً على الفكر الموجود عنده لا بناءً على حقيقة الإله .

يقول القرآن الكريم :

"مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" [1] .

وتوجد ثلاث آيات في القرآن الكريم فيها عبارة : مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ .

---

[1] الحجّ : ٧٤ .

وكلّ إنسان لا يمكن له أن يعرف قدر الله حتّى الإنسان المؤمن ، وتعامل المؤمنين مع الله مختلف بناءً على الدّرجة الإيمانيّة الّتي يكون فيها ، فبعض المؤمنين يتعاملون مع الله عزّ وجلّ معاملة التّجّار .

يقول : يا ربّي ، أنا أصلّي ، فأعطني ثوابًا في مقابل صلاتي .

هذه عبارة عن تجارة ، شيء في مقابل شيء ، خذ وهات .

والبعض يتعامل مع الله عزّ وجلّ معاملة العبيد ، سيّد وعبد ، فيتحرّك على أساس الخوف .

والقليل يتعاملون على أساس أنّ الله عزّ وجلّ أهل للعبادة فيعبدونه شكرًا له على نعمه الّتي لا تحصى .

"وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ" [1] .

"وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ" [2] .

". . . وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ" [3] .

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام في نهج البلاغة : "إنّ قومًا عبدوا الله رَغْبَةً فتلك عبادة التّجّار ، وإنّ قومًا عبدوا الله رَهْبَةً فتلك عبادة العبيد ، وإنّ قومًا عبدوا الله شُكْرًا فتلك عبادة الأحرار" .

---

[1] الأعراف : ١٠ .

[2] المؤمنون : ٧٨ .

[3] سبأ : ١٣ .

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام في مناجاته : "إلهي ما عبدتك خَوْفًا من عقابك ، ولا طَمَعًا في ثوابك ، ولكن وجدتك أهلًا للعبادة فعبدتك" .

وهؤلاء من القلّة ، وهم الّذين يتعاملون مع الله عزّ وجلّ على أساس أنّه إله أهل للعبادة ، وعبدوه انطلاقًا من الشّكر ، لا خوفًا من العقاب ، ولا طمعًا في الثّواب .

والمستويات الإيمانيّة والفكريّة لكلّ إنسان تؤهّله للتّعامل مع الله بما يكون متناسبًا مع هذه المستويات ، ومن يكون في أعلى مستوى يعمل كما يعمل النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام .

وفي تعاملنا مع الله تعالى لا بدّ أن نعرف قدر الله ، وأحيانًا يطلب الإنسان من الله شيئًا ، ولكنّه في قرارة نفسه يشكّ بأنّ الله سبحانه قادر على هذا الطّلب ، ويحدّث نفسه بأنّ هذا الشّيء لا يمكن أن يحصل عليه ، فهو لم يعرف قدر الله حقّ المعرفة .

وحينما تدعو فلا بدّ أن تثق بالإجابة لأنّ الله مجيب الدّعوات دائمًا ، وإذا كان هناك مانع فالمانع يكون من جهة العبد لا من جهة الله ، وحينما تدعو فلا بدّ أن تعتقد بأنّ الله قادر على كلّ شيء ، وبناءً على هذا الاعتقاد يدعو الإنسان .

والبعض يقول : دعوت الله كثيرًا ، والله لم يَسْتَجِبْ لي ، لذلك سأتوقّف عن الدّعاء .

هذا الشّخص لم يعرف الله حقّ قدره ؛ لأنّ الله يريد منه أن

يستمرّ في الدّعاء ، واعتقاده بقدرة الله المطلقة اعتقاد ضعيف ، وقد يشكّ أيضًا بعلم الله ، وكأنّ الله لا يعلم بحاله ، فيعتقد ما دام أنّه في ضمن سبعة مليارات إنسان فالله لا يسمعه ولا يراه ، فما قدر الله حقّ قدره ، وكذلك بالنّسبة للصّفات الأخرى لله تعالى ، ترى مريضًا وآخر صحيح الجسم .

هذا المريض يقول : لماذا يمرضني الله ؟

هو يشكّ في حكمة الله ، فلا يعرف قدر الله سبحانه .

إنّ صفات الله حينما يتعامل معها النّاس يغفلون عن أنّها صفات مطلقة ، ولا بد أن يتعاملوا على أساس معرفة قدر الله عزّ وجلّ .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : "كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم" [١] .

تقول : إنّ تصوّري عن الإله أفضل من تصوّر غيري .

فنقول : يظلّ هذا التّصوّر تصوّرًا مخلوقًا ؛ لأنّك أنت الّذي أوجدت هذا التّصوّر ، فهذا التّصوّر مخلوق مصنوع ، ولا يمكن أن يكون التّصوّر المصنوع المخلوق هو الخالق ، لذلك كل ما يميّزه الإنسان في ذهنه في أدقّ المعاني والتّصوّرات وأفضل تصوّر عن الله سبحانه فهو مخلوق مصنوع أوجده ذهن هذا الإنسان .

ثمّ يقول الإمام الباقر عليه السّلام في تتمّة كلامه السّابق : "ولعلّ النّمل الصّغار تتوهّم أنّ لله تعالى زبانيتين ، فإنّ ذلك كمالها ، ويتوهّم

---

[١] بحار الأنوار ج٦٦ ص٢٩٣ .

أنّ عدمها نقصان لمن لا يتّصف بهما ، وهذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به" .

النّملة عندها قرون استشعار ، فتتصوّر أنّ الإله عنده قرون مثلها ، والنّملة تعتقد أنّ قرون الاستشعار عبارة عن كمال ، فتعتقد أنّ هذا الكمال موجود لله سبحانه ، والإنسان يتصوّر أنّ العقل هو الكمال ، فيعتقد أنّ الإله عنده عقل ، لذلك بعض الكتّاب الغربيّين يقولون "عقل الإله" ، ولا يوجد عندهم تعبير آخر ، والإنسان صاحب العقل يتصوّر الإله بطريقة معيّنة ، ويظنّ بأنّ هذا التّصوّر هو التّصوّر النّهائيّ لله سبحانه ، ولكن هذا التّصوّر شيء مخلوق مصنوع ، وما دام أنّه مخلوق فهو مردود عليه ؛ لأنّ المخلوق يستحيل أن يكون هو الخالق .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "ما عبدناك حقّ عبادتك ، وما عرفناك حقّ معرفتك" [١] .

النّبيّ صلّى الله عليه وآله يقول هذا القول ، فما بالك بنا نحن ، كيف نعرف الله حق قدره ؟!

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "لو عرفتم الله حقّ معرفته لزايلت بدعائكم الجبال الرّاسيات ، ولا يبلغ أحد كنه معرفته" . فقيل : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : "ولا أنا ، الله أعلى وأجل أن يطّلع أحد على كنه معرفته" [٢] .

---

[١] بحار الأنوار ج٦٨ ص٢٣ .

[٢] عوالي اللّئالي لابن أبي جمهور الأحسائي ج٤ ص١٣٢ ح٢٢٥ .

وفي نصّ آخر : "لزالت لدعائكم الجبال" .

أيّها الإنسان ، بدعائك يمكنك أن تحرّك الجبال من أماكنها ، فالإنسان حينما يدعو وأمامه جبل هل يعتقد أنّ الله قادر على كلّ شيء أو لا ؟

من طبيعة الإنسان أنّه يظنّ أنّه لا توجد قوّة يمكنها أن تنقل الجبل من مكانه إلى مكان آخر .

لو كان الإنسان يعتقد أنّ الله قادر على كلّ شيء ويدعو مع هذا الاعتقاد فالله يزيل الجبل من مكانه ، ولكن اعتقاداتنا اعتقادات ضعيفة ، ومهما عرفنا الله فيستحيل أن نصل إلى معرفة ذات الله وكنهه وحقيقته ، وحتّى النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا يعرف ذات الله ، نعم معرفة النّبيّ صلّى الله عليه وآله بالله أفضل من جميع النّاس ، ولكنّه صلّى الله عليه وآله لا يصل إلى معرفة الذّات لأنّ ذات الله وحقيقته وكنهه مجهولة حتّى للنّبيّ صلّى الله عليه وآله .

سئل رسول الله صلى الله عليه وآله : ما معرفة الله حقّ معرفته ؟ قال : "تعرفه بلا مِثْلٍ ولا شبه ولا ندّ ، وأنّه واحد أحد ، ظاهر باطن ، أوّل آخر ، لا كفو ولا نظير ، فذلك حقّ معرفته" [1] .

ليست تعابير سهلة ، تعرف الله بلا مِثْل ، فليس له مثيل ، ولا شبه ، فليس له شبيه ، وليس له ندّ .

بمجرّد ما يقع الإنسان في مشكلة أوّل ما ينتقل ذهنه إلى من ؟

---

[1] مشكاة الأنوار للشّيخ أبي الفضل عليّ الطّبرسيّ ص٤٠ .

إلى الله أو إلى إنسان مثله ؟

يقول : هذا الشّخص يحلّ مشكلتي .

يسأل : من هو أفضل طبيب ؟

يقال له : فلان .

هو يغفل عن الله ، فالله هو الشّافي المعافي ، والطّبيب عبارة عن واسطة فقط .

على الإنسان أن يرى نفسه حينما يقع في مشكلة إلى من يلجأ أوّلًا ؟

إذا كان الله فهو نعم المؤمن ، وأمّا إذا انتقل ذهنه إلى شخص آخر مثله فهو يعتقد أنّ لله مثلًا وشبهًا ونِدًّا وكفوًا ونظيرًا .

يقول : هذا الطّبيب شفاني ، وأعطاني الصّحّة والعافية .

هو يغفل عن أنّ الطّبيب واسطة الشّفاء ، فهو يصف الدّواء ، والمريض يأخذ الدّواء ، وتأثير الدّواء في الجسم بيد الله تعالى لا بيد الطّبيب .

طبعًا معرفة الله عزّ وجلّ حقّ المعرفة بقدر طاقة الفرد وسعة منظومته المعرفيّة ، وهذه المعرفة تكون عن طريق الصّفات والآثار ، وفي الرّواية ذكر النّبيّ صلّى الله عليه وآله صفات الله سبحانه .

عن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السّلام : ". . . وإنّ معرفة الله عزّ وجلّ أن يُعْرَفَ بالوحدانيّة والرّأفة والرّحمة والعزّة والعلم والقدرة ، والعلوّ على كلّ شيء ، وأنّه النّافع الضّارّ ، القاهر

لكلّ شيء ، الّذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللّطيف الخبير . . ." [1] .

ذكر الإمام زين العابدين عليه السّلام صفات أخرى لله عزّ وجلّ ، فمعرفة الله سبحانه تكون من خلال الصّفات .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام في دعاء الصّباح : ". . . يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ . . ." [2] .

إذا كانت معرفة ذات الله مستحيلة فكيف يدلّ الله على ذاته بذاته ؟

نأتي إلى شرح المقطع :

الشّرح الأوّل :

حينما يريد النّاس أن يتوصّلوا إلى وجود الله يوجد طريقان :

الطّريق الأوّل :

هو الطّريق العام ، وهو طريق معظم النّاس ، وهو أن يرى الإنسان الأثر فينتقل إلى المُؤَثِّر ، يرى السّماوات والأرض فينتقل إلى وجود الله عزّ وجلّ ، وهذا هو الطّريق العام عند معظم النّاس ، فينتقل من المخلوق إلى الخالق ، فما دام أنّه توجد مخلوقات فيوجد خالق ، فيكون الانتقال من ممكن الوجود إلى واجب الوجود ، وهذا طريق أكثر النّاس ، فما دام أنّه يوجد ممكن الوجود فإنّه يوجد واجب

---

[1] الكافي ج٥ ص٣٦ ح١ .

[2] بحار الأنوار ج٩١ ص٢٤٣ .

الوجود ، ومن أدلّة إثبات وجود الإله دليل الإمكان ، وسنأتي إلى هذا الدّليل فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الطّريق الثّاني :

وهو طريق قليل من النّاس ، وهو أن ينتقل من الخالق إلى الخالق ، فأوّل ما يبدأ من الخالق ، فيقول يوجد خالق للكون ، وبعد ذلك ينتقل إلى المخلوقات ، فيقول بوجود المخلوقات ، فينتقل من الخالق إلى المخلوقات ، فما دام أنّه يوجد خالق فتوجد مخلوقات ، نقول أوّلًا يوجد واجب الوجود ، وبعد ذلك نقول يوجد ممكن الوجود ، وواجب الوجود قبل ممكن الوجود ، فالانطلاقة تكون من واجب الوجود إلى ممكن الوجود ، فما دام أنّه يوجد واجب الوجود فإنّه يوجد ممكن الوجود .

الشّرح الثّاني :

يا من دلّ على ذاته بذاته ، وصفات الله عين ذاته ، فيا من دلّ على ذاته بصفاته الّتي هي عين ذاته ، فننتقل من الصّفات الّتي هي عين الذّات إلى الذّات ، فانتقلنا من الذّات إلى الذّات ، فدلّ على ذاته بذاته .

إذن :

توجد عدّة طرق إلى الإله الخالق : الأوّل : عن طريق الخلق إلى الخالق ، والثّاني : عن طريق الخالق إلى الخالق ، والثّالث : عن طريق صفات الخالق إلى الخالق ، والصّفات هي عين الذّات .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال : جاء حبر إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، هل رأيت ربّك حين عبدته ؟ فقال عليه السّلام : وَيْلَكَ ، ما كنت أعبد رَبًّا لم أره . قال : وكيف رأيته ؟ قال : وَيْلَكَ ، لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان [1] .

رؤية الله سبحانه تكون عن طريق القلب والبصيرة لا عن طريق البصر ، فمثلما أنّ الجسم له عينان ، كذلك الرّوح لها عينان ، يوجد بصر وبصيرة ، وتدرك وجود الله لا عن طريق البصر ، وإنّما عن طريق البصيرة ، وحينما يصعد الإنسان في درجات الإيمان يعرف الله أكثر ، فيدركه بحقائق الإيمان عن طريق البصيرة ، ولرؤية الله تعالى مراتب مختلفة بحسب الدّرجة الإيمانيّة للإنسان .

وبعد أن ذكرنا آيات قرآنيّة وذكرنا بعض الرّوايات من مدرسة أهل البيت عليهم السّلام – نوجّه النّداء التّالي إلى العالم كلّه ، فنقول :

ليسمع كلّ من لا يعتقد بالإسلام آياتِ القرآن الكريم وكلماتِ المعصومين عليهم السّلام من النّبيّ محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السّلام وفاطمة الزّهراء سيّدة نساء العالمين عليها السّلام والأئمّة من العترة الطّاهرة عليهم السلام ، وسيجد فيها الإسلام الصّافي الّذي لا يكدّره شيء .

ولا يمكن للملحدين أن يبرّروا إلحادهم وتركهم للإسلام بأن يقولوا

---

[1] الكافي ج١ ص٩٧-٩٨ ح٦ .

إنّ الإسلام ليس فيه حرّيّة ولا عدالة ولا مساواة ولا إنسانيّة ، وأن يقولوا إنّ الإسلام دين العنف والقتل ومصادرة الحرّيّات ، والملحدون ينظرون إلى دين الإرهابيّين ، وإلى دين حكّام الجور والضّلال ، نعم دين هؤلاء لا يمثّل الإسلام في شيء ، هؤلاء ذهبوا إلى عين كدرة ، وليأتوا إلى العين الصّافية ليأخذوا الإسلام منه ، إسلام القرآن والنّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام ، ليأخذوا الإسلام من مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .

ونحن لا نكفّر الآخرين ، لهم قراءاتهم وأفهامهم ، ولكن عندنا العين الصّافية ، فإذا أخذ الملحدون الإسلام من مدرسة أهل البيت عليهم السّلام حينذاك سيغيّرون رأيهم عن الإسلام ، وسيرون الإسلام العالميّ الّذي يصلح لكلّ زمان ومكان ، ويصلح لحلّ جميع مشاكل البشريّة ، وسيرون الإنسانيّة والعدالة والرّحمة والمساواة والحرّيّة الفكريّة والحرّيّة الدّينيّة والحرّية الاعتقاديّة ، ويجدون كلّ هذا ضمن مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .

ونحن في هذه المحاضرات نريد أن نثبت أنّ مدرسة أهل البيت عليهم السّلام تعطينا الإسلام العالميّ من خلال القرآن الكريم وروايات النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام ، وهذا وضّحناه في منهج البحث ، وأنّ الإسلام الصّافي يؤخذ من القرآن الكريم والنّبيّ صلّى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة عليهم السّلام استنادًا إلى آية التّطهير وحديث الثّقلين ، وبعد ذلك أضفنا مصدرًا مهمًّا إلى مصادر

استنباط الأحكام الدّينيّة ، وهذا المصدر هو العقل .

آية التّطهير هي :

"إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا" [1] .

وحديث الثّقلين هو :

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "إنّي مُسْتَخْلِفٌ فيكم خليفتين : كتاب الله وعترتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض" [2] .

وعنه صلّى الله عليه وآله : "إنّي تارك فيكم الثّقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض ، ما إن تمسّكتم بهما لم تضلّوا" [3] .

ومصادر استنباط الأحكام هي القرآن الكريم والنّبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته الطّاهرين عليهم السّلام ، بالإضافة إلى العقل ، والاستناد إلى العقل نأخذه من القرآن الكريم والرّوايات الشّريفة ، فتوجد آيات كثيرة تقول : يَعْقِلُونَ وَتَعْقِلُونَ ، وكذلك توجد عشرات أو مئات الرّوايات عن العقل .

وحينما نصل إلى موضوع "محوريّة العقل" نأتي إلى الآيات الّتي فيها

---

[1] الأحزاب : ٣٣ .

[2] بحار الأنوار ج٢ ص٢٢٦ .

[3] المصدر السّابق .

تصريفات العقل ، والرّوايات الّتي تتحدّث عن العقل وأهمّيّته ، ودور العقل بالنّسبة للإنسان في هذا العالم ، ودور العقل بالنّسبة للأحكام الدّينيّة .

إذن :

العين الصّافية موجودة في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، ونكرّر أنّنا لا نكفّر أتباع المذاهب الأخرى الّذين لهم قراءات وأفهام أخرى للنّصوص الدّينيّة ، والأديان الأخرى تصل إلى بعض الحقائق ، ولكن في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام نصل إلى أكثر الحقائق ، ولا يمكن لأحد أن يصل إلى الحقائق الكاملة في كلّ شيء ، وهذه طبيعة الأدلّة ؛ لأنّ كثيرًا من الأدلّة هي أدلّة ظنّيّة ، نعم من خلال الدّليل الظّنيّ نحاول أن نصل إلى معرفة الحقائق ، ونحن نعتقد أنّه لا يمكن الوصول إلى معرفة أكثر الحقائق إلّا عن طريق مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٦٢)

مقدّمات إثبات وجود الإله

التّصوّرات المختلفة عن الإله [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

مقدّمة :

توجد محاضرات وكتابات للعلماء عن الملحدين والرّدّ على إشكالاتهم ، وخلاصة هذه المحاضرات والكتب تجدها في طيّات المحاضرات السّابقة واللّاحقة ، ونستفيد من العلماء وغير العلماء ، ومن المسلمين وغير المسلمين ، فنسمع للجميع ، ونأخذ منهم النّقاط الّتي تفيدنا في محاضراتنا ، نعم بتصرّف في بعض الأفكار مع إضافة ونقصان ؛ لكي يمكنني أن أقدّم هذه المحاضرات بالشّكل الّذي يتناسب مع "عالميّة الإسلام" .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٣ ربيع الآخر ١٤٤١ هـ ، الموافق ٢٠١٩/١٢/٢٠ م .

إنّ كلّ ما يسمعه الإنسان أو يقرأه يعرضه على العقل وعلى القواعد الّتي يتبنّاها ، وأيّ إنسان عنده مجموعة من القواعد وعنده العقل ، وهنا لا نتكلّم عن صحّة هذه القواعد أو خطئها ومن أين استقاها ، قد تكون قواعد ومقاييس دنيويّة ، وقد تكون قواعد ومقاييس دينيّة ، المهمّ أنّه توجد قواعد ومقاييس عند كلّ إنسان ، وهو يقيس عليها الأفكار ويقيّمها .

والإنسان يمرّر كلّ ما يسمعه ويقرأه من أفكار على العقل ، فإذا اقتنع بالفكرة فإنّه يأخذها ، وإذا لم يقتنع بها فإنّه يتركها ، وهذا يجري مع كلّ متكلّم وكاتب ، وكلّ سامع وقارئ ، وأنت تقتنع بفكرة وشخص آخر لا يقتنع بها ، وبالعكس هو يقتنع بفكرة وأنت لا تقتنع بها .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "لا تَنْظُرْ إلى مَنْ قَالَ ، وانْظُرْ إلى ما قَالَ" [1] .

ليس المهمّ من هو المتكلّم ، وإنّما المهمّ أن تُقَيِّمَ ما يقوله ، وقول أمير المؤمنين عليه السّلام يعطينا منهجًا في النّظر إلى أقوال الآخرين وكتاباتهم ، لا لأنّه فلان قال فأنا آخذ منه الفكرة ، أو فلان الآخر قال فأنا أرفض فكرته ، فليس النّظر إلى الأشخاص ، وإنّما النّظر إلى الأفكار ، فأنت والفكرة بدون النّظر إلى القائل ، وليس كلامنا هنا عن الأقوال الواقعيّة للمعصومين عليهم السّلام ؛ لأنّ الأقوال الواقعيّة

---

[1] ميزان الحكمة للشّيخ محمّد الرّيشهريّ ج٣ ص٢٠٨٢-٢٠٨٣ .

للمعصومين عليهم السّلام مطابقة للواقع دائمًا ، وأمّا الأقوال المنقولة لهم فينظر فيها إلى السّند والمتن ، ويقوم الفقيه بتقييم المتن ليرى أنّه مطابق للقرآن الكريم وللرّوايات المحكمة وللعقل أو لا .

طبعًا توجد مرحلة يمرّ بها الإنسان يتلقّى فيها الأفكار من الآخرين بدون التّفكير في صحّتها وخطئها ، مثلا طفل عمره ١٢ سنة لحدّ الآن لا يوجد عنده وسائل التّقييم ، فمن الطّبيعيّ أنّه يتلقّى الأفكار من الآخرين ، فيأخذ الأفكار من الأبوين أو الأصدقاء ، وكذلك يأخذ من العلماء ، وهذا في بداية حياته ، ولكن حينما يصل إلى عمر الثّلاثين والأربعين فالمفروض أن تكون عنده القدرة على التّقييم ، ولكي تكون عنده إمكانيّة التّقييم فلا بدّ أن يتعلّم مقدّمات كيفيّة التّقييم ، فيدرس العلوم الّتي تساعده على تقييم الأفكار ، لا أنّ الإنسان طوال حياته يتلقّى فقط ، لا بدّ أن يُقَيِّمَ أيضًا ؛ لأنّ هناك أفكار مختلفة تُعْرَضُ عليه ، حتّى بين العلماء يوجد اختلاف في الآراء ، فتجد العلماء يختلفون في موضوع معيّن ، تأخذ في هذا الموضوع الفكرة الأولى أو الفكرة الثّانية ، لا بدّ أن تكون عندك قدرة على التّقييم لكي تتبنّى الأفكار .

لذلك لا بدّ من وجود منهج في النّظر إلى أقوال الآخرين وكتاباتهم وتقييمها ، فإذا جاءت فكرة صحيحة من أيّ قائل فنقبلها ولو كان القائل ملحدًا ، وأقوال الملحدين ليست كلّها باطلة ، فيها من الحقّ ومن الباطل ، وإذا جاءت فكرة خاطئة من أيّ قائل فنرفضها ولو

كان القائل مسلمًا ، فنقبل الفكرة الصّحيحة ونرفض الفكرة الخاطئة من أي شخص جاءت .

وكلّ إنسان يختلف عن الإنسان الآخر ، أنت تقبل أفكارًا والشّخص الآخر لا يقبلها ، وأنت ترفض أفكارًا والشّخص الآخر يقبلها ، فتتشكّل عندك مجموعة من الآراء ، وهذه هي الآراء الّتي تتبنّاها وترى أنّها صحيحة حسب وجهة نظرك ، فهذا يشكّل رأيًا عندك بحسب ما ترى أنّه صحيح ، وقد يكون ما تراه صحيحًا باطلًا عند غيرك ، وما يكون باطلًا عندك يكون صحيحًا عند غيرك .

سؤال : ما هو مدار القبول والرّفض ؟

الجواب :

مدار القبول والرّفض يكون على أساس الدّليل الّذي تقتنع به ، والدّليل لا يكون دليلًا عشوائيًّا ، بل لا بدّ أن تكون عندك مقدّمات صحيحة لكي تكون النّتائج صحيحة ، والدّليل لا بدّ أن يكون مبنيًّا على أساس قويّ لا على أساس استحسانيّ ، بل قائم على مقدّمات صحيحة لكي يكون عندك الدّليل الصّحيح وتصل إلى النّتيجة الصّحيحة .

سؤال : لماذا نعتمد على القرآن الكريم كدليل ؟

الجواب :

لأنّنا نعتقد أنّ القرآن الكريم كلام الله عزّ وجلّ ، ونبني الدّليل على أساس هذا الاعتقاد ، والشّخص الّذي لا يعتقد بأنّ القرآن

كلام الله فلا يعتقد بصحّة القرآن ، فلا يتّخذ القرآن دليلًا ، لذلك حينما تستدلّ بآية قرآنيّة يقول لك : أنا لا أقبل القرآن .

والملحد لا يقبل القرآن ، فيقول لك : آتِنِي بدليل متّفق عليه بيني وبينك كالدّليل العقليّ .

والدّليل العقليّ متّفق عليه بين جميع النّاس ، والدّليل العرفيّ العامّ متّفق عليه بين النّاس ، والدّليل التّجريبيّ متّفق عليه بين النّاس .

إنّ الدّليل الّذي تقتنع به قد لا يقتنع به غيرك ، وكلّ إنسان عنده مجموعة من الأدلّة الّتي يتبنّاها ويرى بأنّها أدلّة صحيحة ، ومن خلال هذه الأدلّة يصل إلى ما يعتقد أنّها حقائق ، فأنت تعتقد بمجموعة من الحقائق بناءً على الأدلّة الّتي اقتنعت بها ، وأنت تعتقد بأنّها حقائق ، والشّخص الآخر يعتقد بمجموعة من الحقائق بناءً على أدلته الّتي اقتنع بها ، وهو أيضًا يعتقد بأنّها حقائق .

وكلّ منكما يعتقد بحقائق معيّنة ، ولكنّها قد لا تكون حقائق في الواقع ، والواقع غير مكشوف لكما ، ولا يمكن أن تقول عمّا وصلت إليها أنّها حقائق واقعيّة ، فما وصلت إليه أنت تعتقد أنّه واقع ، والشّخص الآخر يعتقد أيضًا أنّ ما وصل إليه هو الواقع ، مثلًا أنت تعتقد أنّ الإله موجود ، وهذه حقيقة بالنّسبة لك ، وتعتقد أنّها مطابقة للواقع ، والملحد يقول بعدم وجود إله ، وهذا حقيقة بالنّسبة له ، ويعتقد أنّها مطابقة للواقع .

وأنت تعتمد على مجموعة من الأدلّة ، والشّخص الآخر يعتمد

على مجموعة أخرى من الأدلّة ، وأنت تصل إلى بعض الأمور ، وتعتقد أنّها كلّها حقائق ، ولكن في الواقع ليست كلّها حقائق ، والواقع غير مكشوف لك ، فأنت من خلال الدّليل تصل إلى أمر ، وتقول بأنّ ما وصلت إليه هو الحقيقة ، وتعتقد أنّ هذه الحقيقة مطابقة للواقع ، والطّرف الآخر يقول بأنّ ما وصلت إليه هي حقائق مطابقة للواقع .

وفي الواقع أنت عندك نسبة من الحقائق اعتمادًا على الأدلّة الموجودة عندك ، وهو عنده نسبة من الحقائق وصل إليها عن طريق أدلّته ، وأدلّتكما قد تكون صحيحة وقد تكون خاطئة .

وبحسب الواقع تختلف نسبة الحقائق من شخص لآخر ، قد تكون عندك ٩٠% من الحقائق الواقعيّة ، والطّرف الآخر عنده ٤٠% من الحقائق الواقعيّة ، ولا يوجد إنسان يملك الحقائق الكاملة عن كلّ شيء ، ولكن بحسب اعتقادك تعتقد أنّ ما عندك مطابق للواقع ١٠٠% ، والطّرف الآخر يعتقد أنّ ما عنده مطابق للواقع ١٠٠% أيضًا .

وفي مدرسة أهل البيت عليهم السلام فإنّ المعصوم عنده الحقائق الكاملة عن كلّ شيء ، ولكن حينما نأتي إلى العلماء فإنّهم يصلون إلى نسبة من الحقائق من خلال الأدلّة ، وترى اختلاف الفتاوى بين العلماء ، عالم يقول بنجاسة الكتابيّ ، وعالم آخر يقول بطهارة الكتابيّ ، فأيّهما الواقع ؟

العالمان لا يعرفان أيّهما الواقع لأنّ الواقع غير مكشوف ، فالعالم الأوّل يتحرّك بناءً على الأدلّة الموجودة عنده من النّصوص الدّينيّة بناءً على قراءته وفهمه ، فيصل إلى ما يعتقد أنّه حقيقة ، والعالم الثّاني يتحرّك أيضًا على أساس قراءته وفهمه للنّصوص الدّينيّة ، ويصل إلى ما يعتقد أنّه حقيقة ، وكلّ منهما لا يعلم أنّ ما يعتقد أنّه حقيقة مطابق للواقع أو غير مطابق للواقع لأنّ الواقع غير مكشوف لهما .

نعم بعض الأمور تعتقد أنّها واقع ، مثلًا المسلم يعتقد بوجود الله ، ويتصوّر الله بتصوّر معيّن ، والمسلم من أهل الكتاب وهو القرآن ، والمسيحيّ من أهل الكتاب وهو الإنجيل ، وعنده تصوّر آخر عن الإله يختلف عن تصوّر المسلم ، واليهوديّ من أهل الكتاب وهو التّوراة ، وعنده تصوّر ثالث عن الإله ، مع أنّ الأديان الثّلاثة هي الأديان الإبراهيميّة ، والمفروض أن يكون لأتباع هذه الأديان الثّلاثة تصوّر واحد عن الإله ، وكلّ من المسلم واليهوديّ والمسيحيّ يعتقد أنّ التّصوّر الموجود عنده عن الإله مطابق للواقع .

وكلّ فرقة تصل إلى ما تعتقد أنّها هي الحقيقة ، وليس بالضّرورة أن يكون اعتقاده مطابقًا للواقع ، فالمسلم يقول أنا أعتقد أنّ الله واحد ، والمسيحيّ يقول إنّ الواحد مركّب من ثلاثة ، والمسلم يقول إنّ هذه هي الحقيقة المطلقة ، والمسيحيّ يقول أنّ ما يعتقده هو الحقيقة المطلقة ، فنقول أنت بناءً على أدلّتك وصلت إلى هذه النّتيجة ، وهو بناءً على أدلّته وصل إلى نتيجة معيّنة .

تقول : إنّ دينه مُحَرَّف .

نقول : ولكنّه يعتقد أنّ دينه صحيح غير محرَّف ، وبالعكس هو يقول إنّ دينك محرَّف وقرآنك محرَّف ، هذا بناءً على اعتقاده .

وأدلّتك أنت تعتقد بصحّتها ، وهو يعتقد بصحّة أدلّته ، ومن حيث الواقع قد تكون أدلّتك صحيحة أو خاطئة ؛ لأنّه لا يوجد عندك اطّلاع على الواقع .

إذن :

ما تعتقد أنّه حقيقة ليس بالضّرورة أنّ الطّرف الآخر يعتقد أنّه حقيقة .

سؤال : هل يمكن أن تدّعي أنّ كلّ ما وصلت إليه يمثّل الحقائق المطلقة ؟

الجواب :

لا أحد يمكنه أن يدّعي هذا الادّعاء إلّا المعصوم ، ولكن حتّى المعصوم يُكَذِّبُهُ النّاس ، نعم المعصوم عنده الحقائق الكاملة ، ولكنّ الإنسان غير المعصوم يخطئ ويصيب ، لذلك لا توجد عند أيّ إنسان جميع الحقائق الكاملة عن كلّ شيء ، وحتّى العلماء ما دام أنّه يوجد بينهم اختلاف في الآراء ، فكلّ عالم يصل إلى نسبة من الحقائق ، ولكنّ كلّ عالم يعتقد أنّ ما وصل إليه هو الحقيقة .

نسأل : هل توجد رجعة للأئمّة عليهم السّلام أو لا توجد ؟

نقول : عالم يتبنّى وعالم آخر لا يتبنّى ، وكلّ منهما عنده دليله .

نسأل : ما معنى البداء ؟

نقول : عالم يتبنّى المعنى الأوّل ، وعالم آخر يتبنّى المعنى الثّاني .

نسأل : ما معنى الإمامة ؟

نقول : يوجد اختلاف في التّعريف بين العلماء .

نسأل : ما معنى النّبوّة ؟ وهل نحتاج إلى الأنبياء في كلّ زمان ؟

نقول : يوجد اختلاف في الآراء ووجهات النّظر .

نسأل : هل الإله موجود أو غير موجود ؟

نقول : يوجد اختلاف في الآراء حتّى في وجود الإله ووجود الله ، أنت كمسلم تعتبر وجود الله أمرًا بديهيًّا لا يحتاج إلى دليل ، ولكن بالنّسبة للطّرف الآخر فالأمر البديهيّ عنده أنّه لا يوجد إله ، ويقول لك : أنت مخطئ في اعتقادك بوجود الإله .

إذن :

الآراء تختلف ، لذلك ينفتح باب الحوار والنّقاش العلميّ بين جميع الأديان والفرق والاتّجاهات في العالم .

تقول : إنّ البوذيّ على خطأ .

نقول : لا بدّ أن تثبت أنّ البوذيّ على خطأ ، فهو يعتقد بأنّه على حقّ ، ويتمنّى أنّ البوذية تنتشر في العالم ، فعنده عالميّة البوذيّة ، والسّيخيّ والهندوسيّ كذلك ، وقد تجد بعض المحاضرات والكتابات عن عالميّة الهندوسيّة ، وعالميّة المسيحيّة .

يقول لك : إنّ عدد المسيحيّين في العالم أكثر من عدد المسلمين ،

فنسبتهم ٣١% ، ونسبة المسلمين ٢٣% ، ونسبة الهندوس ١٤% ، ونسبة البوذيّين ٧% ، وهذه أرقام تقريبيّة بحسب إحصائيّة سنة ٢٠١٣ م [١] .

أنت تعتقد بأنّ ما وصلت إليه هو الحقّ وأنّ جميع الأطراف الأخرى على باطل ، وكلّ طرف من الأطراف الأخرى يعتقد بأنّه على حقّ وأنّ باقي الأطراف على باطل .

لذلك لا بدّ أن تكون عند المسلمين بحوث عن الأديان والمذاهب في العالم ، وفي الجامعات الغربيّة يوجد قسم الأديان والمذاهب ، وفي الحوزات العلمية توجد بدايات لإيجاد تخصص تحت عنوان : الأديان والمذاهب ، وأنت كمسلم تدّعي أنّ الإسلام دين عالميّ ، فلا بدّ أن تناقش جميع الأديان ، تأتي إلى دين دين ، وتأخذ معالم هذا الدّين من كتبهم المعتبرة ، مثلًا ما هي الكتب المعتمدة عند البوذيّة ؟

وبناءً على أدلّتهم الّتي يذكرونها تردّ عليهم ، فأوّلًا لا بدّ أن نتعرّف على الأطراف الأخرى ؛ لكي يمكننا أن نناقشهم ونحاورهم .

نسأل المسلمين : هل البوذيّ يعتقد بوجود إله ؟

الجواب : لا ندري .

إذن كيف تقول بأنّ دينك دين عالميّ وأنت لحدّ الآن لا يوجد عندك اطّلاع على البوذية ، ولا على اليهوديّة والمسيحيّة ولا الأديان الأخرى بشكل تفصيليّ ؟!

---

[١] ar.m.wikipedia.org ، تحت عنوان : قائمة التّعداد الدّينيّ .

كيف يمكن للمسلمين أن يناقشوا دينًا آخر مجهولًا عندهم ؟!

لا يكفي أن نقول بأنّ الإسلام دين عالميّ ، هذا شعار ومجرّد كلام ، وحتّى البوذيّ يقول إنّ البوذيّة دين عالميّ ، والهندوسيّ يقول بعالمية الهندوسيّة ، وكلّ صاحب دين يقول بعالميّة دينه ، فكلّ من يدّعي بأنّ دينه عالميّ لا بدّ أن يثبت عالميّة دينه ، ولا بدّ أن توجد في دينه أطروحات ، ويثبت أنّ هذه الأطروحات عالميّة .

مثلًا ما هو الاقتصاد الإسلاميّ العالميّ ؟

في بنوك بلدان المسلمين وفي جميع اقتصادهم يطبّقون النّظريّة الاقتصاديّة الرّأسماليّة لا النّظريّة الاقتصاديّة الإسلاميّة ، نعم هناك بعض البنوك يطلق عليها بنوك إسلاميّة ، ويحاولون أن يجعلوا عناوين شرعيّة لمعاملاتها ؛ لكي لا يقعوا في الإشكالات الشرعيّة ، ولكن قبل هذا نسأل : ما هي النّظريّة الاقتصاديّة في الإسلام ؟

الآن في بلدان المسلمين يطبّقون النّظريّة الاجتماعيّة الغربيّة ، وهي القائمة على أصالة الفرد ، أو النّظريّة الاجتماعيّة الشّيوعيّة ، وهي القائمة على أصالة المجتمع .

فنسأل : ما هي النّظريّة الاجتماعيّة في الإسلام : أصالة الفرد أو أصالة المجتمع أو مركّبة من الأصالتين أو لا فرد ولا مجتمع ؟

لا بدّ أن تحدّد نظريّة الإسلام عن المجتمع ، ومن خلال الأدلّة تثبت نظريّة الإسلام في علم الاجتماع .

نسأل : ما هي النّظريّة السّياسيّة في الإسلام ؟

وتحتاج في كلّ مجال إلى نظريّة إسلاميّة ، وفي الغرب من فترة إلى أخرى يطرحون نظريّات جديدة ، مثلًا العولمة ، والمسلمون ماذا طرحوا في المقابل ؟

عند الغربيّين الحداثة وما بعد الحداثة .

ما هي نقاشات المسلمين لهذه النّظريّات ، وقبل هذا هل يعرف المسلمون ما هي الحداثة وما بعد الحداثة ؟ وما هي أركان الحداثة وما بعد الحداثة ؟

كم من المسلمين عندهم اطّلاع على النّظريّات الغربيّة ؟

والجواب هو : قليل من المسلمين ، وهم الّذين يبحثون في مثل هذه المواضيع .

وبشكل عامّ المسلمون متأخّرون في البحوث العلميّة وطرح النّظريّات الإسلاميّة .

إذن :

الإنسان ينطلق إلى البحث عن الحقائق من خلال الأدلّة الّتي يقتنع بها ، لذلك لا بدّ أن ينقّح هذه الأدلة ؛ لكي يصل إلى الاعتقاد بمطابقة هذه الأدلّة للواقع ، وأنّها تؤدّي به إلى معرفة الواقع قدر الإمكان ، فيصل إلى ما يعتقد أنّها حقائق .

الرّجوع إلى الموضوع :

يقول قائل : تكلّمتم في عدّة محاضرات عن "تصوّر الإله" ، فيأتي السّؤال التّالي :

ما هي الحاجة إلى البحث في موضوع "تصوّر الإله" ؟

الجواب :

طرحنا الجواب ضمن المواضيع السّابقة ، وأشير إليه الآن بشكل سريع ، حينما تريد أن تثبت وجود الإله أو تنفي وجود الإله فلا بدّ أن تحدّد الإله الّذي تريد أن تثبت وجوده أو تنفي وجوده ، فأوّلًا لا بدّ أن تعرض تصوّرك عن هذا الإله ، وبعد ذلك تثبت وجوده أو تنفي وجوده .

مثلًا إذا أردت أن تثبت وجود الله ، وهو الإله الّذي يقول به المسلمون فلا بدّ أن تعرض أوّلًا تصوّرك عن الله ، وهذا الإله ما هي صفاته الّتي يمتاز بها ، وبعد أن تعرض تصوّرك عن الله تثبت وجود الله تعالى .

تقول في صفات الله هو رحيم وهو شديد العقاب ، وهنا لا بدّ أن تبيّن كيف أنّه يكون رحيمًا وشديد العقاب في نفس الوقت .

ومن إشكالات الملحدين أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله حينما أتى في بداية دعوته لقومه قال إنّه يدعوهم بين يدي عذاب شديد [1] ، والمفروض أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله يقول بين يدي الرّحمة ، فينطلق من الرّحمة لا من العذاب ، فصار الأساس في إله المسلمين هو شدّة العذاب لا الرّحمة ، فيقولون بأنّ الإرهابيّين يطبّقون شدّة العذاب ، وهذا يتناسب مع الإله الّذي يكون شديد العقاب ، لذلك لا يقبل

---

[1] صحيح البخاريّ ج٦ ص٢٩ .

الملحدون إله المسلمين .

ويزيد الملحدون على ذلك بأنّ المسلمين يقولون عن إلههم بأنّه إذا قام أحد بذنب صغير فإنّه يستحق دخول جهنّم ، وإذا فعل الأمر الآخر فهو في النّار ، ولا نسمع المسلمين يقولون بأنّه إذا فعلت هذا الشّيء فإنّك تدخل الجنّة ، ودائمًا يركّز المسلمون على العقاب ، وحتّى في أحاديثهم وخطبهم يركّزون على العقاب ، ويطرحون بعض الأعمال الّتي يستحقّ فاعلها الخلود في نار جهنّم ، وفي بعض الرّوايات أنّ الإنسان يدخل إلى النّار بسبب كلمة ، ويركّزون دائمًا على شدّة العقاب ، والمفروض أن تطرحوا أنّ الله شديد الرّحمة ، وفي القبر يركّزون على أنّه توجد حيّات وعقارب بحجم الجبال ، قولوا مرّة أنّه في القبر يكون الله رحيمًا بالإنسان ، لماذا تركّزون دائمًا على العقاب ؟

والملحدون يجيبون لأنّ إلهكم إله العقاب ، وبدل أن يقول المسلمون إنّ هذا الإله إله الرّحمة يقولون إنّه إله شديد العقاب ، فلا بدّ أن يثبت المسلمون أنّ إلههم إله الرّحمة لا إله العقاب والعذاب .

إذن :

المهمّ أنّه كيف يعرض المسلمون إلههم ، ولا بدّ أن نبيّن الصّفات الإيجابيّة الموجودة في الله عزّ وجلّ ، وحينما نراجع القرآن الكريم نرى تقريبًا بأنّه توجد عشر آيات تتحدّث عن الرّحمة في مقابل آية واحدة تتحدّث عن العذاب ، أي أنّ نسبة آيات العقاب إلى آيات الرّحمة

نسبة ١٠% ، وهذا لا بدّ أن يركّز المسلمون عليه ، فالقرآن طرح أساسًا وهو رحمة الله ، لذلك لا بدّ أن نعرض رسالتنا الإسلاميّة بناءً على الرّحمة ، الله الرّحمن الرّحيم .

وما دام أنّ الله رحيم فالمسلم لا بدّ أن يكون رحيمًا ، وحينما يرون تعامل المسلمين بعضهم مع بعض ، وتعاملهم مع الوافد المسلم أو الوافد غير المسلم يجدون بأنّ تعاملهم تعامل قاسٍ ، وهذا يتناسب مع إلهكم إله العذاب والعقاب ، ولكي نثبت أنّ الله رحيم فلا بدّ أن يكون تعامل المسلمين تعاملًا رحيمًا مع المسلمين أنفسهم ومع غير المسلمين ، وبذلك نثبت أنّ الله هو الرّحيم من خلال انعكاس هذه الصّفة على المسلمين .

إذن :

أوّلًا لا بدّ أن نعرض تصوّرنا عن الله تعالى ، وبعد ذلك نثبت وجود هذا الإله الّذي يتّصف بهذه الصّفات المعيّنة .

وإذا أردت أنت كمسلم أن تنفي الإله الّذي يقول به المسيحيّون فلا بدّ أن تعرف تصوّر المسيحيّين عن إلههم ، وبعد ذلك تثبت عدم وجود هذا الإلّه الّذي له الصّفات الّتي ينسبونها إليه ، وتأتي إلى إله اليهود ويذكرون صفات معيّنة لإلههم ، وتناقشهم في هذه الصّفات ، وننظر أيضًا إلى تعامل اليهود بين بعضهم البعض ومع الآخرين ، فنصل إلى تصوّر معيّن عن إلههم ، وتنفي وجود هذا الإله الّذي له هذه الصّفات ، وتأتي إلى آلهة الأديان الأخرى الوضعيّة ، وتناقشهم

في الإله الّذي تكون له صفات معيّنة بحسب اعتقادهم ، وهكذا لا بدّ أن يكون عندنا تصوّر عن أيّ إله يقول به أيّ قوم من الأقوام ، وتناقشهم بناءً على التّصوّر الّذي يطرحونه ، وبعد ذلك يتمّ إثبات وجوده أو نفي وجوده .

وأنت كمسلم تريد أن تثبت أنّ الإله الّذي تعتقد به هو إله العالمين ؛ لأنّ دينك دين عالميّ كما تدّعي ، فإذا كان الدّين دينًا عالميًّا فالإله الّذي تعتقد به لا بدّ أن يكون إلهًا عالميًّا ، فلا بدّ أن الله إله عالميّ ، وأنّ أطروحاته عالميّة ، وأمّا إذا كانت أطروحاته محلّيّة فهذا الدّين لا يصلح لأن يكون دينًا عالميًّا ، فيأتي السّؤال :

ما هي الأطروحات العالميّة الموجودة في الإسلام ؟

ولا بدّ أن تبيّن أنّ هذه الأطروحات لجميع العالم ، وإذا طرحت مسائل محلّيّة فتأتي إشكالات على الإسلام ، ويقولون بأنّ دينك ليس دينًا عالميًّا .

فما هي الأطروحات العالميّة الّتي يحتويها الإسلام بناءً على الأدلّة الموجودة بأيدينا من القرآن المتّفق عليه بين المسلمين والسّنّة والرّوايات المختلف عليها بين المسلمين ؟

وحتّى في فهم القرآن وتفسيره يوجد اختلاف بين المسلمين ، لذلك كلّ مدرسة لا بدّ أن تطرح تصوّرها عن الإله ، وفي مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يوجد تصوّر معين ، والمدارس الأخرى للمسلمين عندهم تصوّرات أخرى عن الإله ، فكلّ مدرسة عندها تصوّر ، بل

كلّ مسلم قد يكون عنده تصوّر خاصّ عن الإله يختلف عن تصوّر المسلم الآخر حتّى في ضمن المدرسة الواحدة بناءً على ما يعتقد عن هذا الإله .

إذن :

نحتاج إلى أن نبيّن تصوّرنا عن الإله حتّى بعد ذلك نثبت وجود هذا الإله أو ننفي وجود هذا الإله ، فيأتي السّؤال التّالي :

هل توجد تصوّرات مختلفة عن الإله ؟ وما هي هذه التّصوّرات ؟

الجواب :

نعم التّصوّرات الموجودة في العالم عن الإله كثيرة ، وقد تصل إلى ما يقرب من ثلاثين تصوّرًا كما يقول البعض ، وتصوّر الله في فكر المسلمين يصل إلى ما يقرب من عشرة تصوّرات .

وبعض العلماء في مواضيعهم عن الملحدين يعرض مصادر كثيرة ، ويمكن الاستفادة من هذه المصادر ، ويعرض المصدر الّذي يقرأ منه على الشّاشة ، فيمكن أن تقرأ من نفس المصدر ، وهذا مفيد جدًّا ، وبعض المصادر الّتي يعرضها لا يمكن الحصول عليها .

ومن المصادر كتاب : "الله (الإله) والإنسان على امتداد ٤٠٠٠ سنة من إبراهيم الخليل حتّى العصر الحاضر A History Of God The 4000 Year Quest Of Judaism , Christianity And Islam ، تأليف : كارين أرمسترونغ Karen Armstrong ، ترجمة : محمّد الجورا ، على الغلاف الأخير نبذة النّاشر : هذا الكتاب بانوراما واسعة تضيء

ساحة الفكر الدّينيّ ، وساحة رؤى المفكّرين (لاهوتيّون كانوا أم صوفيّون أم فلاسفة) نحو الله (الإله) ، وتضمّ هذه الرّؤى تنوّعًا كبيرًا وتباينًا حتّى في داخل الدّين الواحد .

ما طبيعة الله (الإله) ؟ ما صفاته ؟ أين يقيم ؟ في السّماء أم في الأرض أم أنّه يقيم في الأعماق العميقة داخل الإنسان (الدّنيا كلّها لا تسعني ، وإنّما يسعني قلب عبدي المؤمن) ؟ أهو شيء لا كالأشياء أم لاشيء ؟ . . . كثيرون من يتقدّمون للإجابة : من أرسطو اليونان مرورا بأفلوطين ، النّصف وثنيّ ، النصف مسيحيّ ، والمجامع الكنسيّة ، وأوغسطين . . . ثمّ بفلاسفة ولاهوتيّي الإسلام وصوفيّيه : ابن سينا ، الفارابي ، أبو بكر الرّازيّ ، ابن حنبل ، الأشعري ، السّهروردي ، ابن عربي ، الحلّاج ، . . . ومفكّري اليهود وأحبارهم في العصور الوسطى ، انتهاءً بالمفكّرين والفلاسفة في العصر الحديث من دينيّين ولادينيّين : توما الأكوينيّ ، ابن تيميّة الدّمشقيّ ، ابن القيّم الجوزيّة ، ثمّ في عهد أقرب : ديكارت ، هيغل ، فيورباخ ، كانط ، نيوتن ، محمّد إقبال ، الأفغانيّ ، محمّد عبده . . . . انتهى

وفي فهرس الكتاب من العناوين : الإله المسيحيّ ، إله الإسلام ، إله الفلاسفة ، إله المتصوّفين ، إله المصلحين ، الله في القرن التّاسع عشر ، الله والمستقبل .

يقول النّاشر في نبذة الكتاب : "وتضمّ هذه الرّؤى تنوّعًا كبيرًا وتباينًا حتّى في داخل الدّين الواحد" :

أقول : عند المسلمين تصوّرات مختلفة ، وعند اليهود قد توجد تصوّرات مختلفة ، وعند المسيحيّين توجد تصوّرات متعدّدة ، بل كلّ إنسان عنده تصوّر خاصّ عن الإله .

في كتاب "آلهة في مطبخ التّاريخ" ، تأليف : جمال عليّ الحلّاق ، في ص٤٧ العنوان هو "إله آنشتاين" ، وفي ص٥٣ العنوان هو "إله ستيفن هاوكنغ" ، ثمّ في صفحة أخرى يذكر عنوانًا آخر وهو : آلهة فيزيائيّة متقابلة .

أقول : وهذه كلّها تصوّرات عن الإله .

في كتاب : الله في الفلسفة الحديثة God in Modern Philosophy ، تأليف : جيمس كولينز James Collins ، ترجمة : فؤاد كامل :

في فهرس الكتاب بعض العناوين : الفصل التّاسع : الإله متناهيًا ومتطوّرًا :

١- نظريّة مل في التّناهي الموقوت (الانتقاليّ) .

٢- مذهب الألوهيّة المتعدّدة عند وليم جيمس .

٣- إله هوايتهد ذو القطبين .

إذن :

توجد تصوّرات مختلفة عن الإله ، وإذا أردت أن تثبت وجود إله المسلمين فلا بدّ أن تناقش جميع التصوّرات عن الإله والّتي تصل إلى ثلاثين تصوّرًا ، ولا بدّ أن تأتي إلى إله إله حسب تصوّرهم ، وتناقش هؤلاء في التّصوّر الّذي قدّموه عن الإله ؛ لكي يكون بحثك بحثًا

كاملًا ، فتنفي وجود الإله بحسب هذه التّصوّرات ، وتأتي أيضًا إلى المسلمين الّذين لديهم تصوّرات مختلفة عن الإله ، ولا بدّ أن تناقش مدارس المسلمين المختلفة ؛ لكي تثبت وجود الإله بحسب تصوّر مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، وكلّ فرقة عليها أن تثبت ما تعتقد أنّه إله المسلمين ، فنسأل : كم من البحوث تحتاج لكي تثبت الإله الّذي تعتقد به ؟

ونحن في محاضراتنا كلامنا عن إله الكون بشكل عامّ لا خصوص إله معيّن ، ونريد في الخطوة الأولى أن نثبت أنّه يوجد إله خالق للكون قبل أن نثبت أنّه هو الله ، وبعد ذلك نثبت تصوّرًا من التّصوّرات المطروحة عن الله سبحانه ، فالبحث بحث شائك وطويل ، فكم من الكتب لا بدّ أن تقرأ ؟ وكم من المحاضرات لا بدّ أن تسمع ؟

وفي هذه المحاضرات نحاول أن نطرح عناوين مختلفة ، ونرجو أنّ بعض الباحثين يأخذون هذه العناوين ويوسّعون البحوث فيها ، لذلك طرحنا كثيرًا من العناوين في المحاضرات السّابقة ، وبعض العناوين نبحثها في محاضرة أو محاضرتين أو أكثر ، ولكن هذه العناوين تحتاج إلى بحث أوسع .

مثلًا في مسألة القتال يحتاج الباحث إلى الرّجوع إلى جميع آيات القتل والقتال والجهاد في القرآن والرّوايات ؛ لكي يقدّم تصوّرًا عن موضوع "القتال والجهاد في الإسلام" .

وموضوع "من هو الكافر؟" يحتاج إلى بحث كامل ؛ لكي نبيّن

تعريف الكافر ، وبعد ذلك نقول إنّ هذا الكافر يجب قتاله أو لا يجب قتاله ، ونبيّن مواصفات الكافر الّذي يجب قتاله ، هل هو الكافر المعتدي فقط أو الكافر المسالم أيضًا ؟

إذن :

نحتاج إلى بحوث كثيرة في موضوع "الإله" ، وبعد ذلك يمكن لنا أن نثبت أنّ هذا الإله هو الله ، ولكن بناءً على تصوّر أيّ مدرسة من مدارس المسلمين ، وأقول مدارس المسلمين ؛ لأنّ المدرسة الإسلاميّة لها تصوّر واحد عن الإله ، وهو الصّورة الواقعيّة للإله ، وتصوّرات المسلمين ليست تصوّرًا إسلاميًّا ، وإنّما تصوّرات المسلمين .

وهذا التّعبير يأتي دائمًا ، يقولون حركات سياسيّة إسلاميّة ، وهذا تعبير خاطئ ، فالمفروض أن نقول حركات سياسيّة للمسلمين ، تريد أن تقدّم اقتصادًا إسلاميًّا ، قل هذه وجهة نظري عن الاقتصاد الإسلاميّ ، فهمك ليس هو الاقتصاد الإسلاميّ ، وإنّما هو قراءة هذا الشخص المسلم وفهمه للاقتصاد الإسلاميّ ، فتقول إنّ هذا هو فهمي عن الاقتصاد الإسلاميّ ، لذلك تختلف الآراء بين العلماء أنّ هذا الأمر يشكّل اقتصادًا إسلاميًّا أو لا يشكّل .

إذن :

كلّ عالم يقدم قراءته وفهمه عن الإسلام ، فيقول إنّ هذا هو فهمي عن الإسلام ، ولا يقول هذا هو الإسلام ، ولا يمكن أن يدّعي أنّ ما وصل إليه هو الإسلام الواقعيّ ، فأنت تقدّم فهمك عن

الإسلام ، والعلماء يقدّمون قراءاتهم وأفهامهم عن أحكام الإسلام ، وليست هي الإسلام الواقعيّ ، واختلاف القراءات والأفهام لا بدّ أن يدركه الباحثون ، لذلك تختلف الآراء ، والباب مفتوح أمام الآراء ، فالعالم أوّلًا يحدّد الأدلّة الّتي يعتمد بها ، وبعد ذلك يبحث ، وقد يصل العالم إلى رأي يخالف آراء جميع العلماء ، ولا توجد خطوط حمر ، ولا يتمّ الوقوف عند آراء القدماء ، فباب الاجتهاد مفتوح ، وقد يصل العالم من خلال الأدلّة إلى رأي جديد غير مطروح سابقًا ، وهذا الرّأي الجديد لم يقل به أحد من العلماء ، فنسأل : هل إجماع العلماء حجّة أو ليس بحجّة ؟

جميع العلماء يقولون بحجّيّة الإجماع ، وأمّا السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه فقد قَدَّمَ رأيًا جديدًا ونظرة أخرى إلى الإجماع ، فقال إنّ الإجماع الّذي يسبّب اليقين للعالم يأخذ به ، وهذا الإجماع حجّة بناء على حجّيّة اليقين ، وإذا لم يسبّب اليقين للعالم فلا يعتمد على الإجماع ، فهذا الإجماع ليس بحجّة لأنّه يسبّب الظّنّ ، والأصل في الظّنّ هو عدم الحجّيّة ، وهذه نظرة جديدة إلى الإجماع ، وهذا الرّأي لم يقل به العلماء السّابقون ، والسّيّد الشّهيد لا يترك رأيه لأنّه مخالف لآراء جميع العلماء ، والشّهرة بين العلماء كذلك تنقسم إلى قسمين ، فبعض العلماء يقولون بحجّيّة الشّهرة ، وبعضهم لا يقولون بحجّيّة الشّهرة ، والسّيّد الشّهيد فصّل وقال بأنّه إذا كانت الشّهرة سببًا ليقين العالم فيعتمد عليها ، وإذا لم يسبّب اليقين فالعالم لا

يستند إليها ، وهذا رأي جديد لم يقل به أحد من العلماء السّابقين ، والسّيّد الشّهيد لا يترك رأيه لأنّه مخالف لآراء العلماء ، فالإجماع والشّهرة بناءً على رأي السّيّد الشّهيد يعتمد عليهما في بعض الحالات .

إذن :

يوجد اختلاف الآراء في حجّيّة الإجماع وحجّيّة الشّهرة ، بل يوجد اختلاف الآراء في كلّ مسألة ، وباب البحث العلميّ مفتوح دائمًا ، وليس من حقّ أحد أن يغلق هذا الباب أمام العلماء الباحثين ، ونقول "العلماء الباحثين" ، وليس البحث العلميّ لكلّ أحد من النّاس الّذين لا يملكون مقدّمات البحث العلميّ ، فباب البحث العلميّ مفتوح دائمًا ولا يُغْلَقُ أبدًا .

إنّ العالم يحدّد الأدلّة والقواعد الّتي يستند إليها ، وأيّ رأي يصل إليه من خلال تطبيق الأدلّة والقواعد فهذا هو رأيه الّذي يعتقد بأنّه حقيقة ، وهي حقيقة بالنّسبة له ، وليست الحقيقة المطلقة ، لذلك تختلف الآراء بين العلماء ، وستأتي في المستقبل قراءات جديدة للنّصوص الدّينية وأفهام جديدة للعلماء الباحثين .

ولن يقف البحث العلميّ عند حدّ معيّن ؛ لكي نثبت أنّ الإسلام دين عالميّ ، وفي زماننا الحاليّ الإسلام أمام تحدّي عالميّ ، ونريد أن نثبت أنّ ديننا دين عالميّ ، فنحتاج إلى أطروحات جديدة وآراء جديدة ، ولن تقف آراء العلماء عند الأطروحات السّابقة الّتي لا

تواكب عصرنا الحاليّ ، والأطروحات السّابقة كانت تناسب أزمانها ، والظّروف الزمانيّة متغيّرة ، لذلك بناءً على دخالة الزّمان والمكان في الأحكام فإنّ كثيرًا من الأحكام ستتغيّر إلى أحكام أخرى من خلال تطبيق الأدلّة والقواعد الّتي يتبنّاها العالم الّذي يعتقد بنظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، فيفهم الآية والرّواية بفهم آخر ، نفس الآية الّتي يفهمها العلماء بفهم – هو يفهمها بفهم آخر من خلال تطبيق الأدلّة والقواعد ، والقضيّة ليست قضيّة استحسانيّة ولا مجاملة للشّرق والغرب ، وإنّما هو عنده الدّليل ، وبناءً على الدّليل يفهم الآية والرّواية بفهم جديد ، وباب البحث العلميّ مفتوح دائمًا أمام العلماء الباحثين .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٦٣)

خاتمة بحث "تصوّر الإله" [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

إذا أراد شخص أن يثبت شيئًا له تحقّق في الوجود الخارجي فلا بدّ أن يكون عنده تصوّر – ولو تصوّرًا إجماليًّا – عن ذلك الشّيء قبل إقامة الدّليل على إثباته ، ولا بدّ من وجود التّصوّر في رتبة سابقة عن الشّيء الّذي يريد أن يثبت وجوده ، ويكفي التّصوّر الإجماليّ ، وليس بالضّرورة أن يعرفه معرفة تفصيليّة كاملة بذاته وحقيقته وجميع صفاته .

وأمّا إذا كان الشّيء مجهولًا تمامًا من جميع الجهات فلا يمكن إقامة الدّليل عليه لأنّه مجهول تمامًا ، والقاعدة المنطقيّة تقول إنّ التّصديق بشيء يتوقّف على تصوّر ذلك الشّيء في رتبة سابقة ، فالتّصديق يتوقّف على تصوّر سابق .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٣٠ ربيع الآخر ١٤٤١ هـ ، الموافق ٢٠١٩/١٢/٢٧ م .

والتّصديق المنطقيّ هو فهم صدق قضيّة ما ، ومعنى الصّدق هو أنّ هذه القضية الموجودة في الذّهن لها مصداق في الواقع الخارجيّ ، فالشّيء المتصوَّر في الذّهن يكون له وجود خارجيّ ، مثلًا تتصوّر زيدًا ، وزيد الذّهنيّ له وجود خارجيّ .

إذا قال لك شخص : اثبت لي أنّ زيدًا موجود .

تارةً تأخذه إلى زيد ، وتقول له : هذا زيد .

وتارةً أخرى تعرّف زيدًا عن طريق صفته ، فتقول : زيد هو الحاصل على المركز الأوّل في المدرسة .

عَرَّفْتَهُ بصفة واحدة فقط .

أو تقول : زيد الطّويل .

فمن خلال صفة واحدة فقط عَرَّفْتَ زيدًا ، فهنا يوجد تصوّر إجماليّ عن زيد ، ويكفي التّصوّر الإجماليّ عن الشّيء لكي يمكن إقامة الدّليل على وجود هذا الشّيء ، وهذا هو التّصديق المنطقيّ ، وأمّا التّصديق الكلاميّ فهو الاعتقاد والإيمان القلبيّ .

سؤال : هل يمكن تصوّر الإله أو لا يمكن تصوّره لأنّه قد يقال إنّ تصوّر الإله مستحيل لأنّه مطلق وتصوّراتنا محدودة ؟

الجواب :

يوجد كتاب باللّغة الفارسيّة عنوانه "خدا در تصوّر إنسان" ، تأليف : محمّد حسن قدردان قراملكيّ ، ترجمة عنوان الكتاب باللّغة العربيّة : "الإله في تصوّر الإنسان" أو "الله في تصوّر الإنسان" .

وفهرس الكتاب مع ترجمته إلى اللّغة العربيّة يحتوي على العناوين التّالية :

القسم الأوّل : إمكان تصوّر ومعرفة الإله ، وفيه عدّة فصول : الفصل الأوّل : هل يمكن تصوّر الإله ؟ ، والفصل الثّاني : معرفة وتصوّر ذات الإله ، والفصل الثّالث : استحالة تصوّر ومعرفة ذات الإله ، . . . ، والقسم الثّاني : تعريف وتوصيف الإله ، . . . . انتهى

هذه العناوين في فهرس الكتاب لها علاقة بمحاضراتنا في بحث "تصوّر الإله" ، فيمكن تصوّر الإله ولو تصوّرًا إجماليًّا بنحو التّوصيف لا بنحو التّعريف والذّات ، فيمكن معرفة الإله من حيث الصّفات ، فللكون مبدأ وهذه صفاته : الإله العالم ، الخالق ، القادر ، الحكيم .

نُعَرِّفُ الإله عن طريق صفاته ولو من خلال صفة واحدة ، فيحدث عندك تصوّر عن هذا الإله وهو أنّه خالق للكون ، ثمّ يأتي البحث في صفات هذا الإله : هل هو قديم أو حادث ؟ هل هو عالم أو جاهل ؟ هل هو قادر أو عاجز ؟ هل هو جسم أو غير جسم ؟ هل هو محدود ومتناهٍ أو غير متناهٍ ؟

وغالبًا ما يدور البحث عن الإله في دائرة صفاته ؛ لأنّ ذات الإله مجهولة ، وتدور النّقاشات حول أنّ هذه الصّفة موجودة لهذا الإله أو أنّه لا يتّصف بهذه الصّفة .

ثمّ يأتي السّؤال : هل يوجد موجود له هذه الصّفات أو لا يوجد

موجود بهذه الصّفات ؟

سؤال : هل يمكن للإنسان أن يصل إلى معرفة حقائق الأشياء وذاتيّاتها أو لا يمكن ؟

الجواب :

إن ذاتيّات وحقائق الأشياء لا يمكن معرفتها .

سؤال : ما هي حقيقة الماء وذاتيّاته ؟

في الجواب تقول : هو الّذي يرفع العطش .

نقول : هذه ليست حقيقة الماء ، وإنّما هي صفة من صفات الماء ، فمن صفات الماء أنّه رافع للعطش .

تقول : الماء هو ما يكون تركيبه ذرّتي هيدروجين وذرة أوكسجين H2O .

نقول : هذه صفة الماء وليست حقيقته ، فصفته أنّ تركيبه الكيميائيّ هو هذا التّركيب.

تقول : هو سائل لا لون ولا طعم ولا رائحة له .

نقول : هذه صفات الماء .

كلّ هذه الأمور ليست حقيقة الماء ، وإنّما هي صفاته ، لذلك يقال بأنّه لا يمكن معرفة حقيقة الماء ، وإنّما يمكن معرفة الماء من خلال صفاته .

وهكذا في جميع الأشياء ، فحقائق الأشياء لا يمكن الوصول إلى معرفتها ، وإنّما يمكن معرفة صفات الأشياء .

سؤال : ما هي حقيقة الإنسان ؟

نقول : حقيقة الإنسان لا يمكن معرفتها ، وإنّما نأتي إلى صفاته ، كصفة الحياة والنّطق ، فنقول إنّ الإنسان حيّ ، وناطق ، ومُفَكِّر ، وهذه صفاته وليست حقيقته .

وفي علم المنطق يقولون إنّ الإنسان حيوان ناطق ، والحيوان بمعنى أنّ فيه الحياة والنّموّ والإحساس والتّحرّك بالإرادة ، ولا يقصد من الحيوان البهيمة ، لذلك يعرّف الحيوان بأنّه جسم نامٍ حسّاس متحرّك بالإرادة .

سؤال : ما هي حقيقة الألوان ؟ مثلًا ما هي حقيقة اللّون الأحمر ؟

نقول : حقيقة الألوان لا يمكن معرفتها ، لذلك من الممكن أنّ كلّ شخص يرى الألوان بكيفيّة مختلفة عن الآخر ، فأنت ترى الألوان بكيفيّة معيّنة ، ومن عنده عمى الألوان يراها بكيفيّة أخرى ، مثلًا لا يفرّق بين الأخضر والأحمر ، فيرى اللّونين بكيفيّة متشابهة ، والحيوانات والحشرات ترى الألوان بكيفيّة أخرى ، ويقال بأنّ الحيوانات لا ترى الألوان كما يراها الإنسان ، وإنّما ترى الأبيض والأسود وما بينهما من درجات الرّمادي ، فكلّ شخص يرى الألوان بكيفيّة معيّنة ، وأنت تصف اللّون لا أنّ هذه هي حقيقة اللّون .

سؤال : ما هي حقيقة الجاذبيّة ؟

تقول : هي الّتي تجذب الأجسام .

نقول : هذه هي صفة الجاذبيّة وليست حقيقتها ، فالجاذبيّة نُعَرِّفُهَا

من خلال آثارها ، ولا نعرف حقيقتها ، فمن آثارها أنّك إذا رميت جسمًا إلى الأعلى فإنّ هذا الجسم ينزل إلى الأسفل بسبب الجاذبيّة ، وهذه صفة من صفات الجاذبيّة وأثر من آثارها .

سؤال : ما هي حقيقة الكهرباء ؟

تقول : هي الّتي تضيء المصباح .

نقول : هذه صفة الكهرباء وأثرها ، وليست حقيقتها ، فمن آثار الكهرباء أنّها تضيء المصباح ، نعم الآن يقولون هي حركة الإلكترونات في السّلك ، وهذه أيضًا صفة من الصّفات ، وهي حركة الإلكترونات ، وليست هي حقيقة الكهرباء .

إذن :

حقائق الأشياء لا يمكن الوصول إلى معرفتها ، وهذه الأمور الّتي يقال بأنّها حقائق هي حقائق مشهورة وليست حقائقها الواقعيّة .

سؤال : ما هي حقيقة الإله ؟

الجواب :

لا يمكن معرفة حقيقة الإله ، ولكن يمكن معرفته من خلال صفاته وآثاره ، فيستحيل تصوّر حقيقة الإله وذاته وكنهه ، ولكن يمكن تصوّر الإله من خلال تصوّر صفاته وآثاره ، فنعرف صفات الإله وآثاره ، ولا نعرف حقيقة الإله .

وقبل الدّخول في بحث أدلّة وجود الإله أو أدلّة نفي وجود الإله لا بدّ أن نحدّد تصوّرنا عن الإله من خلال صفاته أو آثاره ؛ لأنّه قد

يوجد تصوّر الإله في ذهن شخص ، وهو يريد أن يقيم الدّليل على إثبات وجود هذا الإله الخاصّ المتصوَّر عنده ، والشّخص الثّاني عنده تصوّر آخر عن الإله ، وهو يقيم الدّليل على إثبات وجود هذا الإله الخاصّ المتصوَّر في ذهنه ، فينفي ولا يقبل الإله الأوّل لا أنّه يرفض الإله مطلقًا ، فهو يرفض التّصوّر الأوّل للإله ويقبل التّصوّر الثّاني للإله .

مثلا من يقبل بأنّ الإله جسم وأنّ له صورة كصورة الإنسان يرفض الإله غير المادّيّ حتّى لو أقمت له أدلّة على إثبات الإله الّذي ليس له جسم ، فهو يرفض تصوّر الإله غير الجسم لا أنّه يرفض وجود الإله مطلقًا ، ويمكن جعل الموضوع بينهما واحدًا ، وهو الإله الجسم ، فيثبته المؤمن الأوّل وينفيه المؤمن الثّاني ، وكلاهما يثبت الإله ، ولكنهما يختلفان في صفة أنّه جسم أو غير جسم .

والملحد عنده تصوّر عن الإله ، ويريد أن ينفي وجود هذا الإله المتصوَّر عنده ، وفي النّقاش بين المؤمنين أنفسهم أو بين المؤمنين والملحدين لا بدّ أن يوجد اتّفاق على الإله الّذي يدور النّقاش عنه ، فقد يكون التّصوّر عند المؤمن يختلف عن التّصوّر عند الملحد ، فالمؤمن يثبت إلهًا معيّنًا ، والملحد ينفي إلهًا آخر ، فهو لا ينفي الإله المتصوَّر عند المؤمن ، والمؤمن لا يثبت الإله المتصوَّر عند الملحد ، فموضوع النّقاش بينهما لا يوجد عليه اتّفاق ، والمفروض في النّقاش والحوار العلميّ أن يكون الموضوع واحدًا ، ويدور الحديث عن هذا

الموضوع المعيَّن فيثبته أحدهم وينفيه الآخر .

إذن :

من الضّروري قبل الدّخول في إثبات وجود الإله أو نفي وجود الإله تحديد صفات هذا الإله ، أي الإله المتصوَّر عند المُثْبِت والإله المتصوَّر عند النافي ، فالمؤمن يقول الإله العالم القادر الحكيم ، وليس له جسم مادّيّ ، ويعدّد مجموعة من صفاته ، فيحدّد الصّورة الكاملة للإله كأنّه يرسم صورة كاملة لهذا الإله ، وهذا الإله بهذه الصّفات يريد أن يثبت وجوده ، وكذلك يقول الملحد أريد أن أنفي وجود إله بالصّفات التّالية ، ويحدّد الصّفات بدقّة ، فلا بدّ من وجود اتّفاق على الموضوع بين الطّرفين المتناقشين المتحاورين .

ويأتي نفس البحث في النّبوّة والإمامة والمعاد ، فلا بدّ من تحديد التّصوّر عنها ، فأيّ نبوّة وأيّ إمامة وأيّ معاد يريد أن يثبت ، فأوّلًا يبيّن تصوّره عن النّبوّة والإمامة والمعاد ويحدّد الصّفات والمواصفات ، مثلًا نبيّ وإمام معصومان أو غير معصومين ، أنت تريد أن تثبت العصمة للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهو يريد أن ينفي العصمة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فيوجد اتّفاق على الموضوع بين الطّرفين ، أنت تقول بأنّه يوجد إمام ، وهو يقول بأنّه لا يوجد إمام ، والإمام بهذه المواصفات المعيّنة ، فيوجد موضوع مشترك بين الطّرفين ، والمعاد جسمانيّ أو روحانيّ ، وأنت تريد أن تثبت أنّ المعاد جسمانيّ روحانيّ ، وهو يريد أن يثبت أنّ المعاد روحانيّ فقط ، وهذا هو

الموضوع المشترك بينكما ، وكذلك في باقي المسائل العقائديّة وغير العقائديّة ، مثلًا في البداء والرّجعة تبدأ أوّلًا بالتّعريف ، هل في البداء أنّ الله لا يعلم ثمّ يعلم أي كان الله جاهلًا ثمّ عَلِمَ ، وهذا ليس تعريفًا للبداء في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، ولكنّ الطّرف الآخر يتّهم أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام بأنّهم يقولون بالتّعريف السابق ، والبداء هو أنّ النّاس لا يعلمون ، والعلم موجود عند الله ، ولكنّ الله يغيّر الحكم بالنّسبة للنّاس ، فالنّاس كانوا يجهلون ثمّ علموا ، ولا بدّ أن يكون التّعريف مشتركًا بين الطرفين ، وكذلك في باقي البحوث ، فلا بدّ أن يتمّ تحديد الموضوع المشترك ، وبعد ذلك يبدأ الطّرفان بإقامة الدّليل على الإثبات أو على النّفي .

إذن :

في أيّ نقاش أوّلًا لا بدّ من تحديد محلّ البحث ، ويسمّونه "تحرير محلّ النّزاع" ، ولكن لا نسمّيه بهذا الاسم لأنّنا لسنا في نزاع مع الآخرين ، وإنّما نحن في بحث وحوار ونقاش معهم ، فنسمّيه "تحديد موضوع البحث والحوار" ، فقد يُثْبِتُ الشّخص الأوّل ما لا يقبله الشّخص الثّاني ، أو يُثْبِتُ الشّخص الأوّل ما لا ينفيه الشّخصّ الثّاني ، فيوجد مورد اتّفاق بين الشّخصين .

مثلًا حينما يقول الملحد بأنّه لا يقبل إلهًا ظالمًا شرّيرًا ، ويقول أنتم المؤمنين تقولون بأنّ الإله ظالم شرّير ، ولكنّ المؤمن لا يقبل ذلك أيضًا ، فالمؤمن يريد أن يثبت الإله الخيّر الّذي يفيض بالخير ، فالمؤمن

والملحد كلاهما يرفضان الإله الشّرّير ، فلا يوجد اختلاف بينهما في هذا الموضوع ، فيوجد بينهما اشتراك في نفي الإله الشّرّير ، والملحد يريد أن ينفي الإله الشّرّير ، والمؤمن يريد أن يثبت الإله الخيّر ، والمؤمن لا يريد أن يثبت الإله الشّرّير ؛ لكي يأتي الملحد وينفيه ويتّهم المؤمن بأنّه يثبت الإله الشّرّير .

وذكرنا بأنّ التّصوّرات عن الإله كثيرة ، وذكرنا مجموعة من العناوين في المحاضرة السّابقة ، ونضيف عليها عناوين أخرى ، وسنذكر تعاريفها فيما بعد ، منها إله إسبينوزا ، وإله الفراغات .

وكثير من ملاحدة الغرب ينفون الإله الموجود في تصوّرات الفلاسفة الغربيّين من اليهود أو المسيحيّين ، أو التّصوّرات الموجودة في التّوراة والإنجيل ، وهم لا يتعرّضون لنفي تصوّرات الإله عند المسلمين بجميع مذاهبهم واتّجاهاتهم ومدارسهم ولا لإثباته ؛ لأنّهم لا يعرفون هذا الإله الّذي نسمّيه "الله" عزّ وجلّ .

يوجد كتاب باللّغة الفارسيّة عنوانه "خدا در أنديشه فيلسوفان غرب" في ثلاثة مجلّدات ، تأليف : هانس كونغ Hans Kung ، ترجمة عنوان الكتاب باللّغة العربيّة : "الإله في فكر فلاسفة الغرب" ، وقد بحثت عن التّرجمة العربيّة للكتاب في الإنترنت ولم أجدها ، وهذا الكتاب جيّد ؛ لأنّه يعطينا التّصوّرات عن الإله في فكر الغربيّين ، وحينما نريد أن نردّ عليهم لا بدّ أن يكون عندنا اطّلاع على آرائهم من مصادرهم ، ولعلّ تتمّ ترجمته إلى اللّغة العربيّة عن قريب .

إشارة سريعة إلى موضوع "المشتركات بين الأديان" :

كتب نافعة في هذا الموضوع :

المشتركات الدّينيّة والإنسانيّة بين الإسلام والمسيحيّة – محمّد عبدالعاطي عبّاس – من إصدارات مجمع البحوث الإسلاميّة بالأزهر الشّريف .

المشترك الدّينيّ بين الأديان السّماوية والعالميّة – سوميّة حجّاج .

المشتركات الفكريّة بين الأديان — هدى علي كاكائي .

الصّلات الحضاريّة بين الفكر المسيحيّ والفكر الإسلاميّ – هدى علي كاكائي .

حوار الأديان وأثره على التّعايش السّلميّ – محمّد ثروت .

التّوحيد والنّبوّة والقرآن في حوار المسيحيّة والإسلام – هانس كونج Hans Kung وجوزيف فان إس Josef van Ess .

القيم الأخلاقيّة المشتركة للأديان : الإسلام رمز الأمل – هانس كونج .

يقول في مقدمة كتاب "القيم الأخلاقيّة المشتركة للأديان : الإسلام رمز الأمل" : خلاصة هذه الدّراسة هي أن نكتشف القيم الأخلاقيّة والأصول الكلّيّة في الأخلاق المشتركة في جميع الأديان في العالم .

ويقول في الصّفحات التّالية (بتصرّف واختصار) :

الأديان على ثلاثة أصناف :

١- الأديان الّتي لها منشأ هنديّ :

الهندوس والبوذيّة ، والشّخصيّة الأصليّة في الأديان الهنديّة هو العارف [١] .

٢- الأديان الّتي لها منشأ صينيّ :

الكونفوشيوسيّة وداوو ، والشّخصية الأصليّة في الأديان الصّينيّة هو الإنسان .

٣- الأديان الّتي لها منشأ ساميّ أي الأديان التّوحيديّة :

اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام ، والشّخصيّة الأصليّة في الأديان التّوحيديّة هو النّبيّ .

وجميع هذه الأديان الّتي ذكرناها مرّت بمراحل متشابهة ، بدأت بصورتها البدائيّة ثمّ بدأت بالاكتمال ثمّ وصلت إلى كمالها الأصليّ ، والآن هي داخلة في صراع مع الحداثة الغربيّة ، وجميع الأديان تعيش الآن إرهاصات ومقدّمات الانتقال من القراءة التّقليديّة إلى قراءة جديدة ، وهي ما بعد الحداثة ، ولا يمكن معرفة ما سيحدث لهذه الأديان في المائة سنة القادمة ، ونحن الآن نعيش في مرحلة هيجان ، ووجدت على مرّ التّاريخ الدّينيّ المكتوب أنّ تساؤلاتها جميعًا متشابهة ، فيطرحون سؤالًا وهو : من أين جئنا ؟ [٢] .

---

[١] أي محور هذه الأديان هو العارف .

[٢] كلّ إنسان يتساءل : من أين جئت ؟ ، وهو سؤال فطريّ ، وليس الجواب أنّه من أب واحد وأمّ واحدة ، بل قبل ذلك ومن البداية .

والأجوبة على هذه التّساؤلات متشابهة أيضًا إلى أبعد حدّ . انتهى

أقول : سيأتي الكلام بشكل تفصيليّ عن موضوع "فلسفة الدّين" ؛ لكي نثبت حاجة الإنسان إلى الدّين ، وبعد ذلك نثبت وجود الأنبياء عليهم السّلام ، ووجود الأئمّة عليهم السّلام ، ووجود المعاد ، أو نأخذ أصول الدّين ، وبعد ذلك نأتي إلى فلسفة الدّين ، ونريد أن نبيّن المشتركات بين جميع الأديان .

يقول : "من القراءة التّقليديّة إلى قراءة جديدة" :

في القراءة الجديدة للدّين نحتاج إلى الأخذ من تراث الماضي للانطلاق نحو المستقبل ، فنحن في جميع بحوثنا ندور في الماضي ونعيش في الماضي ، وحينما يريد الباحث أن يقوم بأيّ بحث فإنّه يأتي بأقوال العلماء السّابقين ، والكثيرون يقتصرون على أقوال السّابقين ، ولا يعطون آراءً جديدةً .

القراءة الجديدة هي أن نستفيد من التّراث الماضي لاكتشاف قراءة جديدة وفهم جديد اعتمادًا على الأدلّة ، ففي نفس الأدلّة الّتي اعتمد عليها العلماء السّابقون نسأل :

هل يمكن لنا أن نفهم هذه الأدلّة بفهم جديد ؟ هل يمكن أن تكون عندنا نظريّات جديدة نطبّقها على النّصوص الدّينيّة ؟

مثلًا لنفرض أنّ العلماء السّابقين قالوا بعدم دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في موضوعات الأحكام ، ونأتي الآن إلى نظريّة دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في موضوعات الأحكام فهل يمكن

أن نقرأ النّصوص الدّينيّة بقراءة جديدة وفهم جديد بناءً على هذه النّظريّة ؟

يمكن أن نفهم هذه الأدلّة بفهم جديد ، نفس الأدلّة الّتي استند إليها العلماء السّابقون ، والأفهام تختلف ، واختلاف الأفهام كان موجودًا عند العلماء السّابقين ، فالعلماء الماضون كانوا يختلفون في آرائهم مع وجود النّص الواحد ، مثلًا قد توجد خمسة آراء في هذا النّصّ الدّيني ، فنسأل :

هل يمكن إضافة آراء جديدة إلى هذه الآراء ، ولا نقتصر على الآراء السّابقة ، ونضيف إلى هذه الآراء آراءً جديدةً وفهمًا جديدًا لهذا النّصّ الدّينيّ ؟

ونركّز هنا على احترام العلماء الماضين الّذين حفظوا التّراث ، وكان لهم دور في التّجديد في أزمانهم في إعطاء قراءات جديدة وأفهام جديدة ، فهم أتوا بشيء جديد ، والعالم اللّاحق كان ينظر إلى آراء العلماء الّذين سبقوه ، ويقيّم الرّأي ويشكل عليه إشكالًا ، ويأتي بجواب على الإشكال ، أو يثبّت الإشكال ويأتي برأي جديد ، فالعلماء السّابقون كان عندهم هذه الحالة ، وكانوا يحاولون أن يأتوا بآراء جديدة بما يتناسب مع أزمانهم وظروفهم .

وهذا ما حدث في تطوّر العلوم الطّبيعيّة أيضًا ، علماء الطّبيعة أخذوا المعلومات من العلماء السّابقين وطوّروها وأضافوا إليها أشياء جديدة ، ولم يقتصروا على الآراء السّابقة ، وفي التّطوّر الهائل الموجود

اليوم استفادوا من النّظريّات السّابقة وأتوا بنظريّات جديدة ، فصار عندنا هذا التّطوّر والتّقدّم في الأجهزة الحديثة ، وفي علم الكون توجد نظريّات جديدة ، وانتقل العلماء من قوانين نيوتن إلى النّظريّة النّسبيّة إلى نظرية الكوانتم وفيزياء الكمّ ، فيدرسون النّظريّات السّابقة ويكتشفون نظريّات جديدة ، وعلماء المستقبل سيأخذون من العلماء الحاليّين لأجل التّطوير والتّقدّم أكثر وأكثر ، وهكذا يحصل التّطوّر في العلوم الطّبيعيّة .

كذلك العلوم الدّينيّة نرى أنّها تتطوّر عبر الزّمان ، مثلًا علم أصول الفقه بدأ بكتاب من أربعمائة صفحة ، والآن علم الأصول قد يصل إلى خمسة عشر مجلدًا ، وعلم الفقه كان في مجلّد واحد ، والآن علم الفقه في خمسين مجلّدًا ، وكذلك علم العقائد كان في كتيّب من عشرين صفحةً ، والآن تجده في أربعة مجلّدات كبيرة ، فالتّطوّر موجود في العلوم الدّينيّة ، والآراء تتغيّر من زمان إلى زمان آخر اعتمادًا على الأدلّة ، وهي ليست آراءً استحسانيّة بناءً على الرّأي الشّخصيّ ، فالعالم يأتي وينظر في الأدلّة ، ومن الممكن أن يأتي بفهم جديد ، وقد توجد بعض المسلَّمات سابقًا ، والآن هذه المسلَّمات قد تتغيّر إلى مسلَّمات أخرى ، والمسلَّمات قد تتغيّر مع الزّمان ، ففي زمان تجد مسلَّمة معيَّنة ، وفي زمان آخر تلك المسلَّمة قد تتغيّر إلى مسلَّمة أخرى .

مثلًا في الفقه العمليّ نجاسة الكتابيّ كانت مسلَّمة سابقًا ، والآن

طهارة الكتابيّ هي المسلَّمة ، فحصل تغيّر مع أنّهم ينظرون إلى نفس الدّليل :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" [1] .

النَّجَس أُخِذَ بمعنى النّجاسة المادّيّة ، فيكون المشرك نجسًا ، وقيل بأنّ الكتابيّ مشرك ، والنّتيجة هي نجاسة الكتابيّ ، والآن يؤخذ النَّجَس بمعنى جديد وهو النّجاسة المعنويّة ، وقد يأتي بحث بأنّ النّجس لا يقصد منه النّجاسة المعنويّة ، وبالرّجوع إلى كتب اللّغة نجد أنّ النّجس بمعنى القذر ، ولا بد أن ننظر في الآية لنعرف ما هي علاقة نجاسة المشركين بالفقر ، حيث ذكرت الآية : **"وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً"** ، أي خفتم الفقر .

حينما نستقطع جزءًا من الآية **"إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ"** من سياقها القرآنيّ فالنّتيجة هي نجاسة المشرك ، ولكن إذا تركنا جزء الآية ضمن السّياق فلا بدّ أن نبحث عن علاقة المشرك النّجس بالخوف من العيلة ، فنخرج بنتيجة أخرى ، ويصير عندنا معنى جديد للنّجس غير المعنى المتعارف ، لا نجاسة مادّيّة ولا نجاسة معنويّة ، وإنّما معنى آخر للنّجاسة .

وأي آية لا بدّ أن نقرأها ضمن سياقها القرآنيّ ، ولنأخذ مثالًا آخر

---

[1] التّوبة : ٢٨ .

وهو بحث فرض الجزية على اليهود والمسيحيّين :

"قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِاليَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" [1] .

"مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" : نقرأها مرّة بدون السّياق فتكون النّتيجة هي فرض الجزية على أهل الكتاب ، ونقرأها مرّة أخرى ضمن السّياق فتكون النّتيجة هي فرض الجزية على المقاتلين المعتدين الّذين بدأوا القتال من الّذين أوتوا الكتاب ، ولم تقل الآية أهل الكتاب ، ويوجد فرق بين الّذين أوتوا الكتاب وبين أهل الكتاب ، وذكرت الآية صفات الّذين أوتوا الكتاب من أنّهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ونعرف أن أهل الكتاب من اليهود والمسيحيّين يؤمنون بالله واليوم الآخر .

"وَقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ" [1] .

"وَقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً" : نقرأها تارةً بدون السّياق فتكون النّتيجة هي وجوب قتال جميع المشركين ، ونقرأها تارةً أخرى ضمن السّياق فتكون النّتيجة هي قتال المشركين الّذين بدأوا القتال واعتدوا على المسلمين .

---

[1] التّوبة : ٢٩ .

[1] السّورة السّابقة : ٣٦ .

وكذلك في بقيّة الأحكام الشّرعية ، فإذا قرأنا الآية ضمن سياقها قد نخرج بحكم آخر ، والمشكلة أنّ استقطاع الآية من سياقها القرآنيّ تعطي للآية معنى ، ولكن قراءتها ضمن السّياق تعطي للآية معنى آخر ، ومراد الآية هو المعنى ضمن سياقها لا خارج سياقها .

والعلماء يقولون بوجود خمسمائة آية هي آيات الأحكام ، ولكن لو نظرنا إلى هذه الآيات نرى أنّها مستقطعة من سياقها القرآنيّ ، فالعالم يخرج منها بمعانٍ إذا لم يقرأها ضمن السّياق ، وإذا قرأها ضمن السّياق فإنّه يخرج بفهم جديد لمعاني هذه الآيات ، ويصل إلى أحكام أخرى .

وفي مباحث الفقه العمليّ سنأخذ الآية مرّة بدون السّياق ومرّة مع السّياق لنرى اختلاف المعنى ، ونأتي بأقوال العلماء عن الآية لنرى المعاني المختلفة الّتي فهمها العلماء .

مثلًا في بحث الجزية : حينما نضع الآية ضمن سياقها هل الجزية فُرِضَتْ على أهل الكتاب أو لا ؟

والمعروف الآن أخذ الجزية من أهل الكتاب ، مع أنّ هذا الحكم غير مُطَبَّقٍ اليوم ، بل العكس هو المطبَّق ، فالمشركون في زماننا يأخذون الجزية من المسلمين ، فهذا حكم غير مطبَّق ، وتوجد عدّة أحكام غير مطبَّقة ، ولو سألنا : لماذا هذه الأحكام لا تُطَبَّقُ ؟

فيأتي الجواب بأنّ هذه الأحكام غير قابلة للتّطبيق ، ويبرّرون بأنّ زماننا غير مناسب لتطبيق هذه الأحكام ، وهذا التّبرير يأتي من الّذين

يقولون بعدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، وهذا شاهد على صحّة نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، مع أنّ القائلين بعدم تطبيق هذه الأحكام في زماننا لا يتبنّون هذه النّظريّة ، ويتبنّون أنّ الأحكام ثابتة من زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ولا تتغيّر إلى يوم القيامة ، ولا ينظرون إلى تغيّر الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في الأحكام ، وسنبيّن الأحكام بناءً على النّظريّتين : دخالة الزّمان والمكان وعدم دخالتهما في الأحكام ، ونأتي بالرّأيين حينما نصل إلى مباحث الفقه العمليّ .

وأكرّر بأنّ البحوث في محاضراتنا هي بحوث نظريّة ، وليست بحوثًا فتوائيّة ، ولست بصدد إعطاء فتاوى ، وإنّما أريد أن أبحث بحثًا نظريًّا في كيفيّة النّظر إلى الأدلّة من الآيات والرّوايات الّتي على أساسها تُسْتَنْبَطُ الأحكام الشّرعيّة بناءً على النّظريّتين .

نعم توجد مسلَّمات ثابتة غير قابلة للتّغيير ، مثلًا وجود الله ثابت ، ولا يتغيّر ، فإذا أتى عالم مسلم وقال : بحثت ووجدت أنّ الله غير موجود – فقوله لا يُقْبَلُ .

وعدل الله ثابت ، ووجود النّبيّ صلّى الله عليه وآله ثابت ، ووجود يوم للحساب ثابت ، هذا في الفقه العقائديّ ، وفي الفقه الأخلاقيّ الرّحمة ثابتة ، والتّواضع ثابت ، ومجموعة الصّفات الأخلاقية ثابتة ، وفي الفقه العمليّ الصّلاة ثابتة ، والصّيام ثابت ، والحجّ ثابت ، نعم تفاصيل الصّلاة والصّيام والحجّ تختلف من فقيه إلى آخر .

وذكر هانس كونج مؤلّف كتاب "القيم الأخلاقيّة المشتركة للأديان : الإسلام رمز الأمل" السّؤال المشترك بين جميع البشر على مختلف أديانهم وثقافاتهم وظروفهم الفكريّة والجغرافيّة ، والسّؤال هو : من أين جئنا ؟

وهذا السّؤال نابع من فطرة الإنسان ، وأجوبتهم واحدة مع أنّ ظروفهم مختلفة ؛ لأنّ الجواب نابع من فطرة الإنسان أيضًا ، فالسّؤال والجواب فطريّان كما سيأتي في الأدلّة على إثبات وجود الإله ، فمن الأدلّة الدّليل الفطريّ ، وسيأتي البحث في موضوع "الفطرة" ، وسنذكر مجموعة من الأسئلة الفطريّة الموجودة عند كلّ إنسان ، فالأسئلة فطريّة والأجوبة فطريّة أيضًا .

كتاب "التّصوّف والفلسفة" Mysticism and Philosophy ، تأليف : ولتر ستيس Walter Stace ، ترجمة وتعليق وتقديم : الأستاذ الدكتور إمام عبدالفتاح ، يقول في مقدّمة الكتاب :

المؤلّف يبني عليها فكرة أساسيّة هي أنّ التّجربة الصّوفيّة واحدة عند جميع المتصوّفة ، إذ تتّفق التّجارب الصّوفيّة الّتي رواها المسيحيّون والمسلمون واليهود والهندوس والبوذيّون ، وأيضًا المتصوّفة الّذين لم يتّبعوا أيّ عقيدة دينيّة محدّدة ، لكنّها تختلف في تأويل كلّ متصوّف لتجاربه تأويلًا عقليًّا مستمدًّا من خصائص ثقافيّة . انتهى

لو استقرأنا أنواع التّصوّف في العالم من البوذيّة والكونفوشيوسيّة واليهوديّة والمسيحيّة والإسلام والهندوسيّة لوجدنا مع جميع

الاختلافات الموجودة بينهم أنّهم يتّفقون على أنّ الموجود الّذي يعتقدون به صفاته واحدة ، فالجوهر واحد ، ولكن تعبيراتهم تختلف .

في كتاب "القيم الأخلاقيّة المشتركة للأديان : الإسلام رمز الأمل" لهانس كونج يقول :

أريد أن أعطيكم تقريرًا مختصرًا عن القيم الأخلاقيّة المشتركة بين جميع أديان العالم ، وهذه من أهمّ الحاجات الضّروريّة في زماننا الحاليّ ، . . . وفي مدى عقود استطعت أن أهيّئ لكم هذا المختصر ، كلّ حياتي الفكريّة تجدها في هذا الكتاب . . . وبحسب تجربتي أعتقد أنّ هذا الاختلاف بين الأديان والأفكار وغيرها ضرورة إنسانيّة ، ولا تتوقّعون أنّه في يوم من الأيّام ستتّفق البشريّة على دين واحد ، وأيّ صلح وسلام بين الأمم لا يمكن أن يحصل إلّا بعد الصّلح بين الأديان ، وأيّ صلح بين الأديان لا يمكن أن يتحقّق إلّا من خلال الحوار ، وأيّ حوار بين الأديان لا يمكن أن يحصل إلّا من خلال الأخلاق المشتركة واحترام الآخر ، والنّتيجة أنّ الكرة الأرضيّة لا يمكن أن تعيش بسلام وأمن وسعادة إلّا من خلال الأخلاق الإنسانيّة المشتركة . انتهى

يقول : "ولا تتوقّعون أنّه في يوم من الأيام ستتّفق البشريّة على دين واحد" : لا نتّفق مع المؤلّف على هذا الرّأي ، فنحن نعتقد أنّه بعد ظهور الإمام المهديّ ونزول المسيح عليهما السّلام سيتّفق العالم على دين واحد باختيارهم وبدون إجبار وإكراه من أحد ؛ لأنّ النّاس

سيرون تجربة الدّين الإسلاميّ الّذي يوجد فيه الأخلاق الإنسانيّة العامّة المشتركة ، وسيوحّد قلوب النّاس على الخير والبرّ والإحسان والعدل والحرّيّة والمساواة ، ولكن على الطّريقة الإسلاميّة التي سيحبّها جميع النّاس ، وسيرون التّطبيق الحقيقيّ لهذه الأمور ، لا كما هو حاصل اليوم ، فاليوم هذه الأمور عبارة عن شعارات فقط حيث نرى أنّ الدّول القويّة تأكل الدّول الضّعيفة .

يقول : "الأخلاق الإنسانيّة المشتركة" : سيأتي بحث عن القِيَم والمبادئ والأخلاق الإنسانيّة العالميّة في القرآن الكريم ، وسنستخرج الآيات الّتي تبيّن الأخلاق الإنسانيّة العالميّة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٦٤)

نتائج التّصديق بوجود الإله [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

نجيب عن بعض الأسئلة النّابعة من المحاضرات السّابقة عن تصوّر الإله .

وقبل الدّخول في الموضوع أقرأ بعض الآيات القرآنيّة :

"نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ" [٢] .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٧ جمادى الأولى ١٤٤١ هـ ، الموافق ٢٠٢٠/١/٣ م .

[٢] القصص : ٣-٦ .

"وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا" [1] .

الرّجوع إلى الموضوع :

هناك بعض الأسئلة النّابعة من البحوث السّابقة ، وهي :

السّؤال الأوّل : إذا تحقّق تصوّر الإله ولو تصوّرًا إجماليًّا من خلال صفاته أو آثاره وقام الدّليل على إثبات وجوده وحصل الإيمان القلبيّ بما قام الدّليل على وجوده فما هو الأثر العمليّ لهذا الإيمان القلبيّ ؟

والإنسان الّذي يؤمن بهذا الإله هل هناك آثار عمليّة تترتّب على إيمانه أو لا ؟

الجواب :

لنأخذ مثالًا عرفيًّا ثم نأتي إلى الجواب ، إذا تصوّر الشّخص السّمّ وعرف حقيقته ، وأنّ شرب السّمّ يؤدّي إلى الموت ، وثبت بالدّليل أنّ السّائل الموجود أمامه سمّ لا ماء ، وحصل له إيمان واعتقاد بأنّ من يشرب السّمّ يموت ، فالأثر العمليّ المترتّب على إيمانه هو أثر سلبيّ ، وهو عدم شرب هذا السّائل حتّى لو أعطيته مبلغًا كبيرًا من المال .

إنّ الإيمان القلبيّ يُوَلِّدُ أثرًا عمليًّا ، وبقدر الإيمان القلبيّ يترتّب الأثر العمليّ ، فكلّما ازداد الإيمان ترتّب الأثر العمليّ بشكل أسرع ،

---

[1] النّساء : ٦٩-٧٠ .

والإيمان على درجات كما تشير إليه الآيات والرّوايات ، لذلك فالأعمال المترتّبة على درجات الإيمان هذه الأعمال على درجات أيضًا ، فالإيمان في الدّرجة الأولى يقابله عمل في نفس الدّرجة ، والإيمان في الدّرجة الثّانية يقابله عمل في نفس الدّرجة ، وهكذا في بقيّة الدّرجات ، وكلّما صعد الإنسان في درجات الإيمان تجد أنّ أعماله تختلف عن أعمال من يكون في الدّرجة الأولى ، فمن يكون في الدّرجة الأولى عنده بعض الاهتمامات ، ومن يكون في الدّرجات العليا لا يهتمّ باهتمامات من يكون في الدّرجة السّابقة عليه .

وكمثال على ذلك أحد روّاد الديوانية قال : أنا كنت سابقًا أتابع مباريات كأس العالم ، والآن لا يوجد عندي انجذاب إلى هذه المباريات .

نقول إنّ نظرته إلى الأشياء تغيّرت ، فكانت متابعة المباريات أمرًا مهمًّا عنده .

نسأل : لماذا تغيّرت نظرته إلى المباريات ؟

والجواب أنّه كان يعطي للمباريات قيمةً كبيرةً ، والآن هذه القيمة صارت صغيرة عنده ، فبعد ما صعد في درجات الإيمان تغيّرت نظرته إلى الأمور ، فبعض الأشياء يعطيها الإنسان اهتمامًا كبيرًا مع أنّها ليست ذات قيمة ، وبالعكس هناك أشياء لها قيمة كبيرة والإنسان لا يعطيها قيمة ، وتقييم الإنسان للأشياء يعتمد على درجته الإيمانيّة .

مثلًا أوّل ما يبدأ الشّابّ بالصّلاة ترى أنّه لا توجد له علاقة قويّة

بها ، ويحاول أن ينتهي منها خلال دقائق قليلة ، وكلّما ازداد إيمان الإنسان ترى أنّ اهتمامه بالصّلاة أكثر ، وفي البداية يسوّف ويؤجّل الصّلاة إلى آخر الوقت ويقول يجوز ، ولكن حينما يصعد في الدّرجات الإيمانيّة تجد أنّه يصلّي في أوّل الوقت ، وعنده اهتمام أن يصلّي في أوّل الوقت ، فمن المهمّ أن يهتمّ الإنسان بالصّعود في الدّرجات الإيمانيّة ، وسيرى أنّ تقييم الأعمال عنده مختلف عن السّابق ، كانت هناك أشياء اهتمّ بها وهو صغير السّنّ ، والآن لا يهتمّ بها .

ويوجد بعض النّاس حتّى مع تقدّم العمر يقومون بنفس الأعمال ؛ لأنّهم ثابتون على درجة إيمانيّة معيّنة ، فهم يتقدّمون في العمر ، ولكن درجتهم ثابتة ، مع أنّهم يؤدّون الكثير من الأعمال ، ولكن هذه الأعمال لا يستفيدون منها قلبيًّا وروحيًّا ، فترى بأنّهم عبارة عن نسخة كربون ، فعمره الآن ستّون سنة ، ولكنّه نسخة من نفسه حينما كان عمره ستّ عشرة سنة ، فعنده نفس الأفكار ونفس الأعمال ونفس الآراء ونفس التقييم للأعمال ، وهذا يعني أنّه ثابت على درجة إيمانيّة واحدة ، ولا يوجد عنده أيّ تقدّم في درجته الإيمانيّة ، وكثير من النّاس هكذا ثابتون على درجة معيّنة ، وقد يكون تقدّمهم قليل جدًّا .

مثلًا بعض كبار السّنّ ترى أحدهم جالسًا في البورصة وهو واضع يده على خدّه وينظر إلى لوحة الأسعار ، مع أنّ عمره ستّون أو

سبعون سنة ، هذا ليس مكانه ، فلحدّ الآن عنده اهتمام بكسب المال .

نسأله : لماذا تريد كسب المال الآن ؟ كم سنة بقيت من عمرك في هذه الدّنيا ؟ بل كم يوم بقي من عمرك ؟

ترى شخصًا عمره سبعون سنة وعنده بيت ، والآن يبدأ ببناء بيت جديد ، هذا ليس وقته ، كم سيعيش بعد السّبعين ؟

الاحتمالات ضعيفة ، وهذا الشّخص تقييمه للأشياء نفس التّقييم الّذي كان عنده وقت شبابه ، لذلك عنده أمل أنّه سيعيش سنوات طويلة ، وإذا كان مريضًا بالسّكّر والضّغط والقلب فالأمل يقلّ كثيرًا ، والمفروض أنّه يستعدّ الآن للرّحيل .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "إنّ لله تعالى مَلَكًا ينزل في كلّ ليلة فينادي : يا أبناء العشرين جدّوا واجتهدوا ، ويا أبناء الثّلاثين لا تغرّنّكم الحياة الدّنيا ، ويا أبناء الأربعين ماذا أعددتم للقاء ربّكم ؟ ، ويا أبناء الخمسين أتاكم النّذير ، ويا أبناء السّتّين زرع آن حصاده ، ويا أبناء السّبعين نُودِيَ لكم فأجيبوا ، ويا أبناء الثّمانين أتتكم السّاعة وأنتم غافلون . . ." [1] .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : "إذا أتت على العبد أربعون سنة قيل له : خذ حذرك ؛ فإنّك غير معذور ، وليس ابن أربعين سنة أحقّ بالعذر من ابن عشرين سنة ، فإنّ الّذي يطلبهما واحد ، وليس

---

[1] مستدرك الوسائل للميرزا النّوريّ ج١٢ ص١٥٧ح٥ .

عنهما براقد ، فاعمل لما أمامك من الهول ، ودع عنك فضول القول" [١] .

"الّذي يطلبهما واحد" : هو الموت .

من يكون في عمر العشرين لا بدّ أن يستعدّ للرّحيل أيضًا ، واقرأ الجرائد ترى أنّ شخصًا عمره عشر سنوات ، وستّ عشرة سنة ، وعشرون سنة ، وخمس وعشرون سنة ، حتّى الشّابّ لا بدّ أن يستعدّ للرّحيل ، نعم الشّابّ يخطّط للمستقبل ، والتّخطيط للحياة مطلوب ، ولكن مع ذلك لا بدّ أن يتوقّع الموت في أيّ لحظة ، ويكون مستعدًّا للموت في أيّ لحظة ، لذلك على الإنسان أن يضبّط أموره وحساباته حتّى يمكن له أن ينتقل إلى العالم الآخر وهو مرتاح مطمئنّ القلب .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "حاسِبُوا أنفسكم قبل أن تُحَاسَبُوا ، وَزِنُوهَا قبل أن تُوزَنُوا ، وتَجَهَّزُوا للعَرْضِ الأَكْبَرِ" [٢] .

عن أبي الحسن موسى الكاظم عليه السّلام : "ليس منّا من لم يحاسِب نفسَه في كلّ يوم ، فإن عمل خيرًا استزاد الله منه ، وحمد الله عليه ، وإن عمل شرًّا استغفر الله منه وتاب إليه [٣] .

وحساب النّفس يكون للكبير في العمر وللشّابّ أيضًا ، وللمسلم ولغير المسلم ، فكلّ إنسان لا بدّ أن يحاسب نفسه .

---

[١] بحار الأنوار ج٧٠ ص٣٨٩ ح٧ .

[٢] المصدر السّابق ج٦٧ ص٧٣ ح٢٦ .

[٣] المصدر السّابق ج٦٧ ص٧٢ ح٢٤ .

إذن :

الدّرجات الإيمانيّة المختلفة تترتّب عليها أعمال تتناسب مع كلّ درجة درجة .

والإنسان قد يعتقد بوجود يوم القيامة ، وعنده يقين بيوم الحساب ، ولكنّ هذا اليقين قد لا يتحوّل إلى إيمان واعتقاد ، لذلك يتعامل مع الدّنيا كأنّ الآخرة غير موجودة ، وانظر حولك كم من النّاس يعيشون بهذه الصّفة ؟

يقول : أؤمن بوجود الآخرة – ولكن في حياته لايتعامل على أساس وجود الآخرة ، مثلًا الإنسان الّذي يختلس الأموال هل يعتقد بوجود يوم للحساب ؟!

الإنسان الّذي يقتل أخاه الإنسان هل يعتقد بوجود آخرة ؟

الإنسان الّذي يظلم أخاه الإنسان هل يعتقد بوجود يوم القيامة ؟

وانظر إلى أحداث العالم اليوم ، الحروب الّتي يُقْتَلُ فيها الآلاف ومئات الألوف ، هل الّذي يسبّب هذه الحروب يعتقد بوجود الآخرة وأنّه سَيُحَاسَبُ على أفعاله ؟

من ناحية العلم عنده تصوّر عن الآخرة ، ولكنّه لا يتعامل مع الدّنيا على أساس أنّه سينتقل في يوم ما للحساب ، يرى هذه الدّنيا ويقول إنّ الإنسان يموت وينتهي الأمر به في القبر وتنتهي القصّة ، ولا شيء بعد القبر – مع أنّه من حيث التّصوّر عنده صورة ذهنيّة عن وجود الآخرة .

الإنسان الّذي يعتقد بوجود الآخرة لا بدّ أن تظهر عليه آثار عمليّة مترتّبة على هذا الاعتقاد ، واعكس الجملة السّابقة ، وإذا لم تظهر عليه آثار عمليّة فمعنى ذلك أنّه لا يعتقد ، وهذا الاعتقاد على درجات ، تراه مرّة يتذكّر ومرّة ينسى ؛ لأنّ هذا الاعتقاد غير راسخ في قلبه ، ولو أنّ الاعتقادات ترسّخت في القلب فالآثار العمليّة تأتي بصورة طبيعيّة وبدون تكلّف وتصنّع ، فالإنسان الّذي يعتقد بالله يصلّي ، وبشكل طبيعيّ يهتمّ بأن يقف بين يدي الله في أوّل الوقت ؛ لأنّه يعتقد بوجود الله ، وهذا الاعتقاد على درجات مختلفة .

ولو أقيمت عشرات الأدلّة لشخص على أنّ يوم القيامة موجود ، وحصل له العلم ، ولكن لم يكن عنده إيمان واعتقاد قلبيّ بذلك فإنّه يتعامل مع الدّنيا كأنّ الآخرة غير موجودة ، فهو عالم بوجود الآخرة ، ولكنّه ليس مؤمنًا بالآخرة ، ولو كان مؤمنًا حقيقة لرتّب الأثر العمليّ على إيمانه .

سؤال : هل الإيمان هو العلم ؟

الجواب :

من المثال السّابق يتبيّن بأنّه يوجد اختلاف بين العلم والإيمان ، فقد يعلم الإنسان بشيء ، ولكنّه لا يؤمن ولا يعتقد به ، فالإيمان غير العلم .

يقول العلّامة السّيد الطّباطبائيّ رضوان الله عليه في تفسيره في سورة الفتح الآيات ١-٧ : الإيمان بالشّيء ليس مجرّد العلم به ، كما

يُسْتَفَادُ من أمثال قوله تعالى : **"إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى"** [١] ، وقوله : **"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى"** [٢] ، وقوله : **"وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ"** [٣] ، وقوله : **"وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ"** [٤] ، فالآيات -كما ترى- تثبت الارتداد والكفر والجحود والضّلال مع العلم ، فهو ليس ضالًّا عن جهل ، بل هو ضالّ عن علم .

فمجرّد العلم بالشّيء والجزم بكونه حقًّا لا يكفي في حصول الإيمان واتّصاف من حصل له به (أي الاتّصاف بالإيمان لمن حصل له العلم) ، بل لا بدّ من الالتزام بمقتضاه وعقد القلب على مؤدّاه بحيث يترتّب عليه آثاره العمليّة ولو في الجملة (تعبير "في الجملة" أي في بعض الآثار ، فمن عنده إيمان يلتزم ببعض الآثار ، ومدى التزامه بالآثار يترتّب على درجته الإيمانيّة ، وأمّا تعبير "بالجملة" فيعني إجمالًا) ، فالّذي حصل له العلم بأنّ الله تعالى إله لا إله غيره فالتزم بمقتضاه وهو عبوديّته وعبادته وَحْدَهُ كان مؤمنًا ، ولو علم به ولم يلتزم ، فلم يَأْتِ بشيء من الأعمال المُظْهِرَة للعبوديّة كان عالمًا

---

[١] محمّد : ٢٥ .

[٢] السّورة السّابقة : ٣٢ .

[٣] النّمل : ١٤ .

[٤] الجاثية : ٢٣ .

وليس بمؤمن .

ومن هنا يظهر بطلان ما قيل إنّ الإيمان هو مجرّد العلم والتّصديق ، وذلك لما مرّ أنّ العلم ربّما يجامع الكفر (أي العلم يجتمع مع الكفر ، فيكون عالمًا كافرًا) [1] .

"**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى**" : هم تبيّن لهم الهدى وعلموا بها ، ولكن مع ذلك ارتدّوا ، فاجتمع العلم مع الارتداد .

"**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى**" : عنده علم ، ولكنّه كافر ، فاجتمع العلم مع الكفر .

"**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ**" : عنده علم ، ولكنّه جاحد ، فاجتمع العلم مع الجحود .

"**وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ**" : عنده علم ، ولكنّه ضالّ ، فاجتمع العلم مع الضّلال .

إنّ الإيمان يختلف عن العلم ، فقد يوجد العلم واليقين ولا يوجد إيمان قلبيّ .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ [2] .

---

[1] الميزان في تفسير القرآن للعلّامة الطباطبائيّ ج١٨ .

[2] نهج البلاغة ، الحكمة١٠٤ .

هو عنده علم ، ولكنّه لا يستفيد من علمه ، وهذا العلم لا ينفعه لأنّه ليس مؤمنًا بما يعلم ، فيوجد علم ولا يوجد إيمان ، فليس كلّ عالم مؤمنًا ، فبعض العلماء مؤمنون ، وبعض العلماء ليسوا مؤمنين ، فينقسمون إلى قسمين : عالم مؤمن وعالم غير مؤمن ، وكذلك ليس كلّ مؤمن عالمًا ، فبعض المؤمنين علماء ، وبعض المؤمنين ليسوا علماء ، فينقسمون إلى قسمين : مؤمن عالم ومؤمن غير عالم .

والمؤمن غير العالم لا يهتمّ بطلب العلم ، وطلب العلم مهمّ للإنسان المؤمن ، فهو يؤمن بوجود الإله ، ولكن لا يوجد عنده دليل على وجوده ، كما هو حال بسطاء النّاس الّذين يؤمنون بوجود الإله بلا دليل ، فبعض النّاس أذهانهم لا تساعدهم على التّفكير ، وتكون أذهانهم بسيطة ، فيؤمنون بوجود الإله بلا دليل لأنّه وُلِدَ من أبوين مسلمين وفي بيئة مسلمة ، ولو وُلِدَ من أبوين يعبدان البقر أو يقدّسانه لعبد البقرة أو قدّسها ، لذلك لا بدّ أن تبحث عن الأدلّة على العقائد الّتي تعتقد بها ، ولا تكتفي بأنّك وُلِدْتَ من أبوين شيعيين فصرت شيعيًّا ، وذاك وُلِدَ من أبوين سنّيّين فصار سنيًّا ، فهذه عقائد موروثة ، والإنسان في بحثه عن العقائد لا بدّ أن يكون عنده الأدلّة ، ولا يكفي أن تعتقد فقط بدون دليل ، فإذا اعتقدت بدون الدّليل فحالك حال ذاك الّذي يعبد البقرة أو يقدّسها ويقول : أنا أعتقد ، ولا يوجد عندي دليل على اعتقادي .

فنفس العذر الموجود عندك موجود عنده ، فأنت وُلِدْتَ من أبوين

مسلمين ، وذاك ولد من أبوين يقدّسان البقرة .

إنّ العقائد تحتاج إلى تثبيت وترسيخ عن طريق الدّليل ، والإنسان لا بدّ أن يرسّخ عقائده ؛ لأنّه إذا لم يرسّخ عقائده فهذه العقائد يفقدها قبل نزوله إلى القبر لأنّها عقائد غير راسخة ، وترسيخ العقائد يكون عن طريق الأدلّة .

سؤال : كيف نعرف أنّ العقائد ترسّخت ؟

الجواب :

نعرف ترسّخ العقائد حينما تترتّب الآثار العمليّة عليها بشكل طبيعيّ بدون تكلّف ، إذا ترتّبت الآثار على اعتقاده فمعنى ذلك أنّ هذا الاعتقاد راسخ عنده .

مثلًا ترى شخصًا عنده اهتمام بالصّلاة ويصلّي دائمًا في أوّل الوقت فهذا يكشف عن أنّ عنده اعتقاد راسخ ، ولكن شخص آخر يؤجّل الصّلاة إلى آخر الوقت متعمّدًا بدون أيّ عذر للتّأخير فهذا كاشف عن عدم رسوخ اعتقاده .

إنّ الأعمال تظهر درجة الإنسان لنفسه أوّلًا ، فلا بدّ أن تراقب نفسك ، ما هي الآثار العمليّة الّتي تأتي بها ؟

بذلك يمكن أن تعرف درجتك الإيمانيّة ، وهذا مقياس ، وبعض الأشخاص يقولون : لا ندري أنّنا في أيّ درجة إيمانيّة .

نقول له : انظر إلى أعمالك ، وقس نفسك على القرآن الكريم ، واستخرج الآيات الّتي تتحدّث عن صفات المؤمنين ، وانظر هل هذه

الصّفات موجودة فيك أو لا ، وبذلك يمكن أن تعرف درجتك الإيمانيّة .

وتجد في الرّوايات أيضًا كثيرًا من صفات المؤمنين ، وبنفس الطّريقة اكتب هذه الصّفات ، واحسب كم النّسبة الموجودة فيك ، فتعرف درجتك الإيمانيّة .

هم يؤمنون بوجود الإله ، وإذا سألتهم عن الدّليل لا يملكون جوابًا ، وهذا حال أكثر المسلمين الّذين يؤمنون بالله ، ولكن دليلهم ليس دليلًا علميًّا مُحْكَمًا ، وقد يكون طريقهم إلى الإيمان طريقًا شخصيًّا خاصًّا بهم ، فبعض النّاس يؤمنون لأنّ مرضًا خبيثًا أصابه أو أصاب أحد أقربائه فدعا الله أو الإله فشفي من مرضه ، فيعتقد بوجود الله إذا كان مسلمًا أو بوجود الإله إذا لم يكن مسلمًا ؛ لأنّه شُفِيَ من مرضه أو أحد أقربائه ، وهذا طريق شخصيّ ، وليس دليلًا علميًّا ثابتًا .

وهذا الإنسان الّذي يدعو إذا دعا المسيح وشفي فإنّ اعتقاده بالمسيح يرسخ ، وذاك الّذي يقدّس البقرة يتوجّه إليها بالدّعاء ويشفى فيظنّ أنّ البقرة أعطته الشّفاء فيعتقد بالبقرة أكثر ، ويأخذ من بول البقرة ويمسح بها وجهه فيشفى من مرضه ، فيرسخ اعتقاده ، لذلك ترون أنّ الّذين يقدّسون البقرة يذهبون تحتها لكي تبول عليهم ، فهم يعتقدون بهذه البقرة ، وأنت تسأل : لماذا يعتقد ببقرة ؟!

هو يعتقد بالبقرة كما أنت تعتقد بالإله ، هو يعتقد أنّها تشفيه كما

أنّك تعتقد أنّ الإله يشفيك ، وقد جرّب بعض الطّرق الشّخصيّة واستطاع أن يحصل على بعض الحاجات ، فمن خلال هذه الحاجات الخاصّة الّتي حصل عليها ترسّخت عقيدته أكثر بمعبوده أو بإلهه ، وهذا حال بعض المسلمين الّذين يدعون الله فيستجاب لهم ، هو يقول الله ، وذاك يقول المسيح ، والثّالث يقول البقرة ، والرّابع يقول بشيء آخر ، فكلّ إنسان يعتقد بالإله الّذي يعبده من خلال هذه الطّرق الشّخصيّة ، لذلك فإنّ الإنسان يحتاج إلى دليل علميّ محكم ، دليل عامّ لا دليل شخصيّ فقط .

إذن :

الجواب عن السّؤال الأوّل هو أنّه لا بدّ من وجود الآثار العمليّة للاعتقادات ، وهذه الآثار العمليّة تُظْهِرُ درجة الإنسان الإيمانيّة لنفسه ، ولا تستطيع أن تقيّم الآخرين ، فقد ترى شخصًا يؤخّر صلاته ، ولكنّك لا تستطيع أن تحكم عليه ؛ لأنّه قد يكون معذورًا ، كان عنده عذر وأخّر الصّلاة ، فلا تستطيع أن تقيّم الآخرين ، ولكن يمكنك أن تقيّم نفسك .

"بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ" [1] .

الإنسان قد يعتذر أمام الآخرين ، ولكنّه يعرف حقيقة نفسه .

السّؤال الثّاني : إذا حصل تصوّر الإله وحصل التّصديق بوجود الإله الّذي له صفات معيّنة فهل من صفاته أنّه يبعث أنبياء وينزل

---

[1] القيامة : ١٤-١٥ .

دينًا للنّاس ؟ فهل توجد ملازمة بين التّصديق بالإله وبعث الأنبياء؟ وأنت تعتقد بالإله فهل يشترط أن يبعث هذا الإله الأنبياء إلى النّاس ؟ وما هي ضرورة وجود الأنبياء والأديان في حياة الإنسان ؟

الجواب :

توجد أربعة آراء ، وهي :

الرّأي الأوّل :

الإيمان والاعتقاد بوجود الإله مع عدم الاعتقاد بالأنبياء ، وقد يقولون إنّ هؤلاء الأنبياء أناس صالحون ، ولا يعتقدون بأنّهم مرسلون من الإله ، وهؤلاء هم الّذين يُطْلَقُ عليهم "الرّبوبيّون" ، فهم يعتقدون بوجود الإله ، ولكنّهم لا يعتقدون بالأديان والأنبياء ، فيقولون إنّ الإله الّذي نعتقد به ليس من صفاته ووظائفه أن يرسل إلينا أنبياء ليأتوا بدين من عنده ، وَيُنْقَلُ أنّ أرسطو كان يؤمن بوجود الإله ، ولكنّه لا يعتقد بالنّبوّة ، فالنّاس لا يحتاجون إلى الأنبياء لأنّ الإله أودع فيهم العقل ، ومن خلال العقل والتّجربة والصّحّ والخطأ يعرف النّاس ما ينفعهم وما يضرّهم ، فلا يحتاج النّاس إلى أنبياء مرسلين من قِبَلِ الإله ، فهم يعتمدون على العقل ، والعقل يدلّ على الطّريق ، ولا تحتاج البشريّة إلى الوحي والنّقل ، فالعقل بالنّسبة لهم يكون كافيًا في معرفة الحقّ من الباطل والصّحيح من الخطأ ، والبشريّة لا تحتاج إلى أنبياء .

إذن :

الرّأي الأوّل هو الإيمان والاعتقاد بوجود الإله مع عدم الاعتقاد بالأنبياء لأنّ البشريّة تعتمد على العقل في معرفة الصّحيح والخاطئ .

الرّأي الثّاني :

البشريّة يمكن لها أن تصل إلى حدّ معيّن ، نظير الطّفل الصّغير الّذي يتعلّم المشي ، فإلى مدّة معيّنة يمسك أبواه بيديه لكي يتعلّم المشي ، وتدريجيًّا يتعلّم على المشي إلى أن يعتمد على نفسه ويستقلّ في مشيه عن الأبوين ، وإذا تعلّم المشي فلا يحتاج إلى الأخذ بيديه من قِبَلِ الأبوين ، لذلك لا تحتاج البشريّة إلى الأنبياء دائمًا ، نعم في البداية تحتاج إلى الأنبياء ، ولكنّ البشريّة ستصل إلى مرحلة من الرّشد والوعي والفهم والتّحقيق والتّجربة بحيث لا تحتاج فيها إلى الأنبياء والرّسل ، ففي البداية يحتاجون إلى الوحي ، وبعد ذلك يكتفون بالعقل ويستقلّون عن الأنبياء ، وهذا ما نراه الآن في الغرب ، فالبشريّة في مرحلتها العقليّة الطّفوليّة قبل النّضج كانت تحتاج إلى المسيح عليه السّلام ، ولكنّ البشرية الآن وصلت إلى مرحلة الرّشد العقليّ فلا تحتاج إلى أنبياء ورسل ، ودليلهم على ذلك هو أنّه لا يوجد أنبياء في زماننا الحاليّ ، ولو كانت هناك حاجة فالمفروض أنّ الأنبياء يستمرّون حتّى في زماننا الحاليّ ، فيسألون : لماذا لا يبعث الإله أنبياء في زماننا ؟

ويجيبون بأنّ البشريّة لا تحتاج إلى أنبياء ؛ لأنّها وصلت إلى مرحلة

النّضج والرّشد العقليّ .

إذن :

الرّأي الثّاني هو أنّه إلى مرحلة معيّنة كانت البشريّة تحتاج إلى الأنبياء ، وبعد ذلك استقلّت عن طريق العقل .

الرّأي الثّالث :

البشريّة تحتاج دائمًا إلى الأنبياء والرّسل المبعوثين من قِبَلِ الإله ليبيّنوا لهم وظائفهم وتكاليفهم ، وخاتم الأنبياء سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وآله انتقل إلى جوار ربّه ، ولكنّ القرآن الكريم وتعاليم النّبيّ صلّى الله عليه وآله باقية إلى يوم القيامة ، نعم النّبيّ صلّى الله عليه وآله بشخصه غير موجود ، ولكنّ القرآن وسنّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله موجودام ، فتستفيد البشريّة من القرآن الكريم والسّنّة الشّريفة .

إشكال على الرّأي الثّالث :

الملاحظ أنّ القرآن موجود بيننا اليوم ، ولكنّ المسلمين يختلفون في تفسير آياته ، والسّنّة النّبويّة مختلف فيها بين المسلمين بحسب المدارس والمذاهب المختلفة ، فبعض المذاهب والمدارس لا يأخذون بالرّوايات الموجودة عند المذاهب والمدارس الأخرى ، فكلّ مدرسة لها رواياتها الخاصّة ، فيأتي السّؤال : إذن ماذا تفعل البشريّة ؟ ومن أيّ مذهب ومدرسة من المسلمين تأخذ تفسير القرآن والرّوايات ؟!!

الرّأي الرّابع :

اتّجاه يعتقد بالنّبوّة ، ولكن يعتقدون بوجود الحجّة بعد ختم النّبوّة ،

فالبشريّة تحتاج إلى الحجّة دائمًا ، والحجّة لا يكون نبيًّا ، وإنّما هو إمام معصوم ، وطبعًا لا بدّ أن نثبت أنّ البشريّة تحتاج إلى الحجّة بعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وفي الرّأي الثّاني هم يعتقدون بالعقل ، والعقل هو الحجّة ، فنحتاج إلى بحث عن حاجة البشريّة إلى الحجّة ، ولا يمكن اكتفاء البشريّة بالعقل لوحده ، بل تحتاج البشريّة إلى الوحي والنّقل أيضًا ، والحجّة بعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله هم الأئمّة عليهم السّلام ، وفي زماننا الحاليّ نحتاج إلى الإمام المعصوم أيضًا ، وهو الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشّريف .

إنّ اتّصال البشريّة بالله عزّ وجلّ لا ينقطع بواسطة النّبيّ المعصوم أو الإمام المعصوم ، وهذا ما تقول به مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، فحاجة البشريّة تكون إلى الحجّة على الناس في جميع الأزمان سواء كان نبيًّا أم إمامًا وصيًّا للنّبيّ .

والإمام الغائب عليه السلام يجعل نائبًا عنه في زمان غيبته ، وهو العالم بالدّين ، فالحجّة تكون للعالم من خطّ المرجعيّة الرّشيدة ، والمرجعيّة الرّشيدة هي النّائبة عن الإمام المعصوم عليه السّلام ، ولكنّ الملاحظ أنّ دائرة النّيابة والوكالة عن الحجّة الغائب مختلف فيها بين دائرة واسعة لمن يقول بالولاية العامّة للفقيه ، ودائرة أضيق لمن لا يقول بالولاية العامّة ، فسعة الدّائرة وضيقها مختلف فيها عند علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، ولكنّ الجميع يعتقدون بأنّ الفقيه هو نائب الإمام عليه السّلام مع وجود اختلاف بالتّفاصيل .

إذن :

توجد أربعة آراء ، فيأتي السّؤال :

أيّ رأي تتبنّاه ؟

الجواب :

الرّأي الّذي تتبنّاه يعتمد على الأدلّة الّتي تثبت بها وجود الإله ، فهل أدلّتك في التّصديق المنطقيّ تثبت إلهًا يبعث الأنبياء أو إلهًا لا يرسل الأنبياء ؟

سؤال : لماذا نحتاج إلى الدّليل على أنّ هذا الإله يرسل أنبياء أو لا يرسل أنبياء ؟

الجواب :

نحتاج إلى الدّليل لأنّه لا توجد ملازمة بين الاعتقاد بوجود الإله وبين بعث الأنبياء والرّسل ، فمن الممكن أن يعتقد الشخص بوجود إله ، ولكن لا يعتقد بوجود الأنبياء ؛ بسبب عدم وجود الملازمة بينهما ، ولو قلنا بالملازمة فمن يعتقد بوجود الإله لا بدّ أن يعتقد بوجود الأنبياء .

مثلًا نقول بأن الزّوجيّة تلازم الأربعة ، ولا يمكن أن نفصل بين الزّوجيّة والأربعة بسبب وجود التّلازم بينهما ، فكلّ أربعة عدد زوجيّ ، وبمجرّد ما نقول أربعة – فلازمها الزّوجيّة ، ولا توجد أربعة وتكون عددًا فرديًّا .

والملازمة بين الاعتقاد بالإله والاعتقاد بالأنبياء غير موجودة ،

لذلك نقول بالأدلّة على إرسال الأنبياء ، فنحتاج إلى أدلّة على وجود الإله ، وأدلّة أخرى على إرسال الأنبياء ، وأمّا في الأربعة فلا تحتاج إلى إثبات الزّوجيّة لأنّه إذا وجد الملزوم وجد اللّازم ، فإذا وُجِدَتِ الأربعة وُجِدَتِ الزّوجيّة ، والزّوجيّة لازمة للأربعة ، إلّا إذا استطعنا أن نثبت أنّ إرسال الأنبياء لازم لوجود الإله ، ولكن يأتي إشكال وهو أنّه في زماننا لا يوجد أنبياء ، وفي ردّ الإشكال نحتاج إلى أن نثبت وجود التّلازم بين وجود الإله وجعل الحجّة على النّاس ، والحجّة إمّا نبيّ معصوم وإمّا إمام معصوم وصيّ للنّبيّ .

والنبيّ يحتاج إلى المعجزة لإثبات مدّعى نبوّته فيأتي السّؤال التّالي المهمّ :

في المعجزة الّتي هي خرق العادة ما هي الملازمة العقليّة بين أنّ شخصًا يأتي بعمل خارق لا يستطيع الآخرون القيام به وبين أن يثبت أنّه نبيّ ؟

مثلًا النّبيّ موسى عليه السّلام فَلَقَ البحر بعصاه ، والنّبيّ عيسى عليه السلام كان يبرئ الأكمه والأبرص ، وقالا : نحن نقوم بعمل خارق لا يستطيع الآخرون القيام به ، فالنّتيجة هي أنّنا أنبياء مرسلون من قِبَلِ الإله أو الله تعالى .

ويقول متكلّمو المسلمين إنّ المعجزة دليل على صحّة ادّعاء النّبوّة وإثبات وجود الله ، وهذا دليل عند عامّة النّاس على النّبوّة وعلى وجود الإله أو الله مع أنّه ليس دليلًا عقليًّا (أي منطقيًّا فلسفيًّا) ،

لذلك يسأل المنطقيّ والفيلسوف :

ما هي العلاقة والملازمة بين أن يقوم شخص بعمل خارق للعادة وبين صحّة مدّعاه بأنّه نبيّ مرسل من الله تعالى ؟

قد يقال إنّ هذه الملازمة غير موجودة ، وهي ليست مثل الملازمة بين الأربعة والزّوجيّة ، وسيأتي الجواب عن السّؤال في مباحث النّبوّة إن شاء الله تعالى .

السّؤال الثّالث : إذا ثبت وجود الإله فهل يثبت المعاد والآخرة ؟

أي هل توجد ملازمة بين التّصديق بوجود الإله وبين وجود الآخرة ؟

الجواب :

لا توجد ملازمة بينهما ، وهي ليست مثل الزّوجيّة والأربعة ، وإثبات وجود الآخرة يحتاج إلى دليل آخر ، ولا يكفي دليل إثبات وجود الإله ، وإنّما تحتاج إلى أدلّة أخرى على إثبات وجود الآخرة .

وهذا يعتمد على الأدلّة الّتي تثبت بها وجود الإله ، فهل الدّليل يثبت إلهًا له صفة الحساب والجنّة والثّواب والنّار والعقاب في يوم آخر بعد هذه الدّنيا أو لا ؟

والمدار يكون على الأدلة التي تثبت بها وجود الإله ، فهل هذه الأدلة تثبت أمورا أخرى كوجود الأنبياء ووجود الآخرة ؟

وهنا بالنّسبة للآخرة يمكننا أن نقول بالدّليل العقليّ ، وهو أنّه إذا ثبت بالدّليل أنّ الإله حكيم وعادل ، ونرى في عالم الدّنيا أنّه يوجد

ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، فيوجد ظالم ومظلوم ، وأنّه في الدّنيا كثير من المظلومين لا يحصلون على حقوقهم ، وكثير من الظّالمين لا يقعون تحت العقاب في الدّنيا ، فلا بدّ من وجود يوم يُعَاقَبُ فيه الظّالم وَيَسْتَرِدُّ فيه المظلوم حقّه ، فمن أدلّة إثبات المعاد ويوم القيامة هو حكمة الإله وعدله ، وهذا دليل عقليّ على إثبات وجود يوم الحساب .

يقول القرآن الكريم :

"أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ" [1] .

والعبث يكون في مقابل الحكمة ، فالحكيم لا يعبث ، بمعنى أنّه توجد عنده غاية وغرض في جميع أفعاله ، وهنا تحتاج إلى دليل لإثبات حكمة الإله ؛ لكي تثبت وجود الآخرة والمعاد .

وأمّا إذا قال شخص بأنّه يعتقد بأنّ الإله ليس حكيمًا وأنّه يفعل ما يشاء ولا يُسْأَلُ عمّا يفعل ، وأفعاله قد تكون حكيمة وقد لا تكون حكيمة – فلا يمكن إثبات المعاد .

ومن الأدلّة الّتي يقولون بها والّتي تدلّ على أنّ الإله ليس حكيمًا هو وجود الشّرور في العالم ، فيستدلّون بوجود الشّرور على عدم حكمة الإله .

فإذا قال بأنّ الإله غير حكيم فلا يمكن إثبات وجود الآخرة ، وإذا قال بأنّ الإله غير عادل فلا يمكن إثبات الآخرة أيضًا .

---

[1] المؤمنون : ١١٥ .

وإثبات وجود الآخرة يعتمد على الدّليل الّذي يتبناه المستدلّ ، هل يثبت إلهًا حكيمًا عادلًا أو إلهًا غير حكيم وغير عادل ؟

وحينما يريد الشّخص أن يثبت أيّ شيء ويبحث عن الأدلّة فإنّه في كلّ نقطة يحتاج إلى دليل ، وقد لا يمكن الاكتفاء بدليل واحد لإثبات كلّ شيء ، مثلًا قد لا يمكن الاكتفاء بالدّليل الّذي يدلّ على وجود الإله لإثبات إرسال الأنبياء مباشرةً ، لذلك تقول بأنّنا نثبت إرسال الأنبياء بالملازمة ، ونثبت وجود الآخرة بالملازمة ، ونثبت وجود الإمام بالملازمة ، لذلك تحتاج في كلّ شيء إلى دليل لإثباته .

إنّ الأدلّة على وجود الإله لا بدّ أن نرى أنّها تثبت صفاتٍ للإله أو لا تثبت ، وإذا تثبت صفاتٍ له فأيّ الصفات تثبت له وأيّها لا تثبت .

مثلًا من يتبنّى تناسخ الأرواح يؤمن بحكمة الإله ، ولكنّه يقول بأنّ حكمة الإله تثبت العقاب الدّنيويّ ، فالمسيء تنتقل روحه بعد موته إلى حيوان أدنى منه مرتبةً ، وهنا حكمة الإله لا تثبت المعاد ، نعم تثبت الثّواب والعقاب ، ويكون الثّواب والعقاب في الدّنيا فقط ، ولا يوجد المعاد والثّواب والعقاب الأخرويّ ، فتحتاج إلى دليل لإثبات العقاب الأخرويّ .

إذن :

بحوثنا هنا هي في إثبات أصل وجود الإله الخالق للكون ، وليس الكلام في إثبات صفات الإله ؛ لأنّه في إثبات صفات الإله نحتاج إلى

أدلّة أخرى ، وليس الكلام هنا في إثبات النّبوّة ، ولا إثبات المعاد ، ولا إثبات الإمامة ، ولا إثبات الحاجة إلى الدّين .

وستأتي البحوث في هذه المواضيع مستقبلًا إن شاء الله تعالى ، وكلّ عنوان سوف يأتي فيه بحث مستقلّ ، ونحتاج إلى أدلّة لإثبات النّبوّة ، وأدلّة لإثبات الإمامة ، وأدلّة لإثبات الحاجة إلى الدّين وأنّ الإله جعل دينًا للنّاس .

ولا يكفي أن تقول إنّ القرآن الكريم يقول :

"إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ" [1] .

كما يستدلّ المسلمون حيث يقولون إنّ الدّين عند الله الإسلام ، فالنّتيجة هي أنّه توجد حاجة إلى الدّين ، وهذا الدّين هو الإسلام .

ولا يمكن الاستدلال بالآية لأنّ حوارنا ونقاشنا مع الملحدين الّذين لا يعتقدون بالله ولا بالنّبيّ ولا بالقرآن ، ويمكن الإثبات بالدّليل العقليّ أو بأدلّة أخرى ، فالمهمّ أن تأتي له بدليل يعتمد عليه ، لذلك يأتي النّقاش في فلسفة الدّين ، ويأتي السؤال : هل البشريّة تحتاج إلى دين أو لا ؟ وما هو تعريف الدّين حتّى نقول إنّ البشرية تحتاج إلى دين ؟ ، ومثل هذه المواضيع ستأتي في المستقبل بإذن الله تعالى .

وفي المحاضرات القادمة سنبدأ بأدلّة إثبات وجود الإله .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

---

[1] آل عمران : ١٩ .

المصادر

الكتب :

القرآن الكريم .

الله في الفلسفة الحديثة God in Modern Philosophy – جيمس كولينز James Collins ، ترجمة : فؤاد كامل .

الله والإنسان على امتداد ٤٠٠٠ سنة من إبراهيم الخليل حتّى العصر الحاضر , A History Of God The 4000 Year Quest Of Judaism Christianity And Islam – كارين أرمسترونغ Karen Armstrong ، ترجمة : محمّد الجورا .

الأسس المنطقيّة للاستقراء – السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر .

اقتصادنا – السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر .

الإلحاد تعليل فلسفيّ – مايكل مارتن Michael Martin – ترجمة لؤي عشريّ .

آلهة في مطبخ التّاريخ – جمال عليّ الحلّاق .

الأمالي – الشّيخ الطّوسي .

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ .

أينشتاين ضدّ الصّدفة – فرانسوا دو كلوسيه Francois de Closets ، ترجمة وتقديم : عزّت عامر .

بحار الأنوار – العلّامة المجلسيّ .
تحف العقول – ابن شعبة الحرّانيّ .
التّحقيق في كلمات القرآن – الشّيخ حسن المصطفويّ .
التّصميم العظيم The Grand Design إجابات جديدة على أسئلة الكون الكبرى – ستيفن هوكنج Stephen Hawking .
التّصوّف والفلسفة Mysticism and Philosophy ، تأليف : ولتر ستيس Walter Stace ، ترجمة وتعليق وتقديم : الأستاذ الدّكتور إمام عبدالفتّاح .
تفسير روح المعاني – محمود الآلوسي .
التّوحيد – الشّيخ الصّدوق .
التّوحيد والنّبوّة والقرآن في حوار المسيحيّة والإسلام – هانس كونج Hans Kung وجوزيف فان إس Josef van Ess .
ثواب الأعمال وعقاب الأعمال – الشّيخ الصّدوق .
حوار الأديان وأثره على التّعايش السّلميّ – محمّد ثروت .
خدا در أنديشه فيلسوفان غرب – هانس كونغ Hans kung ، ترجمة عنوان الكتاب باللّغة العربيّة : "الإله في فكر فلاسفة الغرب" أو "الله في فكر فلاسفة الغرب" .
خدا در تصوّر إنسان – محمّد حسن قدردان قراملكيّ ، ترجمة عنوان الكتاب باللّغة العربيّة : "الإله في تصوّر الإنسان" أو "الله في تصوّر الإنسان" .

دروس في علم الأصول – السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر .
الذّريعة إلى مكارم الشّريعة – الرّاغب الأصفهانيّ .
شرح نهج البلاغة – الشّيخ محمّد عبده .
صحيح البخاريّ .
صحيح مسلم .
الصّلات الحضاريّة بين الفكر المسيحيّ والفكر الإسلاميّ – هدى علي كاكائي .
الصّحيفة السّجّاديّة – الإمام عليّ بن الحسين عليهما السّلام .
العلم ووجود الله – هل قَتَلَ العِلْمُ الإيمانَ بوجودِ الله ؟
God's Undertaker: Has Science Buried God? – جون لينوكس John Lennox ، تقديم : د. ماهر صموئيل .
عوالي اللّئالي – ابن أبي جمهور الأحسائيّ .
فلسفتنا – السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر .
قرب الإسناد – الشّيخ عبدالله بن جعفر الحِمْيَرِي .
القيم الأخلاقيّة المشتركة للأديان : الإسلام رمز الأمل – هانس كونج Hans Kung .
الكافي – الشّيخ الكلينيّ .
كنز العمّال – علاء الدّين عليّ المتّقي بن حسام الدّين الهنديّ .
المسائل المنتخبة – السّيّد عليّ السّيستانيّ .
مستدرك الوسائل – الشّيخ حسين النّوري الطّبرسيّ .

المشــتركات الدّينيّــة والإنســانيّة بــين الإســلام والمســيحيّة – محمّــد عبدالعاطي عبّاس – من إصدارات مجمع البحوث الإسلاميّة بالأزهر الشّريف .

المشتركات الفكريّة بين الأديان – هدى علي كاكائي .

المشترك الدّينيّ بين الأديان السّماوية والعالميّة – سوميّة حجّاج .

مشكاة الأنوار في غرر الأخبار – الشّيخ أبي الفضل عليّ الطّبرسيّ .

معاني الأخبار – الشّيخ الصّدوق .

ملحدون محدَثون ومعاصِرون – الدّكتور رمسيس عوض .

الموسوعة الفلسفيّة العربيّة – رئيس التّحرير : معن زيادة .

ميزان الحكمة – الشّيخ محمّد الرّيشهريّ .

الميزان في تفسير القرآن – السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ .

نهج البلاغة – الشّريف الرّضيّ .

محاضرات على اليوتيوب :

حوار مع الملحدين – السّيّد كمال الحيدريّ .

مواقع الإنترنت :

research.rafed.net ، مقالة بعنوان : الإيمان وعلامات المؤمن .

ar.m.wikipedia.org ، تحت عنوان : قائمة التّعداد الدّينيّ .

محتويات الكتاب

عالميّة الإسلام – الجزء الخامس

تعليقات على "عالميّة الإسلام" ٥

(٥٣) سؤال للملحد : هل الكون له بداية أو لا ؟ ٥٢

(٥٤) الحاجة إلى دليل لإثبات وجود الإله ٧٢

مقدّمة : البناء الفكريّ للإنسان ٧٢

الحاجة إلى دليل لإثبات وجود الإله ٧٨

المناهج والاتّجاهات في إثبات وجود الإله ٨٧

الفرق بين الإمكان والوقوع ٨٨

(٥٥) عالميّة الإسلام في كلمات أمير المؤمنين عليه السّلام . . . ٩٨

هل إمامة أمير المؤمنين خاصّة أو عامّة لجميع النّاس ؟ . ١٠٠

ما هو الدّليل القرآنيّ على أنّ الإمامة عامّة ؟ ١٠١

على ماذا يدلّ لفظ "الإمام" ؟ ١٠٥

الأمر الأوّل : القدوة ١٠٥

الأمر الثّاني : الحكومة ١٠٦

(٥٦) هل يمكن إقامة الدّليل على وجود الإله ؟ ١٣٥

الاتّجاهات في مسألة إثبات وجود الإله ١٣٦

الاتّجاه الأوّل : إمكان الدّليل ووقوعه ١٣٦

الاتّجاه الثّاني : إمكان الدّليل وعدم وقوعه ١٣٧
الاتّجاه الثّالث : عدم إمكان الدّليل وعدم وقوعه ١٣٨
محاولة لإقامة الدّليل العقليّ على عدم وجود الإله ١٤١
طرق إثبات وجود شيء أو عدم وجوده ١٤٢
(٥٧) العمل والإيمان والتّصديق وتصوّر الإله ١٤٨
المقدّمة الأولى ١٤٨
الأمر الأوّل : العمل على أساس الإيمان بالإله ١٥٢
الرّوايات الشّريفة على الإيمان والعمل ١٥٤
الأمر الثّاني : التّصديق القلبيّ بالشّيء ١٥٦
الأمر الثّالث : التّصديق المنطقيّ بالشّيء ١٥٨
الملازمة بين التّصديق المنطقيّ والتّصديق القلبيّ ١٦٠
الأمر الرّابع : التّصوّر الذّهنيّ للشّيء ١٦٥
محور الكلام بين المثبت لوجود الإله والنّافي له ١٦٨
(٥٨) هل يمكن تصوّر الإله ؟ ١٧٦
النّقطة الأولى : الفرق بين العلم والإيمان ١٧٧
الفرق الأوّل ١٧٧
الفرق الثّاني ١٧٩
النّقطة الثّانية : محور الكلام عند المؤمنين والملحدين . . . ١٨٠
النّقطة الثّالثة : أربعة أمور ١٨٤
آيات صلة الرّحم وقطعه ١٨٨

روايات صلة الرّحم وقطعه ١٨٩
تابع مقدّمات إثبات وجود الإله ١٩١
المقدّمة الثّانية : تصوّر الإله ١٩٢
هل يوجد واقع خارجيّ أو أنّ ما نراه أوهام وخيالات ؟ . ١٩٢
الحكم على الشّيء مباشرةً أو بواسطة صورته الذّهنيّة . . ١٩٥
حيثيّات النّظر إلى الصّورة الذّهنيّة ١٩٦
الفرق بين التّصوّر التّفصيليّ والتّصوّر الإجماليّ ١٩٨
(٥٩) كيف نتصوّر الإله ؟ ٢٠١
ضرورة تصوّر الإله ٢٢٠
(٦٠) هل تصوّر الإله مستحيل ؟ ٢٢٦
(٦١) النّتيجة النّهائيّة لتّصوّر الإله ٢٦١
(٦٢) التّصوّرات المختلفة عن الإله ٢٨٤
الحاجة إلى البحث في موضوع "تصوّر الإله" ٢٩٦
(٦٣) خاتمة بحث "تصوّر الإله" ٣٠٨
إشارة إلى موضوع "المشتركات بين الأديان" ٣١٨
(٦٤) نتائج التّصديق بوجود الإله ٣٣٠
هل الإيمان هو العلم ؟ ٣٣٧
كيف نعرف أنّ العقائد ترسّخت ؟ ٣٤١
المصادر ٣٥٤

صدر للمؤلّف :

١- خلاصة الحلقة الأولى والثّانية .

٢- دروس في علم الأصول - توضيح الحلقة الثّانية - ٥ أجزاء .

٣- دروس في علم الأصول - توضيح الحلقة الثّالثة - ١٠ أجزاء .

٤- الرّوضة النّديّة في توضيح اللّمعة الدّمشقيّة - جزءان .

٥- الفقه المبسّط - العبادات .

٦- القطر الشّافي - تجديد كتاب "شرح قطر النّدى" .

٧- الصّراع بين الحقّ والباطل .

٨- مقالات إيمانيّة - ١٠ أجزاء .

٩- عالميّة الإسلام - ٤ أجزاء .

قريبًا :

المنطق الوافي - توضيح خلاصة المنطق للشّيخ عبدالهادي الفضليّ رضوان الله عليه .